الخصبة، الغنية، أو على الأقل تكشفها لنا بما قد تتضمنه من سوء وشر يمكن أن نتعلم منه، كما أنها يمكن أن تمنحنا خبرات جيدة في مجال اللغويات والبلاغيات ووسائط التوصيل... لكن إذا أسيء التعامل معها، وكان المترجم غير متمكن من أداته، أو متشنجاً ـ بسبب من خوفه وعجزه ـ على التشبث بالنقل الحرفي؛ فإننا سنجد أنفسنا قبالة خطيئتين: تشويه النص المترجم وتدمير قدرته على الخطاب، من جهة، وإلحاق الأذى والشروخ في لغتنا نفسها من خلال عدوى التقليد لمنظومة الأخطاء والانحرافات في التقنيات اللغوية التي أساء المترجم التعامل معها من جهة أخرى...

وإننا لنلحظ عبر العقود الأخيرة، كيف أسهمت الترجمة المنقوصة هذه، في تكوين جيل من الأدباء، وقفوا عند منتصف الطريق، فلا هم تمكنوا من (عربيتهم) الشاعرة، المحكمة، ولا هم أوغلوا في شعاب الأدبيات واللسانيات الغربية... وضاعوا وهم يرطنون بما هو ليس بعربي على الإطلاق!

● العديد من الأدباء الإسلاميين يعانون من عزلة مزدوجة بعضهم عن البعض الآخر لأسباب شتى، لعل أبرزها **غياب النقد** الذي يضيء أعمالهم، ويؤشر على مظان التألق والانطفاء لكي يتعلموا منها... هذه العزلة التي تنذر بغياب صوتهم نهائياً، أو بحضور إبداعي كسيح بسبب من عدم وجود من يأخذ بأيديهم ويضيء أمامهم معالم الطريق.

● مرةً أخرى... مرفوضة فكرة الاعتقال في **زنزانة التخصص** وإلغاء عصور التنوّع الثقافي في القراءة أو الكتابة والتأليف... إن عصر العقاد وطه حسين وسيد قطب يجب أن يتواصل بخط لا ينقطع من المؤلفين، الذين يكتبون في سائر حقول المعرفة الإنسانية: الأدب، النقد، التاريخ، الفكر، التراجم والسير... إلى آخره...

إذا كان الله ﷻ قد منح بعض الناس القدرة على العطاء المتنوع، ذي المستوى المتألق في كل حقل، فلماذا نصطرع مع سنن الله، ونمنع الأنهار من أن تتدفق، والعيون من أن تتفجر؟!

أيهم قدّم ثقافة أكثر قيمة وخصباً وإمتاعاً، طه حسين والعقاد وسيد قطب، أم حشود الأكاديميين أصحاب البحوث المتخصصة الذين لا يكاد أحد يقرأ صفحات في أعمالهم حتى يصيبه القرف، والذين لا يرجع إليهم إلّا في سياق الضرورات البحثية؟

المهم ألّا يكون التنوع والانتشار على حساب العمق واحترام القواعد العلمية... وأستطيع أن أقول أننا إذا قارنا بعض أعمال هؤلاء الشموليين بنظيراتها لدى المتخصصين، تفوقت عليها بكل المقاييس، حتى ما يعرف بالمعايير الأكاديمية الصرفة... وفيما عدا ذلك فهم يتفوقون في كل شيء آخر، بحيث يبدو الفارق بين الصنفين أشبه بالفارق بين العمالقة والأقزام!

● حركة الأدب الإسلامي بأمسّ الحاجة إلى المزيد من **الجهد النقدي** لإضاءة النصوص... لقد أخذ يبدو أكثر فأكثر أن المعطيات الإبداعية أكبر بكثير من المتابعات النقدية؛ فإن لم يتحقق قدر من التوازن المطلوب، وتتم التغطية النقدية بنسبة معقولة؛ فإننا سنخسر مرتين... سنخسر الطاقات الواعدة التي تنتظر من يعكس صوتها أو يسمعه في الأقل، فتكف عن الخفقان. وسنخسر الفرصة الضرورية لتحسين معطياتنا الإبداعية وجعلها أكثر قدرة في وتائرها الفنية، ولتجاوز أخطائنا وقصورنا وعثراتنا وضعفنا من جهة أخرى. لقد عرف الآخرون كيف يوظفون أداة النقد لكي يمسك بعضهم بعضاً وينتشله من الصمت والعزلة...

إنهم يعملون بروح الفريق فلماذا لا نتعلم منهم؟ لماذا لا نزال مصرين على مبدأ (اقتله بالصمت)... رسائل عديدة كانت تصلني من الأدباء الجدد... بعضهم كان يعد بقدرة متألقة على العطاء... وإذ لم يستجب أحد لندائهم انطفؤوا...

إننا جميعاً لن نقدر على مواصلة الطريق بالصيغ المرتجاة دونما إضاءة النقد. إنه ضرورة من الضرورات، فهو الدافع والمعلم. وللأسف الشديد؛ فإن الكثير من النقاد الإسلاميين لا يدركون هذه الحقيقة التي هي أخص

ما يخصهم، أو هم قد يدركونها ولكن أسباباً شتى، ربما يكون الكسل، أو زحمة المشاغل، أو العوامل الشخصية، ما يجعلهم يقعدون عن ملاحقة ما تطرحه الساحة من أعمال إبداعية.

إن مخاطر سلبية كهذه قد لا تشلّ أولئك الذين قطعوا شوطاً من الطريق، لكنها قد تقضي على العناصر الشابة الجديدة التي تضع خطواتها الأولى على الدرب، وهي تملك رصيداً مذخوراً وطموحاً كبيراً، لكن ليس ثمة من يسمع صوتها أو يأخذ بيدها... لقد تلقيت رسائل شتى من هؤلاء كانوا يستغيثون فيها، وكنت تحسّ إزاءهم كما لو أنهم يجدفون لوحدهم في بئر عميق... وأنهم سيختنقون... سيضيعون إلى الأبد.

● إننا لا زلنا بحاجة ـ بعد ـ إلى **مزيد من التنظير**، والتنظير يعني التأسيس. وحركتنا الأدبية ما لم تتحقق بتأسيسات غنية، متبلورة، واضحة، ومقنعة؛ فإن معمارها سيعلو متأرجحاً، قلقاً مهزوزاً... قد ينفذ التنظير بعيداً عن التعامل المباشر مع النص الإبداعي، وقد يجيء موازياً أو تالياً له... وهو في الحالتين يقدم إضاءة لا بدّ منها للأدباء الإسلاميين.

● نحن بأمسّ الحاجة إلى **منهج إسلامي** في الدراسة الأدبية... والمسألة ليست تقحماً لوضع العناوين الإسلامية على النشاط الأدبي، ولكن لأن الإسلام بتكوينه الخاص ينطوي على قدرة فعالة لتقديم منهج للعمل في دراسة الأدب، يستمد مقوماته من الرؤية الإيمانية لهذا الدين.. ومنهج كهذا لا يصاغ في سنة أو سنتين، ذلك أنه يعكس معطيات تتراكم مع مرّ الزمن لتمنحه القدرة على التشكل، ويمكن أن نؤشر هنا على الشمولية كواحدة من خصائص هذا المنهج، والتي ترفض الرؤية الأحادية في التعامل مع النص، أو الظاهرة الجمالية عموماً. وهذه الشمولية ليست تقحماً وادعاءً إنما هي من أساسيات بنية الفكر الإسلامي، الذي يتعامل مع ظواهر الأشياء والحياة من منظور شمولي يضع في اعتباره كل مكونات الظاهرة الروحية والبيئية والنفسية والاجتماعية والزمنية... و... و...

وبالتالي فإن هذا التكوين الشمولي للفكر الإسلامي سينعكس بالتأكيد على المنهج المعتمد في الدراسة الأدبية، والذي سيتميز عن غيره من المناهج التي حصرت نفسها في زوايا ضيقة وانزلقت باتجاه المنظور التأحيدي، فاعتمدت الجانب النفسي الصرف حيناً، والاجتماعي، أو البيئي، أو الزمني حيناً آخر... إن لحظة التوهج تبدأ في أعماق الفرد وتتمركز في وجدانه وروحه، وتمضي قدماً لكي تتلقى من خزينه العقلي حيناً، ولكي تتأثر بالبيئة المحيطة حيناً آخر، متجاوزة كل هذا باتجاه الأفق الكوني، الذي يحسب له المنظور الإسلامي ألف حساب.

إن المناهج التي تعاملت مع الأدب اليوناني ـ على سبيل المثال ـ لم تحاول أن تدينه من حيث بنيته الميثولوجية. أما المنهج الإسلامي؛ فإنه يضع يديه ابتداء على الشرخ الذي يعاني منه هذا الأدب، فيضعه موضعه الحق باعتباره نقيضاً لرؤية الإسلام التوحيدية... وهكذا تتشكل المجالات التي يمكن أن تعكس الفاعلية المتميزة للمنهج الإسلامي.

إننا نتذكر هنا ما قدّمه يوماً الباحث الإنكليزي (ريتشاردز) في (مبادئ النقد الأدبي)، وهو أنه ليس بالضرورة أن يعتمد الناقد أو الدارس منهجاً محدداً للتعامل مع الظاهرة الأدبية، وأن بمقدوره أن يتلقى جوانب إيجابية من هذا المنهج أو ذاك لصياغة أداة عمل أكثر قدرةً على التعامل مع الأدب، من حيث كونه معطى إنسانياً يتجاوز البؤر الضيقة... المنهج الشمولي... نعم... ولكن ليس بصيغة تجميع ميكانيكي، وإنما انبثاق عن طبيعة المنظور الإسلامي للكون والحياة والوجود.

● ما من شك في أن **التوجه الإيماني للناقد المسلم** ينعكس إيجاباً على جهده النقدي، متمثلاً بقدر كبير من التجرد والموضوعية، التي يأخذ بهما نفسه وهو يمارس عمله، وهذا يعني ـ دون حسم أو جزم ـ تجاوزاً طيباً للميول والظنون والتحزب والأهواء، تلك التي جرفت الكثير من الأعمال النقدية غير الإسلامية، وبخاصة في العقود المبكرة الماضية.

إن النقد الإسلامي، كأية فعالية تنسج خيوطها في دائرة الإيمان الوضيء، يجد نفسه ملزماً ـ ما وسعه الجهد ـ بتجاوز المصالح الصغيرة، والأنانيات الشخصية، من أجل إصدار تقويمات وأحكام أقرب إلى الصواب.

وثمة الالتزامات التي يفرضها النقد على الناقد الإسلامي، بما أن الأدب الإسلامي عموماً هو أدب ملتزم، بمعنى أن هنالك سلماً من القيم والمعايير الفنية على مستويي الشكل والمضمون، تلزم الناقد المسلم بالعمل من خلالها وهو يعاين النص الإبداعي، ليس على سبيل القسر الرياضي الصارم، ولكن من خلال قناعات كافية تتسرب بعفوية خلال عقل الناقد المسلم وحسّه الجمالي ووجدانه. وإذا كان سارتر قد أكد في أدبياته الوجودية مسألة الالتزام هذه (فيما عدا دائرة الإبداع الشعري كما هو معروف)؛ فإن هذا لا يعني أن الالتزام معطى سارتري أو وجودي صرف، ومن ثم فهو لا يعني أن المناداة بالتزامية الأدب الإسلامي تسوقه إلى الانحياز، لأن أحداً لم يخطر على باله بأن التزامية الماركسية تمثل انحيازاً للوجودية، وهي التي سبقتها بكثير.

ثم إن الالتزام الأدبي والفني عموماً ليس أمراً جديداً في عالمنا الحديث لكي يكون حكراً على هذا المذهب أو ذاك... إنه موغل في القرون البعيدة، ويكفي أن نتذكر فيلسوفين نصرانيين كـ (توماس الأكويني) و(القديس أوغسطين)، بل يكفي أن نتذكر شاعرين مسلمين كـ (حسان بن ثابت) و(قطري بن الفجاءة)، لكي نعرف كيف أن توظيف الإبداع الفني لتصوّر أو قناعة ما، عمل يندّ عن مقولات التاريخ والجغرافيا... يتحرك بعيداً عن نسبياتهما المحددة ومتغيراتهما المنظورة.

● جابه **أدباء الإسلامية** عبر العقود الأخيرة تحدياً كبيراً، ولكنهم قدروا على أن يجتازوه بقدر طيب من النجاح، فهناك سيل من الأعمال الدراسية والنقدية والإبداعية تخرج على الناس بكثافة تلفت النظر، بحيث أن محاولة كتلك التي يقوم بها الأخ الدكتور عبد الباسط بدر في (فهرسة مكتبة الأدب الإسلامي) تضع بين أيدينا مئات من المؤلفات والبحوث، وستضع في أجزائها

القادمة مئات أخرى من الأعمال الإبداعية. فماذا يمكن أن يقال عن المستقبل؟ ولأول مرة في تاريخ الأكاديمية يفرض هذا الأدب حضوره في أروقة المعاهد والجامعات، فتكتب عنه البحوث والدراسات، وتقدم الرسائل والأطروحات لمراحل الليسانس والماجستير والدكتوراه. ويجب أن نتذكر بأن الدوائر الأكاديمية التي تقبل هذه الممارسة المتزايدة، دوائر لم تكن تعترف إلى عهد قريب بشيء اسمه الأدب الإسلامي، والأساتذة الذين يشرفون ويناقشون ويقرون درجة ما لهذا البحث أو ذاك عن الأدب الإسلامي، قد لا يكونون أساساً من الإسلاميين، بل إن معظمهم من أولئك (المتأثرين) بتيارات النقد الغربي.

وإلى جانب هذه الدوائر فإن أقسام اللغة والأدب العربي في العديد من الجامعات العربية والإسلامية، ذات التوجه الإسلامي، قد أقرت هذا الأدب الوليد في سياقاتها المنهجية وأعطته المساحة الواسعة التي يستحقها، ولسوف يزيد هذا التوجه عرضاً وعمقاً الجهود القيمة التي ينفذها (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) في عملية **(أسلمة المعرفة)** التي يحظى الأدب الإسلامي بنصيبه الطيب منها. ويجيء قيام (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) في الهند، تتويجاً لهذا كلّه، بل إنه في الحق البداية الصحيحة للمّ الطاقات وبرمجتها، وجعلها تنمّي واحدة من أشد معطيات الإنسان الأدبية ارتباطاً بقضية الإنسان وهمومه، وأكثرها نقاء وطهراً... قبالة عالم يكاد يختنق بالدنس، وفساد يلف البر والبحر والسماء بما كسبت أيدي الناس.

● **الأدب الإسلامي** هو بمعنى من المعاني أدب عربي، ليس لكونه يكتب بالعربية، فإن هنالك حلقات خصبة من هذا الأدب كتبت وتكتب بالأردية والتركية والفارسية والكردية... إلى آخره، من شعوب الأمة الإسلامية، ولكن لكونه يحمل الهموم نفسها ويتشبث بالمصير الذي ضيعته رياح التشريق والتغريب... رغم كون مساحات واسعة من الأدب العربي اختارت أن تصير مرآة لأدب (الآخر)... مسخاً لا يملك شخصيته المستقلة وحضوره المتميز، وهذا

يلقي على عاتق الأدب الإسلامي مهمة أخرى لا تقل أهمية، هي أن يرجع بالأدب الإسلامي العربي المعاصر إلى أصالته، وأن يمنحه نسغاً يجعله **ينبض بهموم العربي والمسلم**، وليس بالترف الفكري أو الإبداعي للإنكليزي والروسي والفرنسي والأمريكي.

عالمياً؟! لن يكون لأدب أية أمة في الأرض ثقل أو وجود على الخارطة؟ ما لم ينطلق من خصائص هذه الأمة ورؤيتها وصيغ تعاملها مع الكون والحياة والإنسان... والعالم لا يحترم من يعيد إليه بضاعته المعروفة مزجاة... من يردها إليه ولا جديد فيها أو إضافة عليها... إنما هو يمدّ يده ويفسح المجال أمام أولئك الذين يعدون بشيء جديد... هذه مسألة معروفة في التقاليد الثقافية وسنن التاريخ والحضارات، ولكن يبدو أنها غامت على الكثيرين في ديارنا بسبب الكمّ الهائل من المعطى الأدبي في ديار العروبة والإسلام، والذي لا يعدو في معظمه أن يكون استمراراً للأداء الغربي... إن الأخذ عن الآخر ممكن، بل هو ضروري، ولكن شرط ألّا يكون على حساب الثوابت والتأسيسات.

● **الخطاب الأدبي الإسلامي** ليس خطاباً دينياً بالمعنى المحدود... إنه خطاب عقدي وإنساني في الوقت نفسه... ففي دائرة الإسلام ليس ثمة انفصام بأي شكل من الأشكال بين الإنسان والعقيدة، خاصةً إذا تذكرنا أنها ليست كالعقائد الأخرى، وأنها مهندسة من لدن حكيم خبير على حجم الإنسان ومطامحه ومهماته الكبرى في هذا العالم.

● **معظم أدباء الإسلامية يؤكدون على المضمون**، ولا يتعاملون بالجدّ المطلوب مع الشكل. والأدب العالمي لن يكون كذلك إلا بالتقاء القطبين: المعنى العميق ذي الرؤية الكبيرة الشاملة، والشكل أو الأسلوب أو التقنيات التي تحمله إلى الطرف الآخر بأقصى وتائر الإحسان في الأداء، وإلّا أصبح الأدب ـ كما يقول الجاحظ ـ مجرد معان مطروحة على قارعة الطريق..

إن الأدب الغربي استطاع أن يغزو ساحاتنا ويتمركز فيها وينال الأتباع والمعجبين، ليس بمضامينه المناقضة ابتداء لمطالب الإنسان ووجوده ومصيره،

وإنما بتقنياته العالية، وبخاصة في مجال المسرحية والقصة والرواية والسيرة الذاتية...

وما لم يكن لدينا روائيون ومسرحيون وقصاص كبار؛ فسيظل الأدب الإسلامي سجين بيئته المحلية لا يغادرها إلى العالم... وللأسف فإن معظم أدباء الإسلامية لا يكادون يعيرون أذناً صاغية لهذه الضرورة الفنية في أدائهم، ويرمون بثقلهم صوب المضامين، وهذه وحدها لا تكفي.

● الأدب الإسلامي بالذات، بما أنه تعبير جمالي مؤثر عن **الرؤية الإسلامية للكون والحياة والوجود**... بما أنه انعكاس للحالة الإيمانية العليا... الحالة المتألقة الفريدة، بعد اندحار الأديان وانحرافاتها... في عالم يتفكك وينحدر بسرعة صوب مستنقعات العفن، والرذيلة، والشذوذ، والجريمة، والانحراف، وفقدان طعم الأشياء... عالم يقود الإنسان المعاصر إلى الخمر والحشيش والأفيون، ويجابهه بالإيدز والقتل والانتحار... عالم ضيق... يتحول شيئاً فشيئاً إلى نقرة معتمة يضيع فيها كل شيء جميل، ويصير الوجود صراعاً حشرياً من أجل التكاثر والبقاء... عالم كهذا يغدو أشد حاجة إلى الصوت الذي يدلّه على طريق الخروج... الرؤية الجميلة المؤثرة التي تقوده إلى الضفاف البعيدة حيث يستعيد كل شيء نبيل قيمته وحضوره... إن الأدب الإسلامي لهو واحد من أكثر الإعانات قدرة على الفاعلية في **عملية الخروج المنتظرة** للإنسان المتآكل، من ضيق الدنيا إلى سعتها، بكل ما تنطوي عليه الكلمة من معنى.

● **من منا يرفض التجريب؟** وهل كان نموّ الأنواع الأدبية كافة، وتطورها، وتزايد تألقها الفني إلّا من خلال التجريب؟ ولكن ليس مطلق تجريب، يقيناً، وإلا غدا فوضى وهدماً وتخبطاً، إنما هو التجريب الذي ينفذه مبدعون بلغوا القمة في قدراتهم الفنية في دائرة هذا النوع أو ذاك، وفي إدراك أسرار الإبداع ومطالبه وتقنياته، وفي متابعة التطور التاريخي للنوع، أي الخط البياني لتراكم الخبرة النوعية، وهذه مسألة في غاية الأهمية، من أجل تجاوز الارتجال

والمطبات، أو القفز في الفضاء... بل إن على المبدع أن يملك قبل هذا كله خلفية نقدية تمنحه خارطة عمل، إذا صح التعبير، يعرف كيف يتحرك على هديها... فإذا تذكرنا أن الأنواع الأدبية كافة، بما فيها الشعر، هي بشكل من الأشكال خبرة بشرية متراكمة، قد يزيدها الزمن أو التاريخ الإبداعي نضجاً واكتمالاً... أفنبيح لأنفسنا أن ننفي هذه الخاصة ذات الأهمية البالغة بحجة الدعوة إلى التحرر والتجديد؟ إن الجواب على هذا قد يبدو أكثر ما يبدو في تعاملنا مع عمود القصيدة.

التجريب... نعم وبكل تأكيد... ولكنه التجريب المنضبط بالقيم والمعايير الفنية المتفق عليها... التجريب الذي يحترم الخبرة الفنية ويحتضنها، ولا يفرط بأية جزئية متألقة منها بحجة هذا المطلب أو ذاك.

● **ليس كل ما يجيئنا من الغرب شراً**... هذه رؤية خاطئة وقع في دائرتها الكثيرون عبر القرنين الأخيرين، فقادتهم إلى المزيد من العزلة، وتضييع الفرص المناسبة للتوظيف... والحداثة ليست جهداً مبسطاً، وإنما هي معمار ذو طبقات وأدوار... من بين هذه الأدوار ما يرتبط برؤية الحداثيين وتصوّرهم للكون والحياة والإنسان... للوجود والمصير... ولمغزى الظاهرة البشرية في العالم، وهو تصوّر ينحرف في معظم الأحيان عن سويته باتجاه ما أطلق عليه (والاس فاولي) وهو يتحدث عن السرياليين في كتابه (عصر السريالية): الجنون والظلام والدجنة!!

إن الحداثيين يندفعون، كعادة العقل الغربي، إلى المدى، ثم ما يلبثون، كعادة هذا العقل أيضاً، أن يتراجعوا ويعلنوا تبرؤهم مما كانوا فيه... إنها إذا استخدمنا المفردات القرآنية: الأهواء والظنون والأسماء التي لا سلطان لها: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]... واللهاث وراء الحداثيين في هذه اللعبة سيجعلنا كمسلمين نخسر مرتين: مرة بتجاوز مطالب رؤيتنا السامقة المتميزة للكون والحياة والإنسان، وتصوّرنا العالي، المتفرد للوجود

والمصير ولمغزى الوضع البشري في العالم... ومرةً أخرى بقبولنا لترّهات الخصم وأباطيله وأوهامه وظنونه.

ثمة دور آخر لتيار الحداثة، أقرب إلى التقنيات المحايدة، التي يمكن توظيفها وبخاصة في مجال النقد التطبيقي. إنها والحق يقال بمثابة كشف في غاية الأهمية، يمكن إذا أحسن التعامل معه، التحقق بإضاءة أشد نفاذاً للمعطيات الإبداعية، شرط أن نكون حذرين، لأن هذا الجانب نفسه قد يتجذر في التصوّر أو الرؤية... فإذا استطعنا أن نحقق قدراً من فك الارتباط بين القطبين كان التوظيف أكثر جدوى.

● **الأنواع الأدبية وليدة خبرات وثقل تاريخي** ـ إذا صح التعبير ـ فليس من السهولة التخلي عن نوع ما في سبيل نوع آخر، وإنما هي ماضية مرتبطة بنزوع الإنسان الجمالي، وبقدرته على التعبير، وبالتنوع الذي هو من فطرة الإنسان، بين أديب يملك القدرة على الخطاب بالصيغة الشعرية، وآخر بالصيغة الروائية، وثالث بلغة المسرح. وحتى في السياق الشعري هناك الصيغة الملحمية والغنائية والمسرحية... الخ... وسيظل التغاير قائماً، ولكن يحدث أحياناً، لأسباب ثقافية أو بيئية، وربما أسباب أخرى يصعب تحديدها، نوع من الميل العام بين عقد وآخر... بين فترة زمنية وأخرى، إلى هذا النوع الأدبي أو ذاك، ويجيء هذا ـ ربما ـ على حساب الأنواع الأخرى.

وأذكر ـ على سبيل المثال ـ كيف كان عقد الخمسينيات عقداً شعرياً حظي فيه الشعر بالأولوية، لكن هذا لم يغيّب الأنواع الأخرى كالقصة والرواية والمسرح...

وفي الستينيات أصبح المسرح هو الغالب لاسيما وأن الحركة المسرحية في مصر بلغت أوجها يومذاك، وأخذت دور النشر المصرية تصدر سلاسل قيمة من الأعمال المسرحية المترجمة، وأصبح القارئ منجذباً إلى هذه الأعمال، مشدوداً إلى حضور بعضها مشخصاً على خشبة المسرح.

وربما كان عقد السبعينيات عقداً للقصة القصيرة، لأنها أخذت في ذلك

الحين تنضج وتهندس بشكل أكثر إحكاماً من ذي قبل. أما إذا رجعنا في الزمن فقد نجد عقد الاربعينيات ساحةً لأدب المقال الذي زادته انتعاشاً مجلة رائجة كالرسالة التي كانت تصدر في مصر، وتوزع في كل ديار العرب...

أما الرواية فأمرها يختلف، فهي بسبب من خصبها وجماهيريتها في الوقت نفسه، قديرة على الحضور في كل زمن ومكان، ويزيد في ديمومتها ظهور روائيين كبار بين الحين والآخر، ينفخون النار في حطبها فيزيدونها اشتعالاً... ومن منا لا يذكر عبر العقود الأخيرة، ريمارك وهيسه الألمانيين، وماركيز واستورياس الكولومبيين، وغيرهم ممن انتشرت أعمالهم في الآفاق؟

● العمل القصصي أو الروائي، إن لم ينطو على **خلفيات رؤيوية وإيقاع شعري**، يضعف ويتضحّل، ويفقد ميزاته الفنية الأساسية... والأعمال الكبيرة هي تلك التي امتلكت الخصائص المذكورة.

● ذهب عصر **انتظار لحظة الإلهام** لكي تتنزل فيكتب الإنسان شعراً، أو ينجز عملاً أدبياً... إن العمل الإبداعي هو كالبحث تماماً، مراس ومران، وصبر وجهد ودأب ومثابرة، واحترام للزمن، ومقاومة لعوامل الإغراء والتفلّت، وسيطرة على المشاعر والخبرات... من أجل الكتابة والإنجاز الذي لا ينتظر لحظة الإلهام والإشراق... ولا يستريح فلا يكتب إلّا وهو في أقصى حالات التوتر، أو التناغم والانسجام...

إن على الأديب أن يرغم نفسه على العمل المتواصل... يلزمها بنظام زمني يومي للعمل... وأن يمرّن خبراته وقدراته الإبداعية كافة: الخيال، والتواجد، والذكاء، والخلفيات الثقافية... وغيرها من أجل أن تكون طوع يديه وقت ما يريد...

إن (نجيب محفوظ) ــ مثلاً ــ ما كتب رواياته الخمسين إلّا من خلال التزام زمني صارم بالعمل المتواصل أربع ساعات يومياً... لم يكن ينتظر لحظة الإلهام لكي تجيئه مرةً أو مرتين في الشهر... وإلّا ما قدر على إنجاز هذا الذي أنجزه...

قد يستعين الأديب ببعض المؤثرات المشروعة: الصوتية، البصرية، المكانية... ولكن هذا شيء، والقعود طويلاً بانتظار اللحظة المواتية شيء آخر... لأن هذه اللحظة قد تتأخر... وقد لا تجيء أبداً...

● **الشعر الجاهلي ليس بالضرورة قمة الشعر العربي**، يبدو أن هناك مبالغة من نوع ما تتضمن قدراً من الخوف من مجابهة الإجماع، أو التيار العام الذي يرفع من قيمة هذا الشعر فوق المألوف.

والأمر كذلك بالنسبة لشعر صدر الإسلام، الذي لم يكن بالضرورة ينطوي على تكامله ونضجه الفني، إذ أنه ـ غالباً ـ كان يعاني من فجوة ظلت قائمة حيناً من الدهر بينه وبين مطالب التصوّر الإسلامي، ليس لأن الشعراء الإسلاميين المبكرين لم يتمثلوا هذه المطالب، وإنما لأن التقنيات الفنية التي تنمو بحكم قوانين تراكم الخبرة، لم تكن ـ يومها ـ مواتية، ولذا كان الشاعر الإسلامي في العصر العباسي، أو الأندلسي، أقدر على التعبير عن إسلاميته... أما في العصر الحديث، فقد ضاقت الهوّة وأصبح الشاعر الإسلامي يملك قدرات مدهشة ـ على المستويين الفني والموضوعي ـ في التعبير عن همومه وتصوراته ورؤاه...

● **الشعر الحرّ، أو ما يسمى بشعر التفعيلة**، يجب ألا تخترقه مقاطع من الشعر العمودي، والنثر الشعري يجب ألّا تخترقه مقاطع من شعر التفعيلة... لأن ذلك في الحالتين يؤثر سلباً على وحدة الأداء الفني، وجماليته.

● **شعراء التفعيلة**؛ إن لم يثبتوا كفاءتهم التقنية في ميدان القصيدة العمودية، يظلون أنصاف شعراء...

● **كثيرون بدؤوا حياة الكتابة بالشعر**... لم يسأل أحد منا نفسه: لماذا؟ ما هو الدافع الجمالي أو التعبيري الذي يجعل البداية من ها هنا دائماً: الشعر؟ ألأنه بصيغته العمودية، وقبل أن يبتذل ويسهل بشعر التفعيلة... كان يمثل تحدياً للقدرة الإبداعية بشكل من الأشكال؟ أم لأنه كان حتى عهد قريب

يمثل أكثر الأجناس الأدبية تقديراً وإعجاباً واحتراماً، فضلاً عن جمهوره الواسع العريض؟

● ضرب **الشعراء المحدثون** عموماً في تيه ما اصطلح عليه (شعر التفعيلة) أو الشعر الحرّ، والأنماط الفنية الأكثر حداثة منه، وصولاً إلى قصيدة النثر... فماذا كانت النتيجة؟ تأكيداً **للقصيدة العمودية** وليس نفياً لها، بل أستطيع أن أذهب أبعد من هذا فأقول بأنها لم تستطع حتى أن تهزها من عرشها، ولعلها زادتها تميزاً وتألقاً... لننظر إلى ما يجري في المهرجانات والاحتفالات العامة، فإن العمل الشعري الذي يحقق حضوراً أكثر كثافة، على مستويي الجمهور والتأثير الوجداني إنما هو القصيدة العمودية... إن ما تتميز به من تماسك في بنيانها الفني، ومن توحّد وتناظر في معمارها... من تأثير جمالي مؤكد لتكرار الروي والقافية بصيغة ضربات متوازنة الايقاع، محكمة الأداء الموسيقي تشد سمع الجمهور ووجدانه الشعري... تهيمن على حضوره... فتكسب الجولة.

ليست كل القصائد العمودية بكل تأكيد، فهناك من بين هذه القصائد ما يدعو إلى القرف والاشمئزاز، ويدفع للانفصال الوجداني عن الخطاب... وفي المقابل فإن شعر الحداثة، بأنماطه كافة، يعدّ ـ كذلك ـ ضرورة من الضرورات في الساحة الشعرية، ويكفي أن ننظر إلى سيل من الأعمال المتألقة في مملكته لكي نتأكد من هذه الحقيقة، يكفي أن نرى ونلمس قدرة الخيال الشعري على التحرّر عبر صيرورته الفنية، من كل ما من شأنه أن يعوق تدفقه، وإيغاله، من حواجز المطالب الفنية للقصيدة العمودية، لكي تتبين لنا صدق المقولة... فهل بعد هذا من ضرورة للاعتقاد بأن القصيدة العمودية يتحتم أن تنفي الإبداع الشعري الحرّ؟ أو أن هذا يقود بالضرورة إلى نفي العمود أو الحكم عليه بالإعدام؟

إن المسألة على العكس تماماً، فهذا التنوع والخصب في صيغ الخطاب الشعري إنما يحسب للشعر العربي وليس عليه، ونحن نعرف جميعاً تنويعات

الشعراء العباسيين والأندلسيين في دائرة هذا النمط من الإبداع، وكيف أنهم زادوا ساحته غنى وتلويناً، ولم يقل أحد أن هذا خروج عن الحضرة أو القداسة الموهومة للعمود الشعري الذي احترمه الآباء والأجداد... فليس في تقنيات الإبداع الأدبي والفني حلال أو حرام، ولن يستطيع ناقد مسلم الادعاء بقدرته على (جدولة) هذه التقنيات وقبول بعضها ونفي البعض الآخر. وتبقى القدرة الإبداعية للشاعر هي الحكم الفصل في الحكم النقدي على أعماله؛ سواء قدمها بصيغة العمود، أم التفعيلة، أم أية صيغة أخرى.

إن الشاعر العملاق قد نجده هنا وهناك... وأدعياء الشعر وعجزته قد نجدهم ـ كذلك ـ هنا وهناك... وليس الصراع بين أنماط الشعر كافة، سوى معركة موهومة لا مبرر لها، إذا تذكرنا كرةً أخرى أن القيم الجمالية قد توجد هنا، وقد تشح وتنعدم هناك، فيسقط معها العمل الشعري سواء كان حراً أم عمودياً.

الشاعر القدير هو الذي يستطيع أن يصوغ تجربته بالقالبين معاً، وعلى العكس فإن الشاعر الهزيل لن يكون بمقدور قصائده أن تلقى تقييماً أو ترحاباً سواء كانت عمودية أو حرة... ومن المتفق عليه ابتداء أن الإبداع الشعري (أسوةً بكل الأنواع الأدبية) خطاب موجه من الشاعر إلى الآخر، أي القارئ أو المستمع، والشاعر الذي يعجز عن تنفيذ هذه المهمة تحت غطاء الإلغاز والتعتيم والترميز والغموض، سيلحق أذى أو خللاً في هذه المعادلة، وهذا ليس ذنب الآخر على أية حال. ولا بدّ إذن من التحقق بالقدرة على نقل الشحنة بأكبر قدر من العمق والوضوح معاً، وهذا لن يتأتى إلا للقلة المتفوقة من الشعراء، سواء كتبوا قصائدهم وفق مطالب العمود أم حرروا تفعيلاتهم منه، فليس الأدب الإسلامي وحده خطاباً للجمهور، وإنما هي مهمة كل أدب على الإطلاق، وإلّا فقد وظيفته الأساسية.

ولن يعني وضع الجمهور قبالة الأديب أو الشاعر، إرغام الأخير على التسطّح والتضحّل والتكشّف الذي يتجاوز وظائفه الفنية، فيصير لغة عادية مما

يتداوله الناس العاديون... بل على العكس جعل الشاعر يمارس مهمة صعبة يسعى من خلالها إلى التحرك بالجمهور إلى فوق في ذوقه وإحساسه ورؤيته الجمالية، وتعامله مع الإبداع.

ويبقى أخيراً أن الشعر الحرّ أقرب إلى أن يكون خطاباً هامساً، ولذا فهو أصلح للقراءة الهادئة، أما القصيدة العمودية فهي ـ في الغالب ـ خطاب عالٍ أصلح للإلقاء في المنتديات العامة إزاء حشود المستمعين، ولذا كانت هذه القصيدة أكثر تأثيراً في المهرجانات، وأقدر على شد انتباه الجمهور وتحريكه من الشعر الحر، الذي يفقد في مناسبات كهذه قدرته على الإثارة والتأثير، وقد يقود أحياناً إلى الملل والشرود.

● **الشعر الكبير هو ذلك الذي ينطوي على معان كبيرة**... على خبرة حياة مصوغة في أبيات من الشعر... على الحكمة التي هي جماع التجارب والخبرات... الذي ينطوي أيضاً على ما يمكن تسميته بالشجن الكوني والإنساني... الحزن الهادئ العميق المترع بوهج العقل وخفقان الفؤاد... الحزن الذي ينسرب فيه الأسى بشكل هادئ غير مكشوف، وإلّا أصبح حزناً مجانياً... المطلوب هو الحزن الذي يطرح قيماً وتعاليم وتأملات موغلة في شرايين الحياة... ومع الحزن محاولة دائبة للبحث عن الحكمة من خلق الأشياء والظواهر والموجودات... وغاية وجودها... ومصيرها... الشعر الكبير هو شعر يلتقي فيه بنسبة مدروسة الحزن بالحكمة... إنها ـ مرةً أخرى ـ النسبة الذهبية بين قوة الكلمة والمعنى الذي تحمله، فتتجاوز به حافات اللحظة الراهنة والمكان المحدود، صوب التخوم البعيدة لكي تظل تشتعل هناك على تغاير الأماكن والأزمان.

● **النثر، في معظم الحالات أكثر قدرةً من الشعر على تنفيذ مطالب الحوار المسرحي**، شرط أن ينطوي على بطانته أو نبضه الشعري... إذا كانت الدراما محاكاة، أو تعبيراً عما يجري في داخل النفس البشرية، أو في نسيج الحياة الاجتماعية؛ فإنها تتطلب بالضرورة، قدراً من الواقعية، والشعر ينزاح

بها، بشكل أو آخر، عن صدقها الفني، يجرّها بعيداً عن عفويتها التعبيرية في الذات أو المجتمع.

صحيح أن عملاقاً مسرحياً كشكسبير قدّم نصوصه وفق مطالب الشعر، لكنه يبقى ابن عصره الإليزابيثي، حيث كانت آذان الجمهور مهيأة تماماً لسماع الأسلوب الخطابي الذي تتجلجل فيه موسيقى الشعر.

نحن الآن في القرن العشرين أكثر استجابة لشجن النثر الذي ينبض بروح الشعر... يومئ من وراء الأصوات المباشرة بموسيقاه العذبة، التي تنقل الشحنة الدرامية بصدق أكثر، وتأثيرية أعمق، إلى وجدان الإنسان المعاصر... إن جان آنوي أو كاسونا أو تنسي وليامز أو كامو أكثر حضوراً درامياً في هذا القرن من شكسبير.

العرض المسرحي الذي يستكمل أسبابه الفنية قد ينهض قائماً قبالة تحديات الفيديو والسينما والتلفاز... وإن جمهور المسرح لا يزال يشكل ثقلاً وحضوراً في حياتنا المعاصرة... ولا زلت أذكر ما شهدته مدينة عمان في تسعينيات القرن الماضي، حيث قدرت مجموعة من الفنانين الإسلاميين الفلسطينيين أن تقدم ثلاثة عروض أو أربعة تهيأ لها الكاتب الجيد، والمخرج المتمرس، والممثل القدير... فماذا كانت النتيجة؟ مئات، بل آلاف من الأردنيين، كانوا يتزاحمون لمشاهدة هذه المسرحيات، ولقد أغرى هذا المجموعة نفسها لتقديم المزيد، وهم يجدون كيف أن الفِرق الأخرى ـ خارج الإسلامية ـ رغم قدراتها الحرفية، وإعلامها القوي، لم تجذب سوى نفر من المشاهدين.

يجب ألا ننسى ـ أيضاً ـ أن الأديب المسلم وهو يكتب عملاً مسرحياً، مطمئناً ـ ابتداء ـ إلى أنه سينفذ على خشبة المسرح، قبالة مئات المشاهدين وألوفهم، هو غيره عندما يكتب لتكون مسرحيته سجينة الغلاف... إنه في الحالة الأولى سيزداد تفوقاً وتألقاً... وقدرة في الوقت نفسه على استكمال سائر المطالب والأدوات الفنية الضرورية لنصّه المكتوب.

● **التعامل الروائي مع الواقعة التاريخية** يؤثر عليها بكل تأكيد، بل يوظفها،

إذا أردنا الدقة في التعبير، لهدف جمالي إبداعي، ومن ثم فإنه يجد نفسه مرغماً على إجراء تبديل وتحويل في النسب والمساحات والأبعاد، بدرجة أو أخرى... إن الواقعة التاريخية تتحول على يدي الأديب، وبقوة قوانين العمل الفني، وصيغ التعامل بين الذات والموضوع إلى شيء آخر... وبالتالي فإننا يجب ألا نطلب من الأديب أن يخدم الحادثة التاريخية بالمنهج نفسه الذي يعتمده المؤرخ... بل أن يفككها ويعيد تركيبها من جديد... فهو في نهاية الأمر وبدئه ليس مؤرخاً، ومهمته تختلف في جوهرها عن مهمة المؤرخ. ومع ذلك فإن العمل الأدبي طالما أسدى خدمات جليلة للتاريخ... وأؤكد على الكلمة ولن أكون مبالغاً، فإن الكثير من الجزئيات والمياومات ومفردات الواقعة التاريخية التي لا يعنى بها المؤرخ، التقطتها عين الأديب وجاءت الرواية لكي توظفها وتحميها من الضياع.

إننا لا نستطيع أبداً أن ندرس عصر النهضة في إيطاليا بدون دانتي، ولا التاريخ الأندلسي زمن الطوائف بدون المعتمد بن عباد، ولا المقاومة الإسلامية للبيزنطيين بدون المتنبي وأبي فراس. كما أنا لا نستطيع أن نتابع المعطيات العمرانية في عصر المتوكل العباسي (مثلاً) بدون الرجوع إلى وصفيات البحتري... بل إن عملاً تلفيقياً كألف ليلة وليلة، يغدو ضرورياً لكل من يريد ان يكتب عن تاريخ المجتمعات الإسلامية، محاولاً تقديم تصور أكثر مقاربة لما كان يتشكل في شرايين هذا المجتمع وتفاصيل حياته اليومية.

● **الرواية الإسلامية في بداياتها الأولى،** كانت تحلّق في فضاء مثالي، أو ربما تجريدي، تكاد تنسلخ عن أبعاده الواقعية المتموضعة في البيئة والظرف التاريخي، أي في الزمن والمكان... وهي بهذا تفقد لحمها ودمها وجملتها العصبية، وتغدو نماذج نمطية غير قادرة وهي تخاطب الآخرين على أن تؤثر فيهم... التأثير ينبثق عن فضاء روائي يصير فيه البطل هو نفسه وليس أي كائن آخر... ونحن بأمسّ الحاجة إلى تعميق هذه المسألة وتنفيذها في النسيج

الروائي. لكن هذا لا يلغي المحاولات العديدة التي يتحقق فيها المطلوب، بغضّ النظر عن المستوى الفني الذي يتشكل فيه.

في العديد من روايات الكيلاني (ليالي تركستان، عمالقة الشمال، قاتل حمزة) على وجه الخصوص نلتقي البطل الذي لن يكون غيره على أية حال... ولقد أتيح لي أن أقرأ رواية الأديب التركي (جنكيز ضاغجي) (السنوات الرهيبة) فرأيته يعرف تماما كيف يكسو بطله لحماً ويفجر في شرايينه الدماء... كيف يعطيه ملامحه المتميزة، وخصوصياته، وكيف يضعه في مكانه المرسوم من الفضاء الروائي... و(هاشم عبد السلام) في روايتي (الإعصار والمئذنة) هو ليس مطلق (عالم) كما يقول المناطقة، ولكنه هاشم نفسه، الذي أعرفه جيداً، وأعرف كذلك ملامح وجهه، والحزن العميق الذي كان يتمركز في نظراته، وهي تطل على بلد يكاد يضيع في أيدي الغزاة... إنه هو نفسه يتحرك في فضاء محدد تماماً لم يتجاوز في الزمن الأيام الخمسة، ولكنها كانت كافية لأن تحكي لنا كيف انتهى به الأمر إلى الإعدام رمياً بالرصاص... أما المكان فهو البيئة الموصلية نفسها التي أعرفها بيتاً بيتاً وزقاقاً زقاقاً...

في روايتي (السيف والكلمة) سعيت لتوظيف الهجوم المغولي على بغداد عام (٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م) وسحقها على أيديهم... إنها لحظة تاريخية تنطوي على مفردات مشحونة تمنح الحدث الروائي قدرة فائقة على التأثير. لقد تعامل (المؤرخ) مع الغزو المغولي من الخارج، وهو لا يتابع الدقائق والتفاصيل، ولا يحاول النفاذ إلى العمق الإنساني للواقعة التاريخية، وإنما يكتفي برسم الهياكل الخارجية لها في حين نحن بحاجة إلى رؤية (الفنان)، لكي نسبر انعكاسات الحدث على النفس البشرية في أزقة بغداد ودورها وأحيائها ومساجدها وأسواقها وملاعبها ومكتباتها... هذه الرواية تحاول أن تقدم لنا انطباعاً مأساوياً للاجتياح المغولي لبغداد، وأن تومض من وراء الحزن والانكسار، بسبل النهوض والخلاص.

لقد حاولت أن أقيم معمار الرواية على أسس وتقنيات غير تقليدية،

رباعية الأدوار والأصوات... ينمو فيها الحدث عبر نقلات أربع لزاوية الرؤية، ومن خلال فعل وتداعيات أبطال أربعة، وهم يشاركون في صناعة الوقائع والأحداث ويغرقون في تيارات وعيهم الباطن، ويدخلون سيلاً من المنولوجات التي تعكس رؤيتهم الانطباعية لتلك الوقائع والأحداث وهم ينطلقون منذ اللحظات الأولى... كل من اختياره الحرّ، لكي ما يلبث كل واحد منهم أن يجتاز شبكة من الدروب والصدمات والخبرات، يجاهد كي يجعل خياره قديراً على اجتيازها بنجاح، ولكنه ينهزم في نهاية الأمر؛ لأنه رمى بثقله صوب نقطة ارتكاز واحدة في الكينونة البشرية... إنها دراما الصراع بين العقل والروح والوجدان والجسد، ولن يقدّر لأحد فيها الخلاص إلا من خلال بذل جهد استثنائي للتحقق بالوفاق، وذلك ما تومئ به شخصية البطل الرئيسي...

والرواية بتداخل أصواتها قابلة للتفكيك... وسماع كل صوت منفرداً... وهي في هذه الحالة ـ كذلك ـ تتابع تنامي الحدث، ولكن بصيغة ميلودية مسطحة... والمطلوب تعامل هارموني ينصت للأصوات جميعاً، لكي يكتشف من وراء التغاير وربما التنافر، توافقاً لا نشاز فيه... يقود الأشخاص والوقائع والأشياء إلى مصائرها.

لقد كان الغزو المغولي لبغداد مجزرة حقيقية على كل المستويات... كان مذبحة إنسانية قبل أن يكون تصفية جسدية... وكانت المذبحة تنطوي بالتأكيد على بعدها العقدي والحضاري معاً... وليس بمقدور الصيغ التقليدية في بناء الرواية أن تتحمل هذا كله دون أن تثقلها الوقائع، وتجنح بها صوب نوع من التقريرية أو تحوّلها ـ على أحسن الأحوال ـ إلى ريبورتاج تاريخي، يمارس فيه الراوي دور السائل أو الصحفي... وكان عليّ من أجل الانزياح بالتاريخ صوب المطالب الفنية للرواية أن أبحث عن صيغ جديدة في الأداء.

ثمة مسألة أخرى... وهي التعامل مع ضمائر الخطاب، فلقد رفضت منذ البدء اعتماد ضمير المتحدث الغائب العالم بكل شيء، لأن هذا سيفقد الرواية تركيزها وسيقودها إلى نوع من الفضفاضية التي تضعفها إلى حدّ كبير... ليس

هذا فحسب، بل إن الرواية سعت إلى توظيف ثلاثة أنماط من الضمائر لتحقيق التغاير والتوتر في الوقت نفسه... وكان على كل بطل من الأبطال الأربعة أن يتنقل وفق ثلاثة مستويات للخطاب، تبعاً للحظة الزمنية التي يتحرك فيها... إنهم جميعاً يتحدثون من الداخل، ولم يحاول الروائي أن يقتحم عليهم ضمائرهم من أجل أن يمنح حوارهم صدقاً فنياً.

وكان هذا ـ ربما ـ رد فعل لتجربتي مع (الإعصار والمئذنة). كنت أقتحم على الشخوص خبراتهم ومرئياتهم الخاصة بين الحين والحين، بما قد يجعل القارئ ينزعج لمداخلات كهذه، قد يتقبلها المسرح الملحمي ـ مثلاً ـ لهذا السبب أو ذاك، ولكنها تسيء إلى العمل الروائي بكل تأكيد. ولهذا تحاول تيارات الحداثة الروائية أن تتجاوزه، فيما نلحظه مثلاً لدى ساروت وبوتور وسيمون... إنهم يشكلون الفضاء المعرفي لشخوص الرواية من خلال خبراتهم وقدراتهم ومرئياتهم الخاصة التي تحدد مساحات الفضاء... وليس من خبرات الروائي ومرئياته بطبيعة الحال.

● **القراءة والقراءة والقراءة حتى اللحظة الأخيرة**... تلك هي الصيحة التي يجب أن نرفعها قبالة أنفسنا، وإزاء كل حملة الأقلام من علماء وأدباء الإسلام... إنها الكلمة الأولى... كلمة البدء التي تنزل بها كتاب الله... والفعل الذي يتحتم أن يكون الخبز اليومي للمثقف المسلم... طعامه وشرابه.

قد يبدو هذا أمراً اعتيادياً يوم كانت القراءة في العقود الماضية تقليداً سائداً في الحياة الثقافية، لكن الأمر يختلف في العقود الثلاثة الأخيرة... لقد غزتنا وسائل الترفيه السهلة، وحاصرتنا الهموم والمطالب المعيشية والوظيفية في كل مكان، وأخذ الزمن يضيق علينا الخناق... الكل يركضون وراء همومهم حتى اللهاث، وما تبقى من وقت يستلقون فيه على جنوبهم نائمين أو باحثين عن الثقافة المتضحّلة السهلة الميسورة التي تنسجم وإعياءهم المقيم ولا تكلف جهداً عقلياً... قراءة الصحف والمجلات ودوريات تزجية الفراغ... انني أعرف جيداً حشود المثقفين الإسلاميين، وغير الإسلاميين بطبيعة الحال، بل أعرف

العديد من الكتّاب أنفسهم لا يكادون عبر الزمن الأخير يقرؤون شيئاً ذا قيمة... فماذا نتوقع أن تكون النتيجة؟ وكيف تكون النصيحة بالقراءة شيئاً مستهلكاً؟ إن الأمر جدّ، إذا استعملنا عبارة الكاتب الفرنسي (يونسكو)، وقبالته يجب أن نفعل شيئاً وإلا استهلكنا الوقت وفقدنا القدرة شيئاً فشيئاً على أن نقدم للحركة الثقافية شيئاً ذا قيمة.

فإذا تذكرنا أن زمننا هذا، هو في الوقت نفسه، زمن الانفجار المعرفي، وسيول المؤلفات التي تطلع على الناس في كل يوم، وأنه ـ كذلك ـ زمن التواصل الثقافي السريع، حيث ينتقل الكتاب من بلد إلى بلد بسرعة الكهرباء، وحيث يترجم عن لغاته الأصلية أسبوعاً بأسبوع ويوماً بيوم... إذا تذكرنا هذا عرفنا أن الأمر جدّ فعلاً، وأنه التحدي الذي تنوء به العصبة أولو القوة... ولكن لا بدّ مما ليس منه بدّ...

لا بدّ أن نقرأ ونقرأ ونقرأ ما وسعنا الجهد وحتى آخر حدود الاحتمال وإلا ضعنا... القراءة... القراءة... القراءة... من أجل إعادة ترتيب ما كان... ومحاولة السيطرة على ما هو كائن... والاستعداد لما سيكون...

هذا ما يمكن أن يقال لكل أولئك الذين يطمحون لأن يقدموا شيئاً ذا قيمة لهذا الدين المتجذر في العالم، والذي ينتظر الزراع لكي يستوي نبته الواعد على سوقه ـ بإرادة الله ﷻ ـ فيغيظ به الخصوم والكفار... **(اقرأ) هي التأسيس والمنطق والرؤية ومنهج العمل**... وما لم تصبح خبزنا اليومي... طعامنا وشرابنا... نومنا ويقظتنا... همنا الذي يشعل فتيل القلق والتطلع في عقولنا صباح مساء... فلن نستطيع أن نكون أكفاء لما يتطلبه هذا الدين وسط دوامة التحديات وصخب التحولات الكبرى، بين قرن أطلّ على نهايته وقرن يوشك على العالم منتظراً إشارة الخلاص.

والأدب الإسلامي على وجه الخصوص ينتظر وقوده الذي يجعله أكثر اشتعالاً وأشد تألقاً... إننا لن نستطيع أن نلفت أنظار العالم إلى هذا الخطاب المتميز، الواعد بالتبديل والتغيير، ما لم نصب المزيد من الزيت على الحطب

المشتعل... ما لم نصعّد نار الإبداع حتى تصير فناراً عالياً يراه ويستضيء به القاصي والداني.

والزيت هو القراءة... هو المتابعة الموصولة لكل ما تشهده ساحات الأدب من معطيات في حلقاتها كافة... هو الحمى التي تجعل المرء لا يرتاح إلا بأن يدفن رأسه في بحر الكلمة لكي يتعلم الكثير... انها الكلمة الأولى والثانية والثالثة... وليست الأخيرة... لأن الأفق سيظل مفتوحاً للمشروع الكبير الذي نحلم به جميعاً: أن نصير أمة من القراء والأدباء والمثقفين كما أراد لنا كتاب الله ﷻ أن نكون...

بهذا وحده يمكن أن نجابه تحديات العصر ومتغيراته، وأن نجعل (كلمتنا) الجميلة المؤثرة، ورؤيتنا للحياة والوجود، حاضرتين في قلب العالم.. قديرتين على اكتساح كل ما لا ينسجم ويتواءم مع مطالب الإنسان... متجذرتين في الدنيا التي تتناوشها الأعاصير (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء).

إن كلمة **(اقرأ)** التي تنزلت على رسول الله ﷺ في غار حراء... هي البداية الصحيحة... وهي فعل إيجابي، وليست أمراً بالنفي... وكما قادت المسلم أول مرة إلى تشكيل فعله الحضاري المتميز؛ فإنها قديرة على أن تقودنا كرةً أخرى إلى استئناف الدور... إنها ليست نصيحة تقليدية تزجى للقراء، ولكنها أمر إلهي إلى كل مسلم في هذا العالم، الذي يضيع فيه من لا يحاول أن يبذل جهداً استثنائياً في قراءة الأشياء والسنن والنواميس والظواهر والموجودات، والتعرّف عليها... إن كل قارئ، وكل مسلم، بشكل عام، مدعو اليوم لأن يمضي في درب المعرفة الإيمانية، وأشدّد على الكلمة... معرفة الآخر... ومعرفة العالم من أجل أن يتبيّن خرائطه جيداً، ويرى بوضوح موضع قدميه في عالم تصطرع فيه القوى... والويل لمن لا يحمل رايته المستقلة في خضم هذا الصراع.

قراءتي لم تكن سواء... فحيناً لا تتجاوز في اليوم الواحد ساعة واحدة أو نصف الساعة... وحيناً آخر تستغرق مني الساعات الطوال... وقد يمضي اليوم

واليومان دون أن أقرأ شيئاً... وبالمقابل أجدني أحياناً أتعامل مع الكتاب بنهم عجيب... فأقرأ صباحاً، وأعود مساء لكي أواصل القراءة... ثم يجيء الليل لكي يمنحني فرصة أكثر مواتاة لمواصلة القراءة... في يوم ما كنت أنا الذي أختار زمن القراءة، ومداه... وبمرور الوقت وتزايد المطالب والهموم، أصبح هو الذي يختارني إذا صح التعبير... وفي الحالتين تظل القراءة أمراً ملزماً وليست رغبة عابرة... تظل واجباً يومياً أجدني أبذل قصارى جهدي لتلبية مطالبه... **واليوم الذي لا أقرأ فيه يتملكني إحساس بأنه غير محسوب من عمري... أكثر من هذا... شيء من التأثم في أنني قد فرطت في واجب ما.**

ودائماً كانت القراءة، فضلاً عن إضافتها المعرفية، تمنحني المتعة والعذاب معاً... الانسجام أو التوافق مع الذات والأشياء والموجودات حيناً... والتنافر والثورة والإحساس بالمرارة حيناً آخر... ليس ــ فقط ــ لأنها توافق قناعاتي في الحالة الأولى، وترتطم بها في الحالة الثانية، وإنما لأنني ــ أحياناً ــ لا أفهم في الكتاب الذي أتعامل معه المعنى النهائي الذي يتوخاه المؤلف، أو القوة الفكرية التي تربط فقراته وفصوله وتجعلها تتسلسل بهذا الشكل أو ذاك... القصور قد يكون من جهتي، وأنا أعترف بهذا، ولكن في حالات كثيرة يجيء من المؤلف نفسه الذي لا يعرف كيف يوظف اللغة لحمل الخطاب إلى الآخرين.

ويزداد الأمر تعقيداً عندما يدخل **المترجم غير المتمرس** طرفاً في الموضوع... حينذاك تستحيل القراءة إلى جحيم لا يطاق... ولما كانت طبيعتي قد فرضت عليّ منظومة من التقاليد القاسية في مجال القراءة: من مثل أن الكتاب الذي أبدأ قراءته، لا بدّ أن أتمّه بأي ثمن...

ومن مثل محاولة الفهم المتكامل لكل مفرداته دون أن أسمح لمفردة معرفية واحدة أن تندّ عني... ومن مثل الرغبة ــ إلى حدّ الوسواس التسلطي ــ في أن أخضعه في ترتيبه المنطقي، لهندسة معينة تجعله أكثر توافقاً مع منظوري العقلي وطريقتي في التعامل مع الأفكار، فلكم أن تتصوروا كيف ستغدو

القراءة عذاباً متواصلاً قد أحمّل فيه نفسي ما تطيق وما لا تطيق... ولكن، من جهة أخرى، قد يستفزني كتاب ما عبر رحلة توافق عجيب لا نشاز فيه أبداً... وحينذاك تصير القراءة متعة يصعب وصفها... وأحس حتى أعمق نقطة في كياني أني دخلت دائرة الرضا والانسجام وأظل سعيداً فرحاً عبر ساعات النهار... لا يكدرني شيء... ولكن كم من الكتب التي قرأتها في حياتي منحتني هذه اللحظات؟

ثمة ما يجب أن يقال أيضاً... بالنسبة للكتّاب والمفكرين... ان الكتابة والتأليف تأخذ من وقتهم الكثير، وقد يكون هذا في معظم الأحيان على حساب القراءة... أليس كذلك؟ ومن هنا أجدني ممزقاً بين إغراء القراءة ومطالب الكتابة، التي يبدو أنها لن تكفّ حتى يغيب الإنسان في التراب... انك إذا استجبت لنداء ما... مشروع تأليفي أو بحث أو مقال أو حتى خاطرة، وجدت نفسك مرغماً على الانسحاب من دائرة القراءة، لكي تتمحض للكتابة، حتى إذا أتممت العمل، وتنفست الصعداء، وقلت بينك وبين نفسك: ها قد آن الأوان لكي أتفرغ للقراءة التي طال إليها شوقي واشتد ظمئي... برز قبالتك مشروع عمل، وربما مشاريع أخرى، أشد إلحاحاً، وأرغمتك كرةً أخرى على أن تقتطع من وقتك الساعات الطوال، وأن تدفن رغبة القراءة ونهمها الذي لا يكفّ، في طبقة بعيدة في أعماقك قائلاً: سيجيء ذلك اليوم الذي تلبى فيه الأشواق... أتراه سيجيء فعلاً؟!

إنني أتذكر على سبيل المثال ـ بحنين جارف ـ ما كان يحدث في الخمسينيات والستينيات... **كان الكتاب هو خبز المثقف اليومي**، وكانت المقاهي والحدائق والمكتبات والكازينوات والأماكن العامة، فضلاً عن الدور، ساحات لبلّ الشوق وإرواء الظمأ... وكان التقليد السائد يومها أن من يذهب إلى المقهى، لا بدّ وأن يحمل معه كتاباً... حتى ولو لم يقرأ فيه...

ما الذي تغير عبر العقود التالية، فقلب الأمور رأساً على عقب؟ انظر إلى واقع الحياة في مدننا العربية والإسلامية، فإنك ستجد الناس يركضون...

تتوزعهم مئات المطالب والهموم... حتى إذا ما أتيحت لهم الفرصة ووجدوا أنفسهم قبالة ساعة أو ساعتين من الزمن... سحبهم التلفاز أو الفيديو... أو في الأقل الرغبة في الاسترخاء والكسل العقلي، تعويضاً عن ساعات الشد النفسي المشحونة عبر رحلة الليل والنهار.. فعلام يقرؤون؟

هذا هو الذي جعل المواطن العربي ـ وفق آخر إحصائيات اليونسكو ـ لا يقرأ في العام الواحد سوى أربع دقائق فحسب، في الوقت الذي يقرأ فيه المواطن الغربي مائتي ساعة... وهذا الذي جعل معاهدنا وجامعاتنا عبر العقود الأخيرة تخرج مجموعات من الأميين... وهذا الذي يجعل تسعة من طلبة الدكتوراه من بين أحد عشر طالباً لا يقرؤون في العام الواحد كتاباً واحداً... فأي شهادة تلك التي سيعلقونها على جباههم الفارغة، وهذا الذي يجعل المعلمين والمدرسين بل حتى الأساتذة الجامعيين لا يكلفون أنفسهم قراءة كتاب واحد عبر السنة والسنتين؟

نحن معشر الكتّاب نحاول ما وسعنا الجهد أن نقاوم هذه الظاهرة المخيفة، وأن ننفخ النار في الجذوة الخابية لكي تشتعل مرة أخرى، وأن تمضي لكي تلتهم الكتب وتغري الآخرين بالتهامها... وأن نرفع ـ دائماً ـ شعار: **القراءة هي ملح الحياة، وبدونها لن يكون لها طعم أو مذاق على الإطلاق**... وحتى أنني أصبحت أقرأ في العام الواحد عبر السنوات الأخيرة ما يزيد على الخمسين كتاباً.

إننا قبالة معادلة صعبة، وعلينا أن نستجيب لتحدياتها... لأن أي توقف، ولو لالتقاط الأنفاس، ومراجعة الحساب، سيجعل القطار يفوتنا، وسيمنع عنا الزاد والوقود الذي يعيننا على مواصلة الطريق، ولن يكون بمقدورنا ـ يومها ـ أن نقدم شيئاً جديداً، أو شيئاً ذا قيمة، إذا أردنا أن نكون أكثر واقعية وصراحة... ثم إننا في عصر الانفجار المعرفي والمتواليات الهندسية في دنيا النشر، وأن هذا يفرض علينا كفاحاً متواصلاً لمتابعة المتغيرات المعرفية ومحاولة إدراكها؛ وإلا وجدنا أنفسنا يوماً خارج دائرة التاريخ.

● أحاول، ما وسعني الجهد، **أن أقرأ بنظام ومنهجية**، فليس كهذين ما يعين المرء على السيطرة على نشاطه ورفع وتائر إنجازه والوصول إلى المحطات التالية.. القراءة ليست رغبة عابرة، ولا هي محاولة للاسترخاء أو تزجية الفراغ... القراءة جهد صعب، ورحلة مرسومة بعناية في (كون معرفي) يضيع فيه من لا يملك خارطة أو بوصلة أو مجذافاً.

بين الحين والحين أقوم بجرد رفوف مكتبتي، محاولاً أن أنتقي مجموعة متوازنة من الكتب وأضعها قبالتي قائلاً: انها واجبي المفروض على مدى الأشهر الثلاثة أو الأربعة القادمة... حتى إذا ما أتيت عليها، قمت بمحاولة أخرى للجرد والانتقاء... وقد تخترق هذه المجموعات الدورية مؤلفات مغرية أجدها لدى هذا الصديق أو ذاك، أو في هذه المكتبة العامة، أو تلك، وعبر العروض المتجددة في معارض الكتب السنوية، وأسواقها، أو خلال رحلاتي إلى البلدان المختلفة... وفي كل الأحوال أسعى إلى تنفيذ التوازن الذي أشرت إليه قبل لحظات، في اتجاهين أساسيين: **أن تحقّق هذه المختارات الفائدة والمتعة معاً... أن تضيف لديّ جديداً... وأن تمنحني الرضا والارتياح في محاولة للتخفيف من هموم الكتابة ومطالب الحياة.**

ويتمثل الاتجاه الآخر في ضرورة أن تنطوي هذه المختارات على **قدر معقول من التنوّع بين شتى صنوف الفكر والأدب** لكي تمنحني الغذاء المطلوب، والزاد الذي يعينني على السباحة في أنهار المعرفة المتنوعة، ويمكّنني من الوصول إلى شطآنها بسلام... هذا إلى أن التنوع هو في حدّ ذاته ضرورة من ضرورات مجابهة الملل والتضحّل العقلي والجمود... وأحياناً، النفور من القراءة نفسها كما حدث بالنسبة للكثيرين... إن هذا التنوع يمنح الكاتب لغة أكثر قدرة على الأداء الملائم في حقول المعرفة التي يمارس فيها عمله... والذين يجمدون على نمط واحد من المعرفة، بحجة مطالب التخصص، وضغط الزمن، سرعان ما يجدون أنفسهم يسقطون في مستنقع اللغة العقيمة التي تعجز عن نقل الخطاب، فيفقدون قرّاءهم، وقبل ذلك يفقدون موقعهم المتميز

على خارطة الكتّاب والمؤلفين... أن يكون لك أسلوب متميز يعني أنك قد أخذت موقعك على الخارطة... ولن يتأتى هذا إلا بالقراءة المنهجية لأنواع المعارف الممكنة وفروعها المتشابكة.

● ثمة سؤال طالما فرض نفسه في سياق الكتابة والإبداع: **التخصص أم الموسوعية؟** والحق أنه ليس قدرنا أن نقول هذا أو ذاك... وإنما هذا وذاك... فالظواهر في بعض الأحيان لا تتخاصم وينفي بعضها بعضاً، وإنما تلتقي، وتتصالح، ويعطي كل منها للحلقات الأخرى الفرصة الكاملة للتحقق... إن الجدل (الهيكلي) الذي يرغم الأفكار على أن تصطرع وينفي بعضها بعضاً، والديالكتيك المادي الذي تزيح فيه الشرائح الاجتماعية وصيغ الإنتاج بعضها البعض الآخر، فيطرده من الحضرة ويستأثر بالسلطان... جدل أو اصطراع كهذا ليس قدراً محتوماً كما يخيل للكثيرين. فهناك دائماً مع وجود الاصطراع والنفي، هناك الوفاق والتصالح والتوازي في هذا الجانب أو ذاك من جوانب الفكر أو الحياة.

ما أريد أن أقوله هو أن الموسوعية ـ إذا صحّت الكلمة ـ لا تتعارض مع التخصص سواء في دائرة المفكر الواحد، أو في سياق النشاط الفكري والثقافي في بيئة ما أو عصر من العصور... **القطبان يكمّل أحدهما الآخر**... هذا يتحرك في فضاء واسع أعطاه الله ﷻ القدرة على خوض غماره... وذاك يوغل في أعماق الظواهر والخبرات ويتمركز في حيز محدد حيث يجد نفسه مؤهلاً لأداء مهمته الفكرية في دوائر التخصص... والحياة الثقافية التي يغيب فيها الموسوعيون، ولا يتحرك سوى أصحاب التخصص في هذا الفرع المعرفي أو ذاك... حياة لا تستحق أن تعاش... أرخبيل من الجزر المنعزلة التي لا تجمعها لغة واحدة... لنتصور لو أن قرننا هذا لم يشهد مثقفين موسوعيين كالعقاد أو طه حسين أو سيد قطب أو توفيق الحكيم، بغض النظر عن توجهاتهم الفكرية... مثقفين كتبوا في الفكر والتاريخ والترجمة والسيرة الذاتية والتنظير والنقد الأدبي، وأبدعوا قصصاً ومسرحيات وروايات وشعراً... كيف

يمكن أن يكون؟ لنتصور لو أن رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه التي طالما مارست خطابها بلغة سقيمة مكسرة، وبرؤية تخصصية مقفلة، هي وحدها التي تستأثر بالساحة... كيف سيكون الحال؟

إن التخصص هو بالتأكيد من ضرورات التقدم العلمي، وفي المقابل فإن الموسوعية هي ضرورة ثقافية... إذا كنت تملك أن تقدم شيئاً ذا قيمة في أكثر من ساحة فلماذا تتردد؟ وإذا كان غيرك بمجرد أن يمدّ رجله خطوة خارج نطاق تخصصه تعرض للضياع، فما ذنبك أنت؟ ومع ذلك فإن هذا لا يمنعك من أن تصير متخصصاً ناجحاً، بل ربما أكثر قدرة على العطاء والإبداع في مجال تخصصك نفسه من الكثيرين ممن اعتقلوا أنفسهم في زنزانات ما يسمى بالتخصص الدقيق، ففقدوا الرؤية الشمولية، واللغة القديرة على الأداء، بل أصيبوا بسبب جمودهم في البؤر الضيقة بعمى الألوان، وغدوا ـ بتعبير اشنبكلر ـ مجرد منظفي أتربة أكاديميين!!

في الغرب والشرق على السواء رحل مئات الأكاديميين المتخصصين، بل ألوفهم، دون أن يسمع بهم أحد، ودون أن يتركوا في الحياة الثقافية أثراً يذكر... بعضهم ـ إذا أردنا الحق ـ مضى بالخبرة العلمية صوب آفاق بعيدة وقدم كشوفاً مذهلة خدمت البشرية جمعاء... لكن أغلبهم ـ والحديث عن جماعة الإنسانيات ـ ما فعلوا سوى أن تمرسوا في مجال تخصصهم وأصبحوا أساتذة جامعيين ناجحين، وليس ثمة شيء وراء ذلك... لكن موسوعيين كهيكل واشبنكلر وتوينبي واريك فروم وكارودي وروم لاندو... وغيرهم كثيرون... هم الذين أعطوا الحياة الثقافية في الغرب، وربما في العالم كله، طعمها وملحها... وهل ننسى جيد ومالرو وكوستلر وبرناردشو وفتكنشتاين وبرتراندرسل... و...؟

لنترك هؤلاء وهؤلاء، كل يعمل في مجال قدراته التي منحه الله إياها... فكل ميسر لما خلق له، كما يقول الرسول المعلم ﷺ، وليس ثمة مبرر على الإطلاق لأن ينفي أحدهما الآخر ويستأثر بالميدان...

لقد فتح أبناء جيلي عيونهم على عصر لم يكن المفكر فيه قد اعتقل

نفسه في زنزانة التخصص... ولقد تعلمنا كثيراً ـ بغض النظر عن اختلاف القناعات ـ من العقاد وسيد قطب وطه حسين والرافعي والحكيم وبنت الشاطئ والغزالي والسباعي والطنطاوي والندوي وغيرهم... كانوا يكتبون في الفكر والأدب والتاريخ... كانوا ينظرون وينقدون ويبدعون... بل إن معظمهم قال شعراً.

ثمة مسألة أخرى... ان الساحة الإسلامية بالذات قد تغري بنوع من الملاحقة... قد تجعل الكتابة في أكثر من ميدان نوعاً من (فرض العين) على كل قادر... وتبقى مسألة الأولويات هي التي تحدّد ما الذي ينصبّ عليه الاهتمام في هذه اللحظة الزمنية أو تلك؟

على أية حال، ومن أجل تجاوز أي نوع من سوء الفهم، فإن تشعب الاهتمام لا يعني بالضرورة انتقاصاً لمطالب التخصص أو المنهج، ولا خرقاً لضرورات الأكاديمية... إن ما كتبته في حقل التاريخ ـ ولله الحمد والمنة ـ يتحقق بهذه الضوابط والضرورات، وإلا لما حصلت أساساً على الماجستير والدكتوراه بأعلى الدرجات، ولما رقيت إلى مرتبة الأستاذية في التاريخ الإسلامي...

إن منطق العجز وحده هو الذي يدين الآخرين، وهم يغادرون بين الحين والحين مواقع تخصصهم لكي يكتبوا في مجال آخر، بعيداً عن الزنزانات التي تحاول أن تقيم أسلاكاً شائكة بين حقول المعرفة الإنسانية تمنع من العبور.

إن آخر تقاليد البحث في العلوم الصرفة نفسها تدعو إلى مشاركة الإنسان في الظاهرة العلمية... نوع من اندماج الذات في الموضوع... لنقرأ ما يقوله فتكنشتاين وسوليفان وكاريل بهذا الخصوص... معنى هذا أن اتساع الفضاء المعرفي للعالم، وكسر حاجز التخصص الدقيق عاد لكي يفرض نفسه، ليس فقط في الإنسانيات، وإنما في العلوم المحضة كذلك.

● **كيف يصبح الإنسان أديباً؟** ذلك هو السؤال... لعلّه التكوين النفسي والمطالعات الأولى... منذ اللحظات المبكرة كنت أتعامل بجملتي العصبية...

وكان فاصل الألم بيني وبين العالم منعدماً تقريباً... كان تحسسي للخبرات والتجارب والأشياء مرهفاً إلى حدّ الإعياء... باختصار شديد، لقد كنت أعيش الحياة (انطباعياً)... فاللون... الصوت... النأمة... الحركة... الإيماءة... هذا الأمر الصغير أو ذاك... يثير دائماً في نفسي رداً، أو استجابة بشكل من الأشكال... وكانت هذه الاستجابات المتراكمة التي قد تتجاوز أحياناً معادلها الموضوعي المتوازن إزاء الخبرة... تضغط علي... تريدني أن أقول شيئاً أو أن أفعل شيئاً، وإلّا آذت أعصابي... ولقد حاولت أن أستجيب للنداء بمحاولات مبكرة في عالم اللون... الرسم... فلما أخفقت، تحولت إلى (**الكلمة**)، وكانت الكلمة بالنسبة لي، ولا تزال، ليست وسيلة أو فرصة للتعبير فحسب، وإنما لنقل إحساسي بلون العالم، الأحمر أو الأخضر أو الرمادي، للآخرين، وبسبب من الإرهاف الملحّ الذي شكّل معظم الأدباء والفنانين تحولت الكلمة عندي، إلى ريشة ترسم وتلوّن وتشكّل القيم والخبرات، لا مجرد أداة أو آلية للتوصيل.

وعندما كنت أقرأ، والحالة هذه، كنت أرتشف القصة أو الرواية أو المسرحية أو القصيدة أو الرؤية الأدبية، كما يرتشف الإنسان كوباً من الشاي أو العصير اللذيذ... قطرة قطرة... وبمحاولة للتذوق والتلذذ والاختزان حتى آخر قطرة من العصير...

لا زلت أذكر زمن الدراسة الثانوية: لامرتين، وجبران، وهوغو، وتوفيق الحكيم، وطه حسين، وسيد قطب، والعقاد، والرافعي، وأبو ماضي، وشوقي، وإبراهيم طوقان، وديكنز، وموباسان، وغوته، وعلي الجارم، ومحمد عبد الحليم عبد الله، والعريان... وغيرهم كثيرون... لا زلت أذكر كيف كانت قصائد (دروس تاريخ الأدب) التي كنا نكلف بحفظها، تفرض عليّ حضوراً يصعب وصفه... كانت قصائد المعري والمتنبي وأبي العتاهية والبحتري تسكنني...

وكنت أجتاز المسافات الطوال تحت الشمس... في ربيع الموصل الحار... وأنا أستعيدها كي أتحرر منها... (أتطهر) بتعبير أرسطو... فما أزداد إلّا احتراقاً... وكان لا بدّ أن أقول شيئاً... والكلمات الأولى تقطر رومانسية في

معظم الأحيان، وتنطوي على حشود من الأخطاء والتناقضات والمبالغات والتهاويل... ولكنها ـ على أية حال ـ تعلّم... تعلّم كثيراً... كما أنها ـ وهذا هو الأهم ـ تخفف الضغط وتسمح للتوتر بأن يجد فرصته... ولكن الذي حدث ـ بالنسبة لي على الأقل ـ أنني ما كنت أقتنع بهذا على الإطلاق، فما كنت أزداد إلا توتراً واحتراقاً... ولقد أثّر هذا على صحتي وقادني إلى حافات المرض والإعياء.

من ثم فإنني، عندما فرض عليّ أن أختار الفرع الذي سأذهب إليه في كلية التربية، وجدتني أعاني لحظات صعبة، إذ كنت أخشى أن أندفع إلى قسم اللغة العربية فيسحقني مواته وأكاديميته المتضحلة، وعدم اعترافه بخبرة الطالب (الذاتية)، أو تحسس النار التي تشتعل تحت جلده... وقلت أذهب إلى التاريخ كي لا تضيعني الصدمة كما ضيعت الكثيرين ممن ذهبوا إلى هناك... أما تنمية الخبرة الأدبية فلسوف أتعامل معها من الخارج... وبالحرية التي لا يأسرها قيد...

ثم إن التاريخ نفسه قد يكون فرصة جيدة للتعامل الإبداعي مع الخبرة... وأذكر جيداً أنني لما دلفت إلى الدراسات العليا في التاريخ الإسلامي بعد ذلك بأربع سنوات، حاولت أن أكتب رسالتي بلغة شعرية، أو قطعاً منها على الأقل، ثم خشيت أن يعترض عليّ الآخرون... وبخاصة أستاذي المشرف... فإن لغة البحث التاريخي الجاد لا تترك أيما مساحة للشعر... هكذا خيّل إليّ أيام الصراع القاسي ذاك في البحث عن صيغة أو لغة أخرج بها رؤيتي للعالم...

ولكن وفيما بعد (بعد ست سنوات أخرى) يتبين لي بعد محاولات وقراءات عديدة، أن التاريخ في أعمق طبقة منه هو بالضرورة تشكيل شعري... فعل درامي بعبارة أخرى... وأنه قد يلتقي مع النص وشاعرية التعامل مع الحقائق والخبرات... وكتبت يومها مقالات عديدة في الدعوة إلى كسر حاجز النصية التاريخية التي أسرت الكثيرين، وإلى تحقيق لقاء ما أو توازن مناسب بين الكلمة والحقيقة... بين الأكاديمية والإبداع...

وكان كتابي المبكر عن (**ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز**) تعبيراً بشكل من الأشكال عن هذه القناعة التي أرسيت دعائمها في كتابي المبكر الآخر (**في النقد الإسلامي المعاصر**)، كما أنني عثرت على ضالتي في معطيات أزوالد اشنبكلر وأرنولد توينبي وكولن ولسون.

إن المؤرخ يتحتم أن يكون أديباً، وإلا فإنه لن يتجاوز ظاهر النص إلى عمقه المطلوب، ولا يبعد عن حافات الخبرة التاريخية باتجاه الوجدان البشري الذي شكلها... أما الأديب فإنه مؤرخ بالضرورة، فليس ثمة أدب يتحرك في الفراغ... لا بدّ له من زمن ومكان يستمد منهما ويتكئ عليهما ويشكل منهما فضاءه... وهذا في نهاية الأمر هو التاريخ.

● وكيف يتاح للإنسان **أن يقدّم هذا الكمّ الكبير** من الإنتاج في حقول التاريخ والفكر والأدب دراسة وتنظيراً ونقداً وإبداعاً؟!

تلك ـ بحق ـ منّة يمنّ الله بها، وفضل منه ﷻ، وبركة... أن تجد الفسحة الزمنية الكافية للإنتاج وسط زحمة المشاغل الوظيفية والأكاديمية والبيتية... وما أكثرها... وقد أعانني على هذا أنني منذ بدايات مبكرة ترجع إلى أيام العطل الصيفية في مرحلة البكالوريوس، كنت آخذ نفسي بنظام صارم للعمل (على المكتب) كما يقولون، فكنت أفرض عليها فرضاً (أربع ساعات) وخمس من الجهد اليومي في الكتابة (على تغاير توجهات هذه الكتابة)، وكانت تناديني أصوات مغرية، لترك العمل والذهاب هنا أو هناك، وممارسة هذه الهواية أو تلك، وما أكثرها وكانت نفسي تتوق إلى الاستجابة، لكن هاجساً كان يشدني من الداخل إلى الالتزام بنظام الساعات الأربع أو الخمس من العمل اليومي المتواصل.

حتى المطالعة كنت أكافح ضد إغرائها كي لا تسرق شيئاً من هذه الساعات، فإن موعدها في وقت آخر من اليوم، ولن أسمح أبداً أن تجيء على حساب الكتابة... بمرور الوقت تلبست تكويني النفسي حالة لا أرجوها للآخرين... نوع من القلق الممض.. من التشتت والتبعثر... من الإحساس بالملل

أو اللاجدوى، عبر كل زمن مستقطع من وقت الكتابة... أكثر من هذا: إحساس مرير الطعم بالندم... بأنني أمارس تفريطاً بواجب ما، بمهمة هي أكثر ضرورة وإلحاحاً من أية ممارسة أخرى...

كانت الحياة خارج دائرة الكتابة قلقاً وبؤساً وتسطحاً وتشتتاً... أشياء وخبرات تفقد طعمها بالمرة... وكان الهاجس يدق في جملتي العصبية كناقوط الماء... أكتب وأكتب وأكتب... فإن ساعات الكتابة يجب ألا تذهب أو تعطى لأي شيء آخر على الإطلاق... ويوماً بعد يوم كان الإنجاز بالنسبة لي هو الداء والدواء...

وكنت أغادر المكتب بعد ساعات العمل تلك وأنا أحس بسعادة غامرة يصعب وصفها... بامتلاء نفسي عجيب... بإحساس مترع بالأمل والجدوى... وبتذوق شهي لطعم الأشياء والخبرات... عندها فقط كانت أقل متعة... أبسط هواية... أتفه ممارسة... تسعدني وتملؤني بالغبطة.

بدون الكتابة ما كنت سعيداً على الإطلاق... ولكن هذه السعادة... هذا الإحساس الغامر بالفرح... ما كان يجيء إلا بعد معاناة قد تبلغ أحياناً حدّ أن أرغب في الفرار بعيداً... اليوم الذي أتحرر فيه من الأسر وأستعيد فيه نفسي... أو بعبارة أخرى، أعيد ترتيب حياتي بصيغة أخرى تماماً... والنتيجة؟ ويجيء الجواب: إنني بمرور الأيام وجدت طريقي في الكلمة نفسها... التقيت بفكاكي من الأسر على المكتب نفسه... **وبدون الإمساك بالقلم ومواصلة العمل فإن الحياة قد لا تستحق أن تعاش!!**

الفصل الرابع عشر

رحلتي مع الأسفار

[١]

رحلة عام ١٩٦٣م إلى سوريا ولبنان ومصر

الخميس ٧/١١: مغادرة بغداد مساء في حافلة شركة النيرن البرية إلى دمشق.

الجمعة: الوصول ظهراً إلى دمشق... جولة مسائية في المهاجرين... جلسة كازينو ولعب الشطرنج مع زميل السفر عبد الجبار ناجي (الدكتور فيما بعد).

السبت: جولات عديدة في الباص... سوق الحميدية... الجامعة... المسجد الأموي... المهاجرين... كازينو...

الأحد: صباحاً: إلى دمّر والهامة... مساء: الشيخ ابن عربي... شارع المهاجرين... كازينو... غضب غير مبرّر من الزميل عبد الجبار...

الاثنين: صباحاً: إلى بيروت... الاستقرار في بحمدون... مساء: جولة في بحمدون... كازينو... المبيت في الفندق.

الثلاثاء: صباحاً: إلى بيروت... الحجز على باخرة الإسكندرية... والعودة... مساء: كازينو ... فندق... إحساس بالملل...

الأربعاء: إلى الباخرة... جلسة رائعة ثم إحساس بالصداع ودوار البحر ومعالجته بالنوم... الخروج مساء إلى سطح الباخرة وجلسة الغروب الرائعة، ومحاولة تدوين المذكرات... فالغثيان فالهروب إلى النوم.

الخميس: صباحاً: الوصول إلى الإسكندرية... مساء: جولة على الكورنيش... إحساس قاس بالحنين... جولة في الإسكندرية.

الجمعة: صباحاً: جولة كبيرة... أداء صلاة الجمعة في أحد الجوامع... مساء: حضور عرض مسرحي لإسماعيل ياسين...

السبت: صباحاً: إلى القاهرة... مساء: جولات في الباص... حضور عرض أوركستالي...

الأحد: صباحاً: غضب غير مبرر من عبد الجبار... مساء: زيارة حديقة الحيوانات... الأهرام... كازينو قصر النيل.

الاثنين: صباحاً: القناطر الخيرية... مساء: حضور خطاب لعبد الناصر يهاجم فيه البعث السوري.

الثلاثاء: صباحاً: مشاهدة استعراض الجيش بمناسبة أعياد الثورة المصرية... مساء: العباسية... مصر الجديدة... مشاهدة عرض مسرحي كوميدي في المسرح العائم.

الأربعاء: صباحاً: البحث عن تذاكر لحضور مهرجان الشباب... جلسة كازينو... مساء: مهرجان الشباب في ستاد القاهرة.

الخميس: صباحاً: المتحف المصري... مساء: مشروع الصوت والضوء في الأهرام... جلسة في كازينو قصر النيل.

الجمعة: صباحاً: إلى الإسكندرية... مساء: فشل في محاولة الدخول إلى الاستاد... حديقة الخالدين... مشاهدة لمسرحية كوميدية أخرى لإسماعيل ياسين.

السبت: صباحاً: جولة في شوارع الإسكندرية... مساء: قصر رأس التين... الفرقة الاستعراضية.

الأحد: صباحاً: جولة في الشوارع... قصر المنتزه الرائع... مساء: حفلة أضواء المدينة.

الاثنين: صباحاً: شراء الهدايا... مساء: إلى الباخرة والعودة إلى بيروت.

الثلاثاء: الاستقرار في الفندق... غضب غير مبرر من عبد الجبار... كازينو الشاطئ.

الأربعاء: جولة في السوق لشراء الهدايا... مساء: استكمال الجولة... ثم التخطي البائس مع عدد من الزملاء الذين اصطحبونا في السفر والذين كانت تحاصرهم مطالبهم الحسّية...

الخميس: التحرر من الزملاء والتوجه منفرداً إلى بحمدون حيث قضيت أجمل الأوقات... مساء جلسة بائسة في الكازينو مع الزملاء الذين لحقوني إلى بحمدون... ثم العودة إلى بيروت...

الجمعة: السفر إلى دمشق عبر الطريق الرائع... مساءً: جولة في دمشق المهجورة بسبب محاولة الانقلاب الفاشل ضد البعث من قبل دعاة الوحدة...

السبت: صباحاً: جولة مسواق في سوق الحميدية... مساء: العين الخضراء... السيدة زينب.

الأحد: صباحاً: جولة في دمشق... مساء: إلى المهاجرين...

الاثنين: صباحاً: جلسة كازينو... مساء: سوق الحميدية.

الثلاثاء: صباحاً: الحميدية والمهاجرين... مساء: مضايا وبقين... نقاش حاد في الفندق مع أحد أذناب البعث.

الأربعاء: صباحاً: تسليم مقال نقدي لمجة حضارة الإسلام... مساء: قصر العظم... كازينو مغبرة في المهاجرين.

الخميس: فشل العثور على حجز للعودة إلى بغداد... ليلة شاقة في الفندق مع البراغيث...

الجمعة ٨/٩: العودة إلى بغداد...

[٢]

رحلة عام ١٩٦٧ م إلى مصر

الأحد ٨/١٣: الوصول إلى القاهرة مساء... وزيارة القزاز والأستاذ الدكتور حسن حبشي حول عملي في الدكتوراه تحت إشرافه.

الاثنين: حضور مناقشة أطروحة للدكتوراه في جامعة الأزهر للخولي الممثل الشخصي لعبد الناصر.

الثلاثاء: زيارة لحي النزهة حيث منزل عمر الطالب (الدكتور فيما بعد)... والقيام بجولة ليلية.

الأربعاء: حضور مسرحية ماري منيب الكوميدية (العريس مستعجل).

الخميس: جلسة في كازينو الأمريكين القريبة من فندق كراند أوتيل الذي أقطن فيه عند تقاطع شارعي سليمان نجيب و٢٦ يوليو... جلسة أخرى في كازينو قصر النيل مع الأصدقاء.

الجمعة: جلسة في متنزه الميريلاند بمعية عمر الطالب وتناول الغداء في شقته... تعقبها جولة مسائية.

السبت: مشاهدة مسرحية (الفرافير).

الأحد: زيارة للأهرام... جلسة في كازينو قصر النيل.

الاثنين: جولة في قلعة صلاح الدين... وأخرى في حديقة الحيوانات... ثم جلسة في الأمريكين.

الثلاثاء: جلسة صباحية في دار الكتب لمتابعة عملي في الأطروحة... مساء: الأمريكين.

الأربعاء: دار الكتب...

الخميس: دار الكتب... مساء: لقاء مع حبشي حول الأطروحة.

الجمعة: مساء: جولة في الجزيرة مع عمر الطالب وزميلين فلسطينيين... مشاهدة مسرحية (حلاق بغداد).

السبت: دار الكتب... مساء: شراء الهدايا وتوديع الزميل محمود التكريتي (الدكتور فيما بعد).

الأحد: دار الكتب... مساء: أمسية في كازينو قصر النيل مع محمد سعيد التكريتي (الدكتور فيما بعد ورئيس جامعة الموصل لعدة سنوات... ورئيس اتحاد الجامعات العربية).

الاثنين: دار الكتب... مساء: المقطم... السيرك القومي.

الثلاثاء: زيارة في بيت عبد القادر طليمات المكلف بقراءة بعض فصول أطروحتي.

الأربعاء: دار الكتب... مساء: في الأمريكين.

الخميس: دار الكتب... مساء: مسرح العرائس.

الجمعة: صباحاً: تأدية صلاة الجمعة في مسجد الشافعي... مساء زيارة لبرج القاهرة.

السبت: دار الكتب... مساء: جلسة في كازينو الجوهرة في العتبة.

الأحد: صباحاً: متنزه الميريلاند وغداء في بيت عمر الطالب.

الاثنين: دار الكتب... مساء: في الفندق...

الثلاثاء: دار الكتب... مساء: عشاء وحوار مع حبشي وطليمات.

الأربعاء: دار الكتب... مساء: تبييض في الفندق.

الخميس: صباحاً: المنيل... مساء: الفندق.

الجمعة: قراءة في الأطروحة على طليمات...

السبت: دار الكتب... مساء: جروبي...

الأحد: دار الكتب... مساء: الفندق.

الاثنين: دار الكتب... مساء: الفندق.

الثلاثاء: دار الكتب... مساء: كازينو ايفرست بمعية سالم الحمداني (الدكتور فيما بعد).

الأربعاء: دار الكتب... مساء: كتابة خواطر في الفندق.

الخميس: دار الكتب... مساء: مع طليمات...

الجمعة: مع عمر الطالب والزملاء الفلسطينيين في جولة بالزورق عبر النيل... وأمسية في كازينو قصر النيل.

السبت: دار الكتب... مساء: في الفندق.

الأحد: دار الكتب... مساء: في الفندق.

الاثنين: دار الكتب... مساء: مع عمر الطالب والشاعر البياتي في متنزه ميريلاند.

الثلاثاء: دار الكتب... مساء: في الفندق.

الأربعاء: دار الكتب... مساء: في الفندق.

الخميس: صباحاً: جامعة عين شمس... مساء: زيارة لشقة سالم الحمداني... جولة على الكورنيش.

الجمعة: صباحاً: الميريلاند وغداء مع عمر الطالب... مساء: شبرا... وحدائق جروبي.

السبت: دار الكتب... مساء: في بيت حبشي بمعية الأخ نشاط الفخري الملحق الثقافي العراقي.

الأحد: دار الكتب... مساء: في الفندق.

الاثنين: دعوة غداء في شقة جليل (الدكتور فيما بعد)... مساء: في الفندق مع مسرحية فؤاد المهندس على الشاشة الصغيرة.

الثلاثاء: دار الكتب... مساء: في الفندق.

الأربعاء: دار الكتب... مساء: مع الحمداني في كازينو قصر النيل.

الخميس: دار الكتب... مساء: مع الزميلين الفلسطينيين مصطفى وسليمان في كازينو قصر النيل.

الجمعة: مع الحمداني وعرض تلفازي لمسرحية كوميدية لفؤاد المهندس...

السبت: دار الكتب... مساء: في الفندق.

الأحد: دار الكتب... مساء: في الفندق.

الاثنين: صباحاً مع الدكتور حبشي في جامعة عين شمس... مساء: في الفندق.

الثلاثاء: دار الكتب... مساء: في الفندق، مشاهدة سباق في كرة القدم على الشاشة الصغيرة.

الأربعاء: دار الكتب... مساء: في الفندق.

الخميس: صباحاً: شراء الهدايا... مساء: مع الحمداني إلى شقة عمر الطالب.
السبت ١٠/٧ إنجاز جملة أعمال معلقة... استكمال شراء الهدايا... توديعات...

[٣]

رحلة عام ١٩٦٨م إلى مصر

الاثنين ١/٢٢: مغادرة بغداد بالطائرة... والمبيت في دمشق بسبب عطل في الطائرة... والانطلاق صباح اليوم التالي إلى القاهرة... الوصول ظهراً... وزيارة عبد الخالق عبدال (الدكتور فيما بعد) لتسليمه أمانة نقدية في شقته بجاردن ستي.

الثلاثاء: حضور مناقشة أطروحة أحمد إبراهيم الشريف...

الأربعاء: زيارة للقزاز... وأخرى لشقّة الطلبة العرب حيث الزميلين الفلسطينيين مصطفى وسليمان.

الخميس: مشاهدة مسرحية الحرافيش...

الجمعة: غداء في بيت القزاز... لقاء مع الدكتور حبشي... جلسة في الأمريكين مع زميل مصري يدعى (أحمد).

السبت: في جروبي مع قتيبة الجادر.

الأحد: مسرحية ليالي الحصاد في المسرح القومي.

الأربعاء: ثلاث مسرحيات ذات فصل واحد في مسرح الجيب.

الخميس: جولة مع أحمد المصري في متحف الفن الإسلامي ونادي الزمالك والأزبكية والأميريكين.

الجمعة: جلسة مسائية في مقهى علي بابا المطل على ساحة التحرير.

السبت: جلسة مسائية في مقهى علي بابا... ثم حضور عرض سيمفوني في قاعة سيد درويش.

الأحد: مساء مع حشد من الأقرباء القادمين من الموصل لمشاهدة مسرحية (ابن مين بسلامته؟)

الاثنين: زيارة لجامعتي عين شمس والقاهرة.

الثلاثاء: صباحاً: مع المجموعة الموصلية في زيارة خان الخليلي... وجادون سيتي.

الأربعاء: صباحاً: مع المجموعة في زيارة حديقة الحيوانات.

الخميس: صباحاً: مع المجموعة في زيارة قصر عابدين... جلسة في الاميريكين... مساء: مع الدكتور حسن حبشي.

الجمعة: صباحاً: مع المجموعة في منتزه الميريلاند... مساء: زيارة لشقة الزميل الفلسطيني مصطفى.

السبت: صباحاً: مع المجموعة إلى حلوان ومتحف الشمع... مساء: مشاهدة مسرحية (رجال بلا ظلال).

الأحد: صباحاً: مع المجموعة إلى القناطر الخيرية... مساء: في جروبي... ثم مسرحية (البغل في الإبريق).

الاثنين: صباحاً: مع أكرم العمري (الدكتور فيما بعد)... مساء: الاميريكين ومحمد سعيد التكريتي.

الثلاثاء: صباحاً: فطور بدعوة من أحمد الدباغ... زيارة مع المجموعة لقلعة صلاح الدين... مساء: جولة في السيارة مع جمال جميل الذي يعمل في السفارة العراقية... ثم مشاهدة مسرحية الريحاني.

الأربعاء: صباحاً: مع أكرم العمري... مساء: يخت دليلة مع المجموعة ثم مشاهدة مسرحية (يا بهية).

الخميس: صباحاً: الزمالك... ميريلاند مع المجموعة... مساء: مسرحية العريس في إجازة في مسرح الريحاني.

الجمعة: صباحاً: توديع المجموعة الموصلية... مع أكرم العمري في الأزبكية... مساء: ميريلاند مع أحمد المصري.

السبت: صباحاً: جامعة عين شمس... مساء: حديقة الحيوانات... اليخت دليلة.

الأحد: صباحاً: جامعة عين شمس... مساء: مع صديق سعودي ثم محمد سعيد التكريتي في كازينو الناسيونال.

الاثنين: صباحاً: مع الأستاذ الدكتور عبد الهادي شعيرة لإبداء ملاحظاته حول الأطروحة... مساء: ميريلاند ثم الأزبكية مع أحمد المصري.

الثلاثاء: صباحاً: جامعة عين شمس... مساء: الاميريكين...

الأربعاء: صباحاً: جامعة القاهرة... مساء: ناسيونال مع الدباغ.

الخميس: صباحاً: دار الكتب... مساء: شقة مصطفى... مسرح الجيب... اليخت دليلة...

الجمعة: صباحاً: الأميريكين... أداء صلاة الجمعة... مساء: اليخت دليلة لتناول العشاء مع محمد التكريتي.

السبت: صباحاً: جامعة عين شمس وتحديد موعد المناقشة... مساء: حضور حفلة سيمفونية.

الأحد: صباحاً: جامعة عين شمس وانفجار التظاهرات الطلابية... مساء: زيارة لبيت القزاز...

الاثنين: صباحاً: زيارة لبيت شعيرة لمتابعة عملي في الأطروحة... مساء: دعوة غداء في بيت أحمد المصري... ثم جولة في الزمالك وجلسة في الاميريكين.

الثلاثاء: صباحاً: جولة في شارع قصر النيل... جلسة ملل في كازينو قبالة دار الكتب... مساء: جولة وجلسة في الناسيونال مع سليمان ومصطفى...

الأربعاء: تناول وجبة الصباح في بيت الطلبة الفلسطيني.. جلسة في الميريلاند... ونقاش حاد في الفندق...

الخميس: صباحاً: في الأميريكين... جولة سأم إلى دار الكتب... جومترب... مساء: جلسة في كازينو علي بابا... مشاهدة عرض القبة السماوية... إحساس بالملل والضياع وإرهاق الأعصاب... مشاهدة مسرحية كوميدية على الشاشة التلفازية بعنوان (زنقة الستات).

الجمعة: صباحاً: جلسة في الأميريكين وسط أجواء متربة... مساء: في بيت القزاز... ثم في الأميريكين وإحساس عميق بالانسجام...

السبت: صباحاً: بيت حبشي والبشرى السارة بالموافقة على تحديد موعد النقاش، بعد تعطيله بسبب تظاهرات الطلبة... مساء: مع أحمد والسعودي في جروبي.

الأحد: صباحاً: جامعة عين شمس وصدور الموافقة على النقاش... مساء: خطاب عبد الناصر.

الاثنين: صباحاً: الحجز للعودة إلى العراق... وإنجاز جملة مطالب في المجمع... وجلسة مراجعة للأطروحة في الميريلاند استعداداً للمناقشة بعد يومين... مساء: مشاهدة مسرحية القرابين...

الثلاثاء: صباحاً: جامعة عين شمس... السفارة العراقية لإنجاز بعض المعلقات... مساء: التفتيش عن كاميرا مع أحمد المصري وأخيه... التهيؤ للمناقشة.

الأربعاء: صباحاً: مناقشة الأطروحة بحمد الله ﷻ وحصولها على درجة الشرف... مساء: زيارة لبيت الطلبة العرب... ثم دعوة عشاء وتوديع في بيت الدكتور حسن حبشي...

الخميس ٣/٧ السفر إلى بغداد... ومنها إلى الموصل...

[٤]

رحلة عام ١٩٧٠ م إلى لبنان وسوريا

الجمعة ٢/٦: في الطائرة إلى بيروت... الوصول والاستقرار في فندق أنيق في شارع الحمراء... جولة في الحمراء...

السبت: صباحاً: دار الإرشاد... تناول الغداء في ساحة البرج... مساء: جولة على الكورنيش... جولة أخرى في الباصات... جلسة طيبة في كازينو ستراند في شارع الحمراء...

الأحد: صباحاً: جولة باصات... كازينو البرج... مساء: جولة في جنوب بيروت... جلسة في كازينو ستراند.

الاثنين: صباحاً: دار الإرشاد... غداء في بيت مدير دار الإرشاد عادل عاقل... مساء: اتفاق حول نشر مسرحيتي (المأسورون)... انشراح نفسي وجو جميل...

الثلاثاء: صباحاً: في كازينو ستراند مع توفيق الطيب مدير الدار العلمية وعويجة... جلسة في شقة الطيب لمناقشة جملة أمور بحثية... غداء في مطعم الأمين في شارع الحمراء... مساء: توصيل الحاج عويجة إلى المطار... ثم جلسة مع الطيّب في ستراند.

الأربعاء: صباحاً: زيارة لدار الإرشاد وحوار ممتع... تسليم مسرحية (المأسورون)... حوار مع توفيق الطيب في ستراند... غداء في مطعم الأمين... مساء: حيرة السفر إلى دمشق للبحث عن ابنة الحلال... ثم قرار بالسفر... شيء من الانقباض لدى الوصول... جولة وتناول العشاء.

الخميس: صباحاً: إحساس بخيبة الأمل بصدد العثور على ابنة الحلال المناسبة... زيارة للجامعة وأخرى لمجلة (حضارة الإسلام)... جلسة في الكازينو... زيارة أخرى للحضارة وجلسة ممتعة مع الدكتور أديب الصالح رئيس تحرير (حضارة الإسلام)... ولقاء مع مجموعة من الأصدقاء... الغداء... ثم جلسة طيبة مع ثلة من الأصدقاء في السطح المشمس لأحد الدور... مساء: شارع المهاجرين... كازينو... جلسة مع التلفزيون في الفندق...

الجمعة: دعوة على الفطور من الأخ الدكتور أحمد فرحات... الانطلاق إلى بيروت وصلاة الجمعة في مسجدها الكبير... جلسة تنقيح في الفندق... ثم غداء في الأمين، وعودة إلى العمل في التنقيحات المتراكمة يصيبني بالتوتر والاكتئاب... جلسة سريعة في ستراند... وعودة إلى العمل...

السبت: مكالمة من الأخ إبراهيم المصري... عمل سريع وقلق بسبب ضيق الوقت... زيارة لدار الإرشاد... غداء في كازينو البحر... انسجام لإكمال الكثير

من القضايا المعلقة... مساء: لقاء مع عادل عاقل في الفندق... جولة مشتريات في شارع الحمراء.

الأحد: صباحاً: مشتريات وجولة في الأسواق... مساء: جولة على الكورنيش مع حشد من الأصدقاء... تناول عشاء لبناني لذيذ في أحد المطاعم... أمسية شاي في بيت أحد الأصدقاء... العودة للفندق والتخلص من تنقيح آخر فصل في كتاب (عماد الدين زنكي).

الاثنين: صباحاً: تثبيت موعد الحجز للعودة... جولات في الباص... جلسة ممتعة على الكورنيش... مساء: في شقة توفيق الطيب... ثم في كازينو ستراند... وترتيب نشر (ملامح الانقلاب) مع الدار العلمية للطيب.

الثلاثاء: رحلة طيبة مع الأخ الأستاذ إبراهيم المصري إلى طرابلس... جولة في المدينة... تناول الغداء ثم جولة أخرى... الحضور في المركز الإسلامي وإلقاء كلمة عن مشروعي القادم (التفسير الإسلامي للتاريخ) أمام ثلة من المدعوين وعلى رأسهم الأخ فتحي يكن (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)... ثم العودة في أجواء ماطرة إلى بيروت... واستكمال الأمسية في ستراند.

الأربعاء ٢/١٨: صباحاً: جو عاصف... تقديم موعد السفر... تنظيم الأغراض... مساء: التوديع... عودة مريحة في الطائرة إلى بغداد... حيث الأجواء المترعة بلون الطين...

[٥]

رحلة عام ١٩٧١ م إلى سوريا ولبنان

الاثنين ٧/٢٦: تناول وجبة باجة مع زميل السفر الدكتور عمر الطالب والانطلاق إلى محطة القطار، حيث الأوتومتريس الذي يقل المسافرين إلى حلب في رحلة طيبة... الوصول إلى حلب مع الغروب وتناول العشاء اللذيذ في أحد مطاعمها الشعبية... جولة تخطي في شوارع حلب... ثم الذهاب إلى معرض سوق الإنتاج وشراء بعض المشتريات... والعودة للجلوس في إحدى الكازينوات...

الثلاثاء: صباحاً: جولة في الأسواق التراثية... جلسة ممتعة في كازينو مقابل القلعة... زيارة للقاص السوري وليد إخلاصي... مساء: كازينو الحمراء... جولة في منطقة الأرمن... حديقة الشعب والإحساس بالانسجام... كازينو السبيل وتناول العشاء.

الأربعاء: صباحاً: الحجز على القطار الذاهب إلى بيروت... زيارة أخرى لوليد إخلاصي... القلعة... مساء: جولة في الباصات... حديقة الشعب... معرض سوق الإنتاج ومشتريات أخرى... كازينو السبيل.

الخميس: أوتومتريس متعب... بيروت... بحمدون... البحث عن فندق مناسب... قلق الاستقرار... كازينو الشامات... وجولات مسائية في شوارع بحمدون.

الجمعة: صباحاً: إلى بيروت... دار الإرشاد... الدار العلمية... أداء صلاة الجمعة... تقييمات سخية عن كتابي (ملامح الانقلاب)... مساء: البقاء في بحمدون.

السبت: جولة طويلة في دور النشر بحثاً عن ناشر لبعض أعمال عمر الطالب... ثم العودة إلى بحمدون، وأمسية طيبة في كازينو الشامات لمتابعة أخبار محاولة الانقلاب الشيوعي الفاشلة في السودان... على الصحف...

الأحد: صباحاً: رحلة إلى عاليه في أجواء غائمة والجلوس في إحدى كازينواتها... ثم العودة إلى بحمدون... مساء: النزول إلى بيروت وجولة في فنادقها الراقية بحثاً عن أحدها لقضاء أسبوع العسل مع خطيبتي فيه... جلسة في كازينو ستراند... وجولة مسواق في البرج... والعودة في سيارة مسرعة إلى بحمدون... أمسية في الشامات...

الاثنين: صباحاً: زيارات لدار الإرشاد والدار العلمية ومؤسسة الرسالة... توصيل رسائل من الموصل إلى أصحابها... إحساس بالانشراح النفسي... مساء: جولة في بحمدون... جلسة ضحك في الشامات... تصفح كتابي الجديد الذي أصدرته الدار العلمية (عماد الدين زنكي) والإحساس بالانسجام.

الثلاثاء: جولة في دور النشر... غداء في الأمين... ستراند... موعد في الدار العلمية لتصفية المعلقات... بحمدون.

الأربعاء: صباحاً: الدار العلمية... زيارة لصحيفة الشهاب والاطلاع على حشود مقالاتي في أعدادها المتلاحقة... غداء في الأمين... مساء: موعد في الدار العلمية لحل المشاكل... بحمدون...

الخميس: دار عويدات... الدار العلمية... مؤسسة الرسالة والاتفاق على نشر اثنين من أعمالي فيها... بحمدون... وجلسة طيبة في مقهى الطرابلسي مع الحاج أحمد النيلة (رحمه الله) مدير المكتبة العامة في الموصل.

الجمعة: جلسة حوار مع محمد المجذوب... زيارة للناشرين... أداء صلاة الجمعة... انشراح نفسي... بحمدون... جلسات عديدة في كازينوات أرليكان والطرابلسي والشامات... وقراءة الصحف اليومية.

السبت: جولة في دور النشر... أمسية في ستراند والروشة... حوار وشعر مع توفيق الطيب...

الأحد: رحلة إلى مغارة جعيتا بمعية عمر الطالب... إحساس بالضجر في بحمدون...

الاثنين: جولة مشتريات مكثفة في بيروت... صباحاً ومساءً...

الثلاثاء: صباحاً: إنهاء أعمال الناشرين والتوديع... متاعب ترتيب الغراض والسفر إلى دمشق... النزول في فندق أمية... انشراح في المساء... زيارة لأسواق الحميدية... جولة في المهاجرين... وأمسية في إحدى كازينواتها...

الأربعاء: صباحاً: زيارة لحلبوني ومجلة الحضارة وجامعة دمشق... مساء: دعوة عشاء بمعية الصالح وهويدي في مصايف مضايا وبقين... حيث يدور نقاش محزن عن أوضاع العمل الإسلامي... وبداية الإحساس بالمتاعب الصحية.

الخميس: صباحاً: رحلة بمعية الطالب إلى الزبداني وبلودان... مساء: قلق المشتريات... عشاء دسم ومزعج... قلق تنظيم الغراض.

الجمعة: إلى حلب... آلام لا تطاق عبر الطريق... تمزق بالأمعاء في الفندق... مراجعة طبيب لا يعرف كيف يشخص الحالة فيزيدها أواراً... نثبت الحجز للعودة... ازدياد الألم والتقيؤ عبر الطريق... عمر الطالب يكتشف الأعراض حيث نقوم بالبحث عن مستشفى أهلي يؤشر طبيبها المختص على التهاب شديد في الزائدة الدودية واحتمال انفجارها في أية لحظة... ويؤكد على ضرورة إجراء مداخلة جراحية صباح اليوم التالي... العودة المترنحة إلى الفندق... وليلة قاسية...

السبت: التوقيع على إجراء العملية وسط لحظات من الرعب... الاستيقاظ من تأثير المخدر وإحساس هائل بالفرح بسبب نجاح العملية... ثم ما تلبث حالات الاختناق شبه الكامل في النفس، وتصلب الفقرات، والعطش المحرق... والرغبة العاتية في أن أكون في بلدي... أن تتناوشني عبر الأيام التالية.

الأحد: يوم شبيه بسابقه...

الاثنين: الحقنة وشيء من الارتياح... صعوبة الحركة والقلق... تنفس اصطناعي... حالة نفسية صعبة بسبب سفر الصديق عمر الطالب.

الثلاثاء: شيء من التحسن النسبي... حالات من الألم والاختناق... زيارات متواصلة لعدد من الأصدقاء الحلبيين والعراقيين... الانتقال بفضل الله ــز إلى دار الأخ الأديب محمد الحسناوي (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)... وقضاء ليلة قاسية لولا أن تتداركني عناية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكون زوجته ممرضة تعرف كيف تضمد الجراح...

الأربعاء: تحسن عام... أمسية مع عدد من الأدباء الشاميين...

الخميس: استمرار التحسن... أمسية مع الأصدقاء... النوم القاسي في الشرفة مع أصوات الدراجات البخارية التي تعرف كيف تحطم الأعصاب... والأرق... ونزيز الجرح...

الجمعة: مراجعة الطبيب والارتياح للنتائج الطيبة...

السبت: مع المضمد وآلام نزع الخيوط... والتخوف من الضماد القادم.

الأحد: ارتياح عام... وأمسية مع الأصدقاء.

الاثنين: الضماد الأخير بلا ألم... انشراح نفسي كبير... جلسة استرخاء في كازينو قبالة المستشفى والإحساس بالحرية والفرح العميق... أمسية ممتعة مع الزيبق والعاصي والطنطاوي... وقراءة الصحف.

الثلاثاء: مطالعات ممتعة في الصحف... الإحساس المتزايد بالجوع والتهام وجبة رائعة من اللحم بعجين... جلسة مسائية في كازينو الحديقة وشيء من التوتر بسبب تعليق أحد الحضور...

الأربعاء: انتظار غير مجدٍ لدى الطبيب... توتر نفسي... زيارة لمكتبتَي الرسالة والأصمعي... مساء: الضماد النهائي والفرح العميق... شراء لعبة جميلة لابنة الأخ العزيز الحسناوي... جلسة في كازينو الحديقة... أرق عبر الليل...

الخميس ٨/٢٦: الوداع والارتياح العميق... القطار والانسجام... تجاوز قلق التفتيش بسبب وضعي الصحي... الوصول والاستقبال... والنوم العميق في سطح الدار...

[٦]

رحلة عام ١٩٧٤ م إلى لبنان وسوريا

أنهيت مسألة الحجز على طائرة **الجمعة** ٨/٢ بعد متاعب كثيرة وغادرت الموصل في أول الشهر في القطار المتجه إلى بغداد... قضيت ساعات طيبة في الحديث مع مسافر أرمني كان يستقل العربة نفسها، وهو نسيب المصور المشهور مراد الداغستاني (رَحِمَهُ اللهُ)... وعندما صعدت إلى المقعد العلوي القريب من السقف لأنام، سيطر عليَّ وهم الاختناق، وأحسست كما لو أنني وضعت في زنزانة ضيقة موصدة النوافذ والأبواب، وأن الهواء المتبقي سوف يفسد شيئاً وشيئاً... وأنني سأختنق عما قريب، وعبثاً حاولت دفع الوهم، فكنت أشبُّ بين الحين والحين محملقاً في أرجاء العربة، مصمماً على ألا أعود إلى ركوب القطار في مستقبل الأيام أبداً... وأخيراً تمكن النوم مني ولم أستيقظ إلّا قريباً من بغداد.

وضعت حقائبي في أحد الفنادق ونزلت لكي أتجول وأتناول وجبة الصباح ريثما يحين موعد اتجاهي للمطار... وفي الطريق ألتقيت أحد أصدقاء الكلية القدامى، فجلسنا في إحدى المقاهي نتحدث عن الماضي الشقي السعيد ونجترّ ذكرياتنا الحلوة المرة...

تحركت الطائرة بعد متاعب سببها كثرة المسافرين... وأمضينا ساعة ممتعة في الأجواء... وبعد أن أنجزت معاملات مطار بيروت، ركبت ـ خطأ ـ سيارة تابعة للطيران اللبناني، وبعد جولة مرهقة أوصلني سائقها إلى ساحة البرج، حيث ركبت سيارة أخرى في طريقي مباشرة إلى مصيف بحمدون.

كنت أحمل معي همّ إيجاد مكان مناسب في أحد الفنادق، ولكنني ما أن بحثت في أربعة فنادق أو خمسة حتى عثرت على مكان متواضع في فندق غير مريح... وخرجت بعد قليل في جولة عبر شوارع بحمدون... إلا أن التعب المستمر والأرق والإجهاد أصابتني بإعياء شديد، بحيث إنني أستطعت، رغم تعاسة المكان، أن أنام بضع ساعات واستيقظت والقلق يتناوشني من كل جانب: فالفندق يخلو من دورة مياه شرقية، والماء فيه قليل، والغرفة مظلمة تقبض القلب، وهناك في نفس الغرفة ثلاثة مسافرين عراقيين لم أشعر بانسجام حقيقي معهم...

استأنفت عملية البحث عن مكان جديد، وما أن اجتزت الشارع باتجاه الفندق المقابل، حتى وجدت المكان الوحيد هناك، ولحسن الحظ فإن المسافر الذي كان يحتل أحد سريري الغرفة كان من معارفي، وهو الأخ سالم الراوي مفتش اللغة العربية في الموصل (رحمه الله)... ومنذ تلك اللحظة بدأت أشعر بالاستقرار، وتبدد القلق، وأخذ الانشراح يغمر نفسي بعد يوم من المتاعب... وسرعان ما غادرت بحمدون، بعد أن نظمت متاعي، إلى بيروت حيث انتهى بي المطاف إلى مؤسسة الرسالة (الشركة المتحدة)، وحيث استطلعت أخبار الناشرين ومصائر كتبي المخطوطة والمطبوعة... وبعد الظهر عدت إلى الفندق لكي أتغدى وأنام نومة طيبة استيقظت بعدها وأنا أحسّ بانشراح تام... وقمت ـ

كعادتي ــ بجولتي العصرية الممتعة في بحمدون... وبعد العشاء خرجت والمسافر الذي يقطن معي وصديق آخر من الموصل (هو الأخ عبد المجيد الصائغ)، الذي كان يمثل يومها لسان حال الثورة الليبية في العراق، إلى كازينو أرليكان حيث قضينا أمسية ممتعة.

في اليوم التالي قررت أن أقوم برحلة إلى بعض مصايف لبنان، التي لم أكن قد شهدتها من قبل، واتجهت إلى بيروت ومن هناك ركبت الباص الذي يجتاز أربعةً من هذه المصايف... بكفيا... ظهور الشوير... بولونيا... المروج... كنت أحسّ بانشراح عميق، ورغبة لذيذة في الاندماج بالطبيعة، وفي معانقة بدائع صنع الله ﷻ... وفي التهام القرى الجميلة التي كنا نمر بها... تجولت عبر الشوارع، ودخلت الكنائس، واشتريت بعض الحاجيات، وقطعت مسافة طويلة عبر الغابات، ثم انتهى بي المطاف إلى إحدى الكازينوات، حيث ارتحت قليلاً وقرأت إحدى الصحف ثم قفلت عائداً إلى بيروت.

الاثنين: استأنفت الاتصال بالناشرين، وتمكنت من تصفية الكثير من حساباتي مع دار الإرشاد والشركة المتحدة... وفي المساء قضيت أمسية ممتعة مع الصديقين الموصليين.

الثلاثاء: جاءني إلى الفندق صباحاً أخي نبيل (رحمه الله) ورفيقيه هيثم وهمام الخفاف (اللذين سيقدر لهما ان يكونا من ألمع الأطباء الاختصاصيين)، فاتجهنا إلى بيروت حيث التقطنا بعض الصور التذكارية، ومنها إلى مغارة جعيتا التي قضينا فيها ساعات ممتعة ثم قفلنا عائدين لنتجول قليلاً في أسواق بيروت ثم نستأنف طريقنا إلى بحمدون.

جلسنا عصراً في شرفة كازينو أرليكان الرائعة... وعندما كنت أهم بمغادرة المسجد بعد صلاة المغرب إذا بي أفاجأ بأصدقاء حلب الثلاثة ينتظرونني هناك: عبد الله الطنطاوي، وإبراهيم عاصي (رحمه الله) ومحمد الحسناوي (رحمه الله)... وبعد عشاء طيب اتجهنا إلى فندق لوناهاوس حيث قضينا أمسيتنا، واتفقنا أن نلتقي غداً صباحاً في بيروت بمعية أخي وزميليه...

الأربعاء: التقينا بالأصدقاء وقمنا بجولة ممتعة في الزيتونة، والتقطنا عدداً من الصور، ثم قطعنا شوطاً متعباً ولكنه ممتع على الكورنيش البحري في طريقنا إلى كازينو الروضة الجميلة، حيث أمضينا ساعة أو ساعتين.

غادرنا بعدها إلى بيروت... حيث اضطررت للبقاء ثلاث ساعات أخرى بعد أن أخبرني أحدهم بوجود صاحب الدار العلمية في محل عمله، وقد صفيت خلال هذه الساعات معظم حساباتي ومشاكلي المعقدة معه، وشعرت بارتياح عميق وأنا أغادر المكان لكي أتناول غداء بسيطاً وأعود إلى المصيف.

في المساء كانت جلسة وعشاء ممتعين في كازينو الجندول عند أطراف بحمدون مع صاحب الشركة المتحدة (رضوان دعبول) وأخيه (الدكتور موفق دعبول)، ناقشنا فيها بعض قضايا النشر وثبتنا خلالها عدداً من النقاط.

الخميس: يكاد يكون هذا اليوم من أمتع أيام سفري وأكثرها نجاحاً أيضاً... فلقد تمكنت من تصفية بقية مشاكلي وحساباتي مع دار الإرشاد والدار العلمية بشكل نهائي... وقمت بجولة في عدد من دور النشر، في محاولة لاختراق الحصار، وإيصال كتبي إلى القراء خارج نطاق الجماعات الإسلامية... وانتهى بي المطاف في دار العلم للملايين، حيث أبدى صاحبها منير البعلبكي (رحمه الله) ترحيبه بكتابي (التفسير الإسلامي للتاريخ). واتفقنا على أن أراجعه بعد أربعة أيام المعرض لمعرفة النتيجة النهائية، بصدد نشر الكتاب أو عدمه، وغادرت الدار وأنا أحسّ بانشراح غامر وبانتصار نفسي عميق، لولا أن دهمتني متاعب التفكير بمسألة تعضيد الكتاب، واحتمال ضياع الفرصة بسبب تسرعي في نشر الكتاب... إلّا أن الفرحة كانت أكبر من كل شيء...

في المساء التقينا ـ حسب موعد مسبق ـ مع الأصدقاء الحلبيين، وخرجنا في جولة ممتعة قبيل الغروب، في الطريق الهادئ الرائع المفضي إلى فندق الصخرة، حيث كان أحد الإخوة من الأدباء الحلبيين على موعد مع الشاعرة العراقية (نازك الملائكة)... وبعد عشاء ممتع انتهى بنا المطاف إلى كازينو أبي الشامات، حيث قضينا ساعة في الضحك والتعليقات والتحليلات...

غادر بعدها الأصدقاءُ المكانَ لمقابلة الشاعرة العراقية (نازك الملائكة)، واتجهنا نحن لكي نلعب (الفلبرز)، ونتفرق بعدئذ إلى فنادقنا، حيث كنت أقضي ساعة أو ساعتين في أحاديث وذكريات متنوعة مع الصديق (سالم الراوي).

الجمعة: التقينا مع الأصدقاء في بيروت، وبعد جولة سريعة في أسواقها اتجهنا إلى كازينو (الروضة) على البحر، وبعد ساعتين ممتعتين... استجبنا لعرض الأصدقاء في الغداء سوياً في كازينو الحاج داود المطلة على البحر... ولقد كان غداء شهياً من السمك المقلي، عدنا بعده إلى البنسيون الذي يقطنون فيه، والذي ذكرني برواية نجيب محفوظ الشهيرة (ميرامار). وبعد نومة قصيرة متقطعة، غادرنا المكان في جولة شيقة طويلة، عبر شارع إدريس والحمراء، لكي ينتهي بنا المطاف عند صخرة الروشة على البحر... وهناك التقينا بالأصدقاء الحلبيين، واتجهنا بعد أخذ ورد إلى كازينو الروضة لكي نتناول عشاءنا... إلا أن كآبة أحدهم وانقباضه النفسي سرى بعدواه إلى نفوسنا جميعاً وأحال الأمسية إلى إزعاج بالغ... وما لبثنا بعد منتصف الليل أن عدنا إلى المصيف وأنا أحسّ بملل يغمر وجودي كلّه...

السبت: استيقظت صباحاً وأنا أحمل قلقاً وتردداً واكتئاباً بسبب المهمة التي كلفني بها الصديق السوري إبراهيم عاصي (رَحِمَهُ اللهُ) بصدد كتابة مقدمة لمجموعته القصصية... وأخيراً قررت أن أبقى في بحمدون لإنجاز المهمة... وفي كازينو أبي الشامات، وبعد دقائق من البدء في الكتابة شعرت بارتياح كامل، وبتلك المتعة الغامرة التي أحسّها كلما أقدم على عمل فكري أو فني أشعر أنني أقطع خطوات ناجحة فيه... ولم تحن الساعة الثانية عشرة ظهراً حتى كنت قد أنجزت المقدمة، وغادرت المكان وأنا أحمل رضاً عميقاً عما كتبته، وإحساساً بأنني أزحت من طريقي عبئاً مرهقاً...

في المساء قمنا بجولة في مصيف عاليه، واتجهنا بعدها إلى سوق الغرب في موعد مع عدد من الأصدقاء والشيوخ، الدكتور عبد القدوس أبو صالح

والشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة (ﷺ)... وهناك عبر جلسة هادئة في كازينو تطل شرفتها على بيروت والبحر والميناء... قضينا ساعة أو ساعتين في حوار يتأرجح بين الجد والهزل... وبعد صلاة المغرب، غادرنا المكان إلى بحمدون لكي ينتهي بنا المطاف في كازينو الطرابلسي، حيث التقيت بالعاصي جانباً ورحت أقرأ له المقدمة... وسرعان ما رأيت ملامح عدم الارتياح لبعض المقاطع النقدية تكسو وجهه... ودهمني رد الفعل... وشعرت بأنني ارتكبت خطأً كبيراً بقبولي كتابة المقدمة... وأخيراً تم الاتفاق على صيغة أكثر اعتدالاً...

الأحد: التقينا صباحاً في شارع سوريا، وانطلقنا إلى دار تحرير صحيفة المجتمع اللبنانية، ورئيس تحريرها الأخ الأستاذ إبراهيم المصري لكي نقضي هناك الساعات الطوال، والممتعة، في تصفح المجلدات الأخيرة من الصحيفة، وما نشعر إلا والساعة الواحدة على الأبواب... وفي المساء قمت كعادتي بجولة في بحمدون.

الاثنين: بعد شراء عدد من الحاجيات اتجهت إلى الشركة المتحدة لقضاء بعض الوقت فيها مع عدد من المعارف والأصدقاء... وفي المساء حملت حقيبتي إلى كازينو أبي الشامات، وتمكنت خلال ساعتين أو ثلاث من تصفية عدد من المشاكل المعلقة، أعقبتها بعشاء طيب في الفندق وجولة ممتعة في بحمدون.

الثلاثاء: يذكرني هذا اليوم بالخميس الفائت... فقد أنجزت فيه عدداً من المهام، وغمرني عبر ساعاته الطويلة الفرح والانشراح... في الصباح اتجهت إلى دار العلم للملايين فتلقاني صاحبها البعلبكي بترحاب بالغ، وأعرب عن إعجابه العميق بكتابي عن (التفسير الإسلامي للتاريخ)، وعن سعادته بنشر الكتاب في داره... وبعد حوار ممتع ملأني ثقة وانتصاراً تم الاتفاق على شروط العقد، وغادرت الدار وأنا أحسّ بأنني قد كسرت الجدار فعلاً، وأن بمقدوري أن أوصل فكري إلى حلقات أوسع بكثير من ذي قبل... وبعد جلسة صغيرة في الشركة المتحدة، واتفاق على موعد مسائي لتثبيت اتفاقات النشر، وبعد أن

اشتريت عدداً من الحاجيات قفلت عائداً إلى بحمدون على جناحي الثقة والفرح...

عدت مساء إلى الشركة المتحدة، وخلال ساعة وبعض الساعة ثبَّتُّ هناك تفاصيل النشر جميعاً بالنسبة لأبحاثي الأربعة: دراسة في السيرة، تهافت العلمانية، الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي، وفوضى العالم في المسرح الغربي... وغادرت المكان وأنا أحسّ بسعادة غامرة وانشراح عميق... اشتريت بعض الحاجيات وقفلت عائداً إلى بحمدون، وبعد العشاء خرجت والزميل (سالم الراوي) في جولة في المصيف وانتهى بنا المطاف في كازينو أرليكان، حيث راح البرد يلسعنا بسياطه، فغادرنا المكان مسرعين إلى دفء الفندق!!

الأربعاء: استيقظت وأنا أحمل قلقاً مزعجاً بسبب مطالب المشتريات الكثيفة... واتجهت وأحد الأصدقاء إلى بيروت، وبعد جولة طويلة في أسواقها وشراء عدد من الحاجيات؛ اتجهنا إلى كازينو الحاج داود، وكانت جلسة رائعة في الشرفة المطلة على البحر قبالة الزرقة الصافية والنسيم البارد المنعش... عدت بعدها لأستأنف الشراء هذه المرة في سوق الطويلة الذي يقطنه ألف شيطان وشيطان... شياطين التكاثر بالأشياء، وشياطين التبرّج السافر الوقح والمثير في الوقت نفسه... لكن الذي يصمِّم على الالتزام لا يشعر بقدرته الحقيقية على المقاومة إلا في سوق صاخب كسوق الطويلة...

الخميس: التقيت مساء مع عبد الحليم محمد، سكرتير تحرير مجلة (المسلم المعاصر)، وكانت جلسة طيبة في كازينو أبي الشامات، أعقبها جولة تخط في شارع بحمدون دار خلاله حديث ذو شجون... بعد أن ودّعته بحثت عن الصديق الموصلي لكي نجلس معاً بعض الوقت في كازينو أرليكان ثم نقفل عائدين.

الجمعة: انتابني صباحاً القلق المعهود بسبب مشكلة تنظيم الأغراض، لكنني ما لبثت أن أحسست بارتياح عميق بعد ذلك بقليل... واتجهت إلى بيروت لشراء ما تبقى من كتب وحاجات، وأودع الأصدقاء في الشركة المتحدة، وأتجه

مرتاحاً منسجم النفس لتناول وجبة سمك شهية في كازينو الحاج داود... أعود بعدها لأخذ مكاني بعد عناء كبير في السيارة المتجهة إلى دمشق.

وصلنا دمشق في حوالي الساعة السادسة مساء، وبعد بحث قصير وجدت مكاناً في أحد الفنادق... إلا أن الكآبة سرعان ما اعتصرتني كما هي العادة دائماً في اللحظات التي أستقر فيها في فندق جديد... لكنني ما لبثت أن غادرت الفندق لكي أصرف شيئاً من العملة وأقوم بجولة طويلة في شوارع دمشق المظلمة، الكئيبة، المزدحمة، القذرة... وانتهى بي المطاف في معرض دمشق الدولي، لكي ما ألبث أن أشعر بانسجام عميق ومتعة بالغة مع العروض التلفازية ومع المعروضات في الأجنحة المختلفة... وبعد تناول عشاء خفيف قفلت عائداً إلى الفندق أحمل معي وحدتي وكآبتي، وأتذكر ليالي بحمدون الجميلة فأزداد عزلةً واكتئاباً...

السبت: اتجهت إلى شركة الخطوط الجوية العراقية لضمان مقعد في الطائرة العائدة إلى بغداد... وبعد الفطور اتجهت إلى مجلة الحضارة، لكي ما ألبث أن أغادرها إلى دار القلم، وبعد جلسة طويلة تخللتها الأحاديث الشيقة، مع محمد علي دولة، ومحمد حسن بريغش (رحمه الله)... جاءني بعض الأصدقاء لكي أستقل معهم السيارة في طريقنا إلى دار الأستاذ أديب الصالح، الذي دعانا للغداء معه... وكان حقاً غداء شهياً وجلسة ممتعة... عدت بعدها لكي أرتاح قليلاً في الفندق وأستأنف جولتي المسائية في المهاجرين والمعرض الدولي... وأعود في ساعة متأخرة من الليل إلى الفندق.

الأحد: بعد فطور شامي ممتع في بيت أحد الأصدقاء (الدكتور أحمد فرحات)... اتجهت إلى مكتبة دار الفتح، ثم إلى دار القلم لتثبيت بعض قضايا النشر... وبعد أكلة كباب مزعجة، عدت مرةً أخرى إلى الفندق... وفي المساء تمكنت من تثبيت الحجز على الطائرة العائدة مساء الاثنين... واتجهت إلى سوق الحميدية لتناول وجبتين من الدوندرمة الطيبة وشراء بعض الحاجيات، ثم

الانطلاق إلى معرض دمشق الدولي، حيث انتابني قلق مزعج بسبب رغبتي في استكمال مشاهدة الأجنحة المختلفة...

الاثنين ١/٢٦: جلست صباحاً في كازينو مشرفة على شارع الحجاز... وبعد غداء دسم، ولقاء مع الأخ أكرم العمري (الدكتور فيما بعد) العائد من القاهرة هرعت إلى الفندق، وقد أفلت الوقت من بين يدي، لكي أسرع وسط دوامة من القلق بتنظيم حقائبي المزدحمة، وما لبثت أن شعرت بموجة من الارتياح تغمرني وأنا أركب السيارة في طريقي إلى المطار... فها أنا ذا أترك المتاعب وموجات القلق ورائي، وأنتظر ساعة أو ساعتين لكي أكون في بغداد، ومنها إلى الموصل وسط فرحة غامرة بلقاء الأهل والأصدقاء والطفل الذي سأشبعه بما اشتريت له من لعب رائعة ومقتنيات...

مع الغسق أقلعت الطائرة، وبعد ساعة ونصف ممتعة وصلنا مطار بغداد، ولم يكن التفتيش صعباً، وسرعان ما ركبت سيارة أقلتني إلى كراج النقليات، ولم يمض على وصولي هناك عشرون دقيقة حتى كانت السيارة المرسيدس تنطلق بنا بسرعة نحو الموصل... وفي الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل ألقيت عصا التسيار... بعد رحلة حوت الكثير الكثير من المتناقضات: السعادة والشقاء... الوحدة والتمزق... الانسجام والقلق... الراحة والتعب... الانشراح والكآبة... الإنجاز والفراغ... وهل تسمى حياةً تلك التي تخلو من المتناقضات؟!

[٧]

رحلة عام ١٩٧٦ م إلى الكويت

الجمعة ١/٢٣: استكملت وزوجتي تنظيم الحقائب وانطلقنا بمعية ابننا محمد الذي لم يبلغ الثالثة من العمر، إلى محطة انتظار الخطوط الجوية العراقية بعد الثانية عشرة ظهراً... ولكن الانتظار طال حتى لقد انتابنا القلق من احتمال عدم إقلاع الطائرة وضياع فرصة سفرنا مساء ذلك اليوم على

الطائرة الكويتية. ولكن مخابرة من بغداد جاءت بعد ساعتين تؤكد توجه الطائرة العراقية إلى الموصل لنقل المسافرين... عدنا ثانيةً إلى البيت حيث تناولنا الغداء ثم قفلنا إلى محطة الانتظار ثانيةً... وبعد قليل اتجهنا إلى الطائرة التي ما لبثت أن هبطت بنا في مطار بغداد... وهنالك قضينا الساعات القلائل التي تسبق إقلاع الطائرة الكويتية، بين متابعة لمعاملة المطار، وانتظار ممتع في صالة المسافرين لولا المتاعب التي أخذ الطفل يسببها لنا.

انطلقت الطائرة في حدود الساعة السابعة مساء، وبعد ساعة واحدة تناولنا خلالها وجبة عشاء طيبة وصلنا مطار الكويت، بعد أن بلغ بنا الجهد أقصاه... كان عليَّ أن أجد غرفة في أحد الفنادق وسط تأكيدات تقول أن الحصول على غرفة هناك أصعب من العثور على الكبريت الأحمر... تركت زوجتي وابني والحقائب في صالة أحد الفنادق، وانطلقت بسرعة إلى الفنادق القريبة، وأنا أقرب إلى اليأس مني إلى الرجاء... ولكني وبعد جهد شديد وجدت ضالتي في أحد الفنادق المتوسطة، وعدت مسرعاً إلى حيث تركت زوجتي والحقائب، وتعاونا عليها مجتازين طرقاً مليئة بالأوحال وأسواقاً مقفلة، وأجواء شتائية ماطرة... كان محمد يرتجف خوفاً ويصرخ باكياً، وفقدت أنا أعصابي ورحت أتفوّه بكلمات نابية وأصب اللعنات على كل من يشير عليَّ مستقبلاً بسفرة أخرى... وانتهى بنا المطاف في غرفة قذرة في الفندق... وبتنا ليلتنا تلك لكي نستيقظ في اليوم التالي والمطر ينهمر بغير حساب!!

السبت: غادرنا الفندق للقيام بجولة صباحية في الأسواق، وسرعان ما شعرنا بارتياح بالغ ـ رغم متاعب الطفل والجو ـ ونحن ننتقل من محل إلى محل ملقين بنظرة هنا ونظرة هناك على صنوف البضائع المغرية التي لا يستطيع أحد الصمود إزاءها...

عدنا إلى الفندق وتناولنا غداءً باكستانياً مليئاً بالتوابل، بعد أن تحولنا إلى غرفة جديدة أحسن بكثير من سابقتها... وخرجت عصراً لشراء بعض

الحاجيات والاطلاع على الجهات المحيطة بالفندق... كانت الأمطار قد كفت عن السقوط وأخذت الغيوم تتمزق هنا وهناك... وبدأت اكتشف على مهل الشوارع والأسواق والأماكن المحيطة بالفندق وأنا استشعر ارتياحاً عميقاً... وعدت لأستصحب زوجتي وطفلي ونقوم بجولة ممتعة في سوق الفاكهة والخضار والبقالات الملأى بصنوف الأطعمة والجرزات والحلويات المغرية والنساتل والسكاكر... اشترينا بعضاً منها على سبيل التجريب، وعدنا إلى الفندق لتناول العشاء ولانتظار الأستاذ الدكتور محمد رشيد الفيل (رَحِمَهُ اللهُ) الذي كنا على موعد معه مساء ذلك اليوم... وفي صالة الفندق العائلية المريحة جلسنا بعض الوقت مع الرجل وصديق آخر... ثم ما لبث أن غادر المكان بعد أن ضرب معنا موعداً عصر اليوم التالي... ومع البرنامج التلفزيوني (منوعات) قضينا سهرتنا ثم خرجنا إلى الغرفة لنفتح علبة الشيكولاتة ونلتهم بعض ما فيها... ثم نخلد إلى النوم...

الأحد: قضينا ساعات الصباح في جولة عبر الأسواق المحيطة بالفندق... واتجهنا ظهراً لتناول الغداء في مطعم (كيلوباترا) السوري النظيف، الذي دلنا عليه أحد العاملين في الفندق... وفي المساء جاءنا الدكتور الفيل وابنه، حيث ركبنا سيارته وانطلقنا إلى إحدى الجمعيات التعاونية التي يحار المرء فيها ما الذي يأخذ وما الذي يدع... ورغم متاعب محمد وقلقه وصراخه... ورغم عدم القدرة على الاختيار المتأني بسبب انتظار الرجل وابنه... فإننا اشترينا قدراً لا بأس به من البضائع، وغادرنا المكان متجهين إلى بيت الفيل حيث قضينا أمسية طيبة، رغم ما رافقها من حرج... وتناولنا عشاء خفيفاً ثم قفلنا عائدين إلى الفندق، بعد جولة ممتعة على الكورنيش.

الاثنين: اتجهنا صباحاً إلى السالمية، حيث ضربنا موعداً مع أبي حسن مدير إحدى وكالات السياحة والسفر، وجلسنا هناك في الوكالة وقتاً طيباً دارت خلاله أحاديث شتى، ثم ما لبثنا أن غادرنا المكان بعد جولة سريعة في شارع السالمية الواسع العريض. وبعد تناول الطعام في مطعم كيلوباترا قفلنا عائدين

إلى الفندق... ثم ما لبثنا أن اتجهنا إلى حيث تقف الباصات، حيث ركبنا واحداً منها للقيام بجولة في بعض مناطق الكويت، ثم غادرناه إلى إحدى الجمعيات التعاونية لشراء لبعض الحاجيات... وبعد عشاء مزعج على الرصيف، وعبر صراخ محمد الذي كان الخوف يجتاحه... رحنا نبحث عن تاكسي لكي نعود بعدها من حيث أتينا، وبعد بحث طويل عثرنا على ضالتنا... وقمنا بجولة ليلية في الأسواق المجاورة وسهرنا في صالة الفندق مع التلفزيون ثم خرجنا لننام...

الثلاثاء: أذاقنا محمد عبر جولتنا الصباحية الأمرّين... وثمة مرض طارئ ألمّ بأمه سبب لنا بعض المتاعب... وعصراً خرجنا مع الدكتور الفيل إلى شارع فهد السالم الواسع العريض المليء بالحركة والأضواء والبضائع المغرية... وبعد أن غادرنا الرجل عدنا إلى الفندق، قفلت عائداً إلى الشارع نفسه، حيث كنت قد ضربت موعداً مع الدكتور جمال عطية رئيس تحرير مجلة المسلم المعاصر، وهنالك في مكتبه قضيت ساعة ممتعة دارت فيها أحاديث شتى، عدت بعدها إلى الفندق، حيث تركت صاحبي لأول مرة وسط مشاعر القلق وعدم الارتياح.

الأربعاء: انطلقنا صباحاً إلى ضاحية الفحاحيل على أمل أن نغادرها مباشرة إلى الأحمدي، إلا أن أسواقها شدّتنا وأتعبتنا في الوقت نفسه، ودمرت علينا متعة ذلك اليوم، وما شعرنا إلا والساعة الثانية قد حلّت... فذهبنا إلى مطعم قريب حيث تناولنا غداء شهياً من اللحم المشوي... وبعد عودتنا مساء توجهنا في جولة تخط إلى شارع فهد السالم، حيث عرجت بصحبة الطفل لتوديع الدكتور جمال عطية، وتمشينا قليلاً في الشارع المذكور ثم قفلنا عائدين.

الخميس: تعرّفت في صالة الفندق على رجل مسلم من أثيوبيا جرت بيني وبينه أحاديث طويلة تملأ النفس بالحزن والأسى عما يلاقيه المسلمون في بلدان إفريقيا السمراء...

الجمعة: اتجهت إلى أحد المساجد القريبة لأداء صلاة الجمعة، ثم قفلت عائداً لتناول طعام الغداء، والانطلاق ـ من ثم ـ إلى ضاحية الأحمدي... ورغم أن مرضاً خفيفاً ألم بأم محمد وسبب لنا بعض المتاعب، فقد قضينا

ساعات طيبة هناك، ثم قفلنا عائدين في سيارة (بك أب) يسمونها هناك (وانيت) حيث تعلمنا كيف نعتمدها في تنقلاتنا بدلاً من السيارات الاعتيادية بسبب رخصها.

السبت: قمت صباح اليوم بزيارة لدار القلم والتقيت مع صاحبها عبد الحليم محمد، حيث دارت أحاديث شتى غادرته بعدها، بعد أن سلمته بحثاً لي بعنوان (مقال في العدل الاجتماعي) لتحويله إلى أحد الناشرين في دمشق... غادرته عجلاً إلى جمعية الإصلاح للقاء أحد محرريها لكني لم أجده، فقفلت عائداً إلى الفندق... ثم أعدت الكرة وتمكنت من لقاء الشخص المذكور، وسلمته عدداً من البحوث والمقالات لنشرها في (المجتمع)، ودارت أحاديث وذكريات وتعليقات غادرت المكان بعدها فرحاً سعيداً بسبب عدم إخفاق زيارتي تلك، عائداً إلى الفندق لتناول طعام الغداء.

الأحد: أقلتنا سيارة وانيت إلى شركة مرسيدس لشراء بعض الأدوات الاحتياطية لسيارتي، وذهبنا من هناك إلى كلية الآداب، حيث ضربت موعداً مع الدكتور حسين مؤنس رئيس قسم التاريخ، وعبر جلسة قصيرة سألته خلالها عن كل ما أريد بخصوص إعارة الخدمات. قفلنا عائدين في سيارة موظف فلسطيني طيب تبرع بإيصالنا إلى المكان الذي نريد، وتبادلنا العناوين، ثم غادرناه لشراء بعض الأدوات الاحتياطية الأخرى لسيارتي وعدنا إلى الفندق...

الاثنين: انطلقت صباحاً إلى رئاسة جامعة الكويت، حيث حصلت على استمارة إعارة الخدمات وغادرت المكان فرحاً بحصولي على بغيتي، حيث قمت بزيارة لرئيس تحرير مجلة (الوعي الإسلامي) وحصلت على بعض الأعداد المهمة، وقفلت عائداً إلى الفندق وسط حالة مكثفة من الفرح والانسجام. وما لبثت أن انطلقت إلى الخطوط الجوية الكويتية لتثبيت موعد للحجز، فإذا بهم يعلمونني بأنه لا مجال للحجز مطلقاً طيلة الأسبوعين القادمين... فتوجهت مساء إلى الخطوط الجوية العراقية فلم أحظ ببغيتي، وعرضوا عليَّ أن أراجعهم في اليوم التالي.

في المساء قمنا بجولة شراء ناجحة في سوق واجف، وانتهى بنا المطاف في شارع فهد السالم حيث التقيت بالفيل، وقمنا بمحاولة فاشلة لتثبيت حجز في الخطوط الجوية الكويتية... فارقت الرجل لكي ما نلبث أن نواصل رحلتنا عبر الشارع نفسه، ودخلنا محلات (الجميل) التي تحوي في طوابقها الثلاثة أجمل البضائع وأبدعها وأغلاها في الوقت نفسه، فاشترينا ما تيسّر شراؤه ثم غادرنا المكان إلى محلات (الاتحاد) التي لا تقل غنىً في بضائعها... ولولا مرض محمد حينذاك واضطرارنا للعودة السريعة إلى الفندق لكانت حقاً أمسية رائعة.

الثلاثاء: قمت بزيارة للدكتور الفيل، المسؤول عن الدائرة الجغرافية في جامعة الكويت، حيث سلمته استمارة الإعارة التي ملأتها مساء أمس، وقفلت عائداً إلى الفندق لكي تقلنا سيارة وانيت إلى جمعية (كيفان) التعاونية، وهنالك قضينا وقتاً طيباً ومجدياً، حيث اشترينا مجموعة أخرى من الحاجيات وقفلنا عائدين... لكي ما نلبث أن نتجه عصراً إلى السالمية، حيث قضينا بعض الوقت في إدارة وكالة الاتحاد مع أبي حسن وزوجته، وغادرنا المكان ونحن نحمل حقيبة كلفتنا بإيصالها إلى الموصل، وانطلقت بنا السيارة على طريق الكورنيش الطويل... وما أن وصلنا الفندق حتى انطلقت مسرعاً إلى الخطوط الجوية العراقية لكي أغادر المكان مرةً أخرى بحالة من اليأس الشديد... اتجهت إلى إدارة البحوث وودعت الرجل المسؤول عنها وقفلت عائداً...

الأربعاء: مرةً ثالثة أذهب إلى الخطوط الجوية العراقية وأغادرها بخفي حنين... انطلقنا عصراً إلى سوق الكويت الشعبية بعمارة (ستاركو) في شارع بيروت... وركبنا سيارة عبر أجواء عاصفة ممطرة إلى جمعية كيفان لاستبدال بعض ما اشتريناه قبل يومين... وخلال العودة مررنا على الخطوط الجوية العراقية في آخر محاولة للحصول على مكان في الطائرة... فإذا بالمدير يفتح لي صدره ويثبت لي مكاناً على الطائرة العراقية، التي ستغادر الكويت صباح الجمعة القادم... لم أتمالك نفسي من الفرح... إذ كنت أحمل هم الاضطرار للعودة بالسيارة ومتاعب التفتيش الكمركي المعقد في صفوان، ومرض محمد

ومتاعبه... غادرنا المكان ونحن في قمة السعادة، وبعد جولة سريعة في شارع فهد السالم، ركبنا الباص عبر أجواء شتائية ماطرة في طريقنا إلى الفندق، حيث تناولنا طعام العشاء اللذيذ ثم استكملنا أمسيتنا في صالة الفندق.

الخميس: قضينا ساعات الصباح في جولة ممتعة في حديقة الحيوانات، حيث نسينا أنفسنا فأقفلت علينا الأبواب لولا أن دلنا أحدهم على باب جانبي... في المساء كان علينا أن نستكمل شراء الحاجيات المتبقية... وبعد زيارة قمت بها لدار البيان دون أن ألتقي بصاحبها، اتجهت إلى حيث محلات بيع الأدوات الاحتياطية للسيارات، فاستكملت ما تبقى من احتياجاتي ثم قفلت عائداً إلى الفندق، حيث مضت الساعات الطوال ونحن منهمكون في تنظيم الأغراض، وإعداد الحقائب... وكان حقاً جهداً كبيراً أن نحصر هذا الحشد الكبير من المشتريات في عدد محدود من الحقائب... ولم ننته من العمل إلا في ساعة متأخرة من الليل.

الجمعة ٢/٦: استيقظنا مبكرين، ولم نكن ندري أننا أمام أزعج يوم، ليس في سفرتنا هذه، وإنما في العام كلّه... أفطرنا ثم انطلقت بنا السيارة إلى المطار، حيث فوجئنا بازدحام هائل على شباك المعاملات... وكان عليَّ أن أحوّل الحقائب السبع شيئاً فشيئاً باتجاه الشباك، حتى إذا ما وصلت إلى هناك قال قائل بأن الأماكن قد انتهت، وأن بقية المسافرين سيضطرون للعودة من حيث أتوا... وبعد دقائق شاقة نزل عليَّ مدير الخطوط من السماء، وأشار إلى أنني سأكون من بين المسافرين.

اتجهنا إلى إحدى مقاعد الصالة... وأنا أقوم بإنجاز المعاملات تملّكني إحساس بأن الطائرة قد غادرت المطار قبل لحاقنا بها... ثم تبين لي أن الطائرة التي ستقلّنا لم تصل أساساً، فاستلقيت على المقعد منهكاً، ولكن إحساساً غامراً بالسعادة كان يتملّكني آنذاك... إحساس من تجاوز أكثر من مشكلة ولم يتبق أمامه سوى الانتظار...

لم تكن الحمى التي أخذت تهاجم الطفل وتزداد ارتفاعاً شيئاً بعد شيء...

لتثير قلقنا ما دمنا سنصل بعد ساعة أو ساعتين مطار بغداد... إلا أنني فوجئت بأحد موظفي الخطوط الجوية يقف قبالتي كنذير السوء، لكي يقول لي إن العشرين مسافراً الأخيرين في قائمة اليوم سوف نضطر إلى فرزهم وعدم تسفيرهم بسبب تعطل الطائرة العراقية، وإرسال أخرى أصغر منها بدلاً عنها... فما كان مني إلا أن أشرح له وضعي، وكيف أن معي زوجة وطفلاً وأنه في حالة حمى شديدة، فوعدني مجرد وعد بأنه سينظر في الأمر... وطيلة الساعة الصعبة التي أعقبت ذلك كانت عيناي معلقتين بحركة الموظف... لم أكن أريد أن يفلت مني، وسط زحمة المطار، كي أتشبث به لحظة وصول الطائرة، وكان عليَّ في الوقت نفسه أن أحمل الطفل إلى طبيب المطار، لكنني لم أستطع ذلك خوفاً من ضياع الفرصة وإفلات الموظف المذكور.

وأخيراً جاءت الطائرة ونودي على المسافرين فهرعنا في تدافع مجنون... كان علينا أن نحمل الطفل وعدداً من الحقائب الثقيلة وأن نصل الباب الضيق في أسرع وقت... وعندما وصلنا الطائرة وغادرنا السيارة التي أقلتنا إليها لم أكن أصدق أننا قد عثرنا فعلاً على مكان، وأننا سنكون اليوم في مطار بغداد.

انطلقت الطائرة، وبعد ساعة من زمان وصلنا المطار... كنا مرهقين قلقين، وعندما تبين أن إحدى الحقائب أبقيت في الكويت مع عدد من حقائب المسافرين الآخرين تخفيفاً لحمولة الطائرة، كان علينا القيام بجولة من الاستفسارات للتأكد من موعد وصولها، والانتظار حتى الساعة السابعة حيث موعد قدوم الطائرة الكويتية... وكان عليَّ في الوقت نفسه أن أترك زوجتي والطفل المريض في قاعة المطار، وانطلق إلى محطة القطار لتثبيت حجز هناك... وانطلقت مسرعاً، ولم أحظ هناك سوى بمجرد وعد بتدبير مكان احتياطي غير مؤكد... قفلت عائداً إلى المطار...

كانت الحمى لا تزال تحاصر الطفل، وكان الجوع يعتصرنا جميعاً... فخرجت أبحث لهم عن مطعم، وأصعدتهم إليه ثم نزلت لحراسة الحقائب، وبعد دقائق قاسية وصلت الطائرة الكويتية، وسألت عن الحقيبة فقالوا أنها لن تصل قبل يوم

الاثنين القادم... ركبنا السيارة وانطلقت بنا صوب محطة القطار... كان الإعياء قد بلغ مني أقصى درجاته، وتسلطت عليَّ وساوس قاسية راحت توحي لي أن ثمة حادث سيصيب الطفل عبر الرحلة الطويلة في القطار إلى الموصل... لم نستطع الحصول على طبيب في المطار... وفي الطريق إلى المحطة أشار علينا السائق، وقد رأى وضعيتنا القاسية، أن نمر على مستشفى قريب من الطريق... فحصه طبيب المستشفى، وأعطاه نوعاً من الحبوب، ونصح بحقنه.

غادرنا السيارة، ووقفت زوجتي والطفل عند الحقائب في جو بارد شديد الإزعاج... وهرعت أنا إلى الداخل للتأكد من الحجز، فأعلمني موظف التذاكر أنهم نادوا على اسمي قبل خمس دقائق فقط وأن فرصتي قد ضاعت... وعبثاً حاولت إقناعه بأن معي طفل مريض وأنه تتوجب عودتي إلى الموصل هذه الليلة...

غادرنا المحطة في سيارة أخرى إلى فندق الكويت، ونزلنا هناك ونحن في وضع لا نحسد عليه، وبعد أن تناولت وجبة العشاء، نمنا في ساعة مبكرة... لم يكن نوماً... ولكنه قلق وإرهاق وتفزز دائم...

استيقظنا صباحاً، وهرعت بعد الفطور إلى الخطوط الجوية حيث حجزت على الطائرة المغادرة إلى الموصل وعدت إلى الفندق وأنا أحسّ بقليل من الارتياح... وفي الثانية عشرة ظهراً انطلقت بنا الطائرة... كنا نحس حقاً بسعادة غامرة... لقد انتهت المتاعب... وعندما وصلنا الموصل، واستقبلنا أحد الأقرباء، وحملنا الحقائب وانطلقت بنا السيارة إلى البيت... زادت سعادتي، ورحت أردد مع نفسي: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ــ ٦].

[٨]

رحلة عام ١٩٧٨ م إلى الأردن ولبنان

الاثنين ٦/٢٦: الاستيقاظ المبكر والانطلاق المفرح إلى المطار... إحساس غامر بالمتعة كما هو شأن المسافرين في المطارات الدولية... تناول الفطور في الطائرة... الوصول إلى عمان... الاستقرار في فندق بارك الجديد وبدء

المشاكل مع انقطاع الماء وحرّ الظهيرة الذي يصعب معه النوم... جلسة ممتعة في متنزه اللويبدة العائلي... العودة إلى الفندق وجولة ممتعة للاطلاع على الشوارع القريبة وشراء طعام العشاء... أمسية كئيبة في صالة الفندق المعتمة مع تلفزيون مشوه وانقطاع الماء..

الثلاثاء: رحلة ممتعة إلى جرش، ومتنزه دبين صباحاً... غداء في مطعم القدس... جولة عصرية في جبل الحسين والمسرح الروماني... ثم ساعات مع المسواق المزعج والعودة إلى الفندق.

الأربعاء: جولة مسواق صباحية ناجحة... غداء في مطعم القدس... جولة مسائية ممتعة في جبل عمان وجبل الجوفة والأشرفية... عشاء في مطعم القدس... مراجعة الخطوط الجوية الأردنية حول الحجز إلى لبنان وإعلامي بعدم وجود مقاعد طيلة اليومين التاليين.

الخميس: رحلة صباحية ممتعة إلى البحر الميت... غداء في الفندق... قلق الحجز ومتاعبه... رحلة مسائية ممتعة إلى الرصيفة والزرقاء وسط أجواء الغروب الحالمة... تناول العشاء في الفندق.

الجمعة: محاولة أخرى لتثبيت الحجز دونما جدوى... رحلة صباحية ممتعة إلى السلط... أخبار صحفية سيئة عن الوضع في بيروت تثير بعض القلق والاكتئاب والتردد... مراجعة شركة عالية للمرة الرابعة دونما جواب... مراجعة الخطوط اللبنانية وقرار بالانطلاق غداً إلى المطار اعتماداً على احتمال تغيب بعض المسافرين، لكي نحلَّ محلَّهم، وعلى وجود فرصتين في الشركتين الأردنية واللبنانية... تناول الغداء في الفندق... جولة مسائية ممتعة في جبل عمان ووادي السير... عشاء لذيذ في الفندق.

السبت: الاستيقاظ القلق بسبب عدم الاطمئنان على ضمان الحصول على مقاعد في الطائرة... المراجعة في المطار وفرحة الحصول على الموافقة... الرحلة الطيبة والوصول إلى بيروت الكئيبة بسبب الحرب الأهلية... الانطلاق إلى بحمدون والمفاجأة بكونها شبه مهجورة... فرحة الحصول على فندق

مناسب... غداء شعبي طيب... المساء الكئيب بسبب خلو بحمدون من الحركة المعهودة، أو من ظلال الحركة قبل أن نعلم الأسباب: الإضراب وبدء القتال العنيف في بيروت الشرقية بين الجيش السوري والكتائب... جلسة لشرب الشاي في مقهى أبو عبد... تجول في أسواق الشارع الرئيسي والتقاط الأخبار حول الاشتباكات العنيفة... أمسية وعشاء لذيذ في مطعم اكستاز وسط أجواء من الكآبة والوحشة... مغادرة المطعم في التاسعة، والمفاجأة بإقفال كازينوات بحمدون محلاتها في ساعة مبكرة... الرجوع إلى الفندق... والنوم الطيب بسبب برودة المناخ... لولا إصابتي بحالة قلبية جديدة مما سبق وأن اعتدت عليه عبر ليالي الموصل.

الأحد: صباح جميل مع دبيب الحركة في بحمدون... اتفاق مع فندق خير الله وشيء من الحيرة إزاء ترك الفندق المريح السابق لولا عزلته وقلة نزلائه وانعدام وجود صالة تلفازية فيه... جولة في الأسواق... غداء شعبي... جولة عصرية وعشاء خفيف في اكستاز... عودة القتال في بيروت وانتشار أجواء الكآبة ثانية في بحمدون... العودة المبكرة إلى الفندق، وقضاء ليلة مزعجة فيه مع انقطاع الكهرباء... وزخات الرصاص... والعزلة والظلمة...

الاثنين: الاستقرار في فندق خير الله الفاره... ووجبات طعامه المتميزة... والحرّ الذي لا يطاق ظهراً وليلاً، ممزوجاً بشيء من الخوف من العراء المظلم المكشوف... عودة القتال ثالثة، واليأس من استقرار الحالة الأمنية للنزول إلى بيروت، والاتصال بالناشرين، والتخلص من مسودات كتبي بتسليمهم إياها... إحساس دائم بالكآبة الممزوجة بالوحشة، بسبب الحالة الأمنية وقلة النزلاء في الفندق... أمسيات طيبة في الفندق بعد التعرف على عائلة عراقية فيه... وعلى الأستاذ الحسني مؤلف كتاب (تاريخ الوزارات العراقية) بروحه المرحة وأحاديثه الممتعة...

الثلاثاء: جولة مسواق صباحية... قيلولة مزعجة بسبب الحرّ... جلسة عصرية في اكستاز مع شيء من الكآبة بسبب تجدد القتال مرةً أخرى...

أمسية طيبة في الفندق... وليلة لا تطاق بسبب الحرّ... والارتياح إلى خطة سفر في حالة اتساع نطاق القتال، وذلك عن طريق دمشق ـ عمان.

الأربعاء: التوجه صباحاً إلى (عاليه) والقيام بجولة مسواق مرهقة... جلسة قصيرة في كازينو هناك... قيلولة مزعجة في الفندق رغم تغيير الغرفة... أمسية طيبة في صالة الفندق...

الخميس: جولة مسواق صباحية... أخبار عن تصعيد القتال في بيروت الشرقية... التحول إلى غرفة في الطابق الأسفل هروباً من جحيم الحرّ... محاولات غير مجدية للاتصال بالناشرين في بيروت... جولة مسواق مسائية أخرى ثم العودة إلى الفندق وقضاء أمسية طيبة فيه... المعاناة المستمرة المبهظة في كل ليلة مع الحرّ... والبعوض... وآلام الساق... والربو... والأرق القاتل...

الجمعة: جولة قصيرة فاشلة إلى بحمدون الضيعة... تزايد الإحساس بالملل... أداء صلاة الجمعة في المسجد الكبير... يأس من الاتصال بالناشرين... تسليم رقم هاتف الشركة المتحدة إلى أحد أصحاب المطابع لإعلامهم بوجودي في بحمدون، مع الاعتقاد بأن المحاولة غير مجدية أساساً...

السبت: في الفندق... ملل... ملل... ملل... مسواق... أرق مزعج كالعادة مع الحر والبعوض وآلام الربو والساق... جولة تخطي مسائية مع ابني محمد... على طريق فندق لا روش يتجسد فيها الإحساس المتزايد بالملل... والفراغ... والتشتت...

الأحد: رحلة صباحية ممتعة إلى حمّانا... جلسة مسائية طيبة في كازينو الشانزليزيه المطلة على الوادي... الخبر المفرح حتى الأعماق بمجيء موظف من الشركة المتحدة والانطلاق إلى الفندق لمقابلته... اللقاء والاتفاق على الذهاب للشركة في اليوم التالي... وفرح عميق بتحقق أمنية الاتصال بالناشر والتي كدت أن أيأس منها...

الاثنين: الانطلاق مبكراً إلى بيروت... ومتاعب الطريق الجانبي الحار

والبطيء... خيبة الأمل بعدم وجود صاحب الشركة المتحدة في بيروت... الانفراج المفرح بالتمكن من الاتصال بصاحب دار العلم للملايين الأستاذ بهيج عثمان (رحمه الله) والاتفاق معه على موعد... إنجاز أعمال البريد... إزعاجات الحجز المعلّق للعودة إلى عمان... الاتفاق مع موظف الشركة المتحدة وتسليمه الأبحاث وتسلم مبلغ من النقود... العودة المترعة بالسعادة إلى الفندق وإخبار زوجتي عن نجاح رحلتي القصيرة إلى بيروت... الالتقاء بمدير دار العلم للملايين في الفندق والاتفاق على زيارته في بيته يوم غد... جولة مسواق ممتعة في بحمدون... ونوم حقيقي عميق لأول مرة بسبب اعتدال المناخ...

الثلاثاء: استيقاظ مبهج بسبب النوم والإنجاز في اليوم السابق... جولة مسواق صباحية... انتظار في شرفة الفندق لموظف الشركة المتحدة في موعد على الغداء... غداء طيب من المشويات في مصيف شبانية لولا متاعب محمد التي بلغت حدّاً لا يطاق... جلسة أخرى في كازينو أبو خضر المطلة على الوادي... وثالثة عائلية في فيلا الأستاذ بهيج عثمان (رحمه الله) مدير دار العلم للملايين في بحمدون الضيعة، حيث الأحاديث الممتعة، وتسليمه الأبحاث للاطلاع عليها وإعلامي بموقفه النهائي منها بعد يومين أو ثلاثة... عودة إلى الفندق وأحاديث مخيفة ومقززة عن أحداث بحمدون تلعب كلها ـ خلال النوم ـ مع الحر والبعوض والربو وآلام الساق، دورها في عودة الأرق مرةً أخرى... إحساس متزايد بالملل، وبتثاقل حركة الزمن، بسبب تأخير الحجز إلى يوم السبت مع ضرورة النزول في عمان للمبيت فيها، ثم الانطلاق مساء إلى بغداد، الأمر الذي يقتضي مبيتاً مزعجاً آخر في بغداد قبل التوجه إلى الموصل، وهي كلها احتمالات مرهقة لم نكن نتوقع تراكمها بهذا الشكل.

الأربعاء: متاعب مع مرض زوجتي وإرهاقها المستمر... مع متاعب محمد... استيقاظ مزعج بسبب الأرق... ملل متزايد بصدد قضاء فترة الصباح... جلسة في الطرابلسي لقراءة الصحف اليومية... جلسة طويلة عصراً في الفندق ولقاء مفاجئ مع مدير دار العلم، يعلمني خلاله عن مصير

الأبحاث، حيث استلم اثنين منهما هما (آفاق قرآنية) و(مع القرآن في عالمه الرحيب) وردّ آخرَيْن... استمرار متاعب الليل مضافاً إليها تخوف من احتمال وجود أعراض للزائدة لدى زوجتي يجعلني أفكر في الاحتمالات القادمة، وأدعو الله ﷻ أن يجنبها إياها...

الخميس: جولة مسواق صباحية... جولة مسائية قصيرة واستكمال الأمسية في الفندق... حالات من الاكتئاب والملل مساء، وتخوف من متاعب الليل المحتومة...

الجمعة: استيقاظ فرح لكونه اليوم الأخير... جولة صباحية في بحمدون... اتفاق مع صاحب تاكسي للسفر إلى بيروت فجر يوم غد... جلسة قصيرة في الطرابلسي... أداء صلاة الجمعة... عدم القدرة على أخذ إغفاءة ظهراً كالعادة... تصفية حساب الفندق... وفرح عميق بإنجاز كل شيء واقتراب موعد السفر والخلاص... جولة مسائية في بحمدون... جلسة في صالة الفندق... تنظيم الحقائب... النوم المستحيل...

السبت: فجراً إلى بيروت... وسط مشاعر الفرح والارتياح... جلسة قصيرة وتناول الفطور في الشركة المتحدة... الذهاب إلى المطار والانطلاق إلى عمّان... تأمين الحقائب في الترانزيت... التوجه إلى الفندق وسط حرّ لا يطاق... متاعب الفندق وانقطاع الماء... غداء لذيذ في أحد المطاعم... محاولة مستحيلة للقيلولة في جحيم الفندق... جلسة طويلة وعشاء في منتزه جبل اللويبدة... ليلة الفندق الرهيبة بحرِّها وأرقها...

الأحد: ساعات الصباح الطويلة مع الحرّ والمسواق والتعب... غداء طيب في أحد المطاعم... ساعتا انتظار في الفندق الملتهب قبل الانطلاق البهيج إلى المطار... استكمال المعاملات في جحيم المطار... فصل مرهق مع محمد... الطائرة والإرهاق والغثيان... فرحة الخلاص من الاتصالات الهاتفية والتفتيش الكمركي... الوصول إلى الفندق الذي يلتهب حراً...

الاثنين ٧/١٧: الانطلاق المبكر إلى الموصل وسط شوارع بغداد التي بلغ

حرُّها الأوج... ولكن فرحة العودة إلى البلد والأهل تغطي على هذا... وتنسينا متاعب رحلة ذقنا فيها الأمرَّين... وأرتنا نجوم الضحى في كبد السماء!!

[٩]

رحلة عام ١٩٧٩ م إلى قطر

الأربعاء ١١/٢١: ساعة الانتظار الممتعة والانطلاق بالطائرة بمعية اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب... وتناول الغداء اللذيذ... ترانزيت في البحرين واستكمال السفر إلى الدوحة لحضور المؤتمر الدولي حول السيرة والسنة النبوية... الاستقبال الطيب ومحنة ضياع الحقيبة... الاستقرار في فندق الخليج الفخم... إحساس بالفرح تكتنفه محنة ضياع الحقيبة الأم واليأس من الحصول عليها... زيارة صديق والقيام بسيارته بجولة في الدوحة وشراء بعض الضروريات تعويضاً عن المفقود وشيء من الارتياح... زيارة لأحد محرري مجلة الدوحة وإجراء ريبورتاج معي... عشاء لذيذ في مطعم فخم وشيء من القلق بسبب الحيرة بين صنوف الطعام وكمياته... جلسة في غرفة الفندق مع التلفزيون... وصول مطبوعات المؤتمر وهداياه القيمة... شيء من التشتت والقلق بسبب انفتاح المجالات والمتع العديدة كالعادة... زيارة صديق آخر... تنظيم المبعثرات... والنوم...

الخميس: الاستيقاظ بعد نوم عميق على شيء من الاكتئاب بسبب ضياع الحقيبة، وشيء من عذاب الضمير بسبب الإحساس بالتورط في حضور مؤتمر قد يكون إسناداً للسلطة بشكل من الأشكال... فرح غامر بوصول الحقيبة... زيارة لبعض الأصدقاء والمشايخ في المحاكم الشرعية... زيارة لصديقين أردنيين... نومة ظهر قصيرة بعد غداء دسم... زيارة لرئيس المحاكم، وأخرى لأحد النوادي... استقبال حشد من الأصدقاء في غرفة الفندق وحوار متنوع وممتع، يعقبه عشاء لذيذ يكتنفه نوع من القلق اعتدته خلال كل وجبة بسبب كثرة صنوف الطعام وحرية الاختيار... جلسة قصيرة في إحدى الصالات مع

حشد آخر من الأصدقاء، واستكمال الأمسية في الغرفة الرائعة مع التلفزيون الملون والكتب العديدة المهداة.

الجمعة: جلسة ممتعة في غرفة الدكتور أكرم العمري المطلة على البحر... صلاة الجمعة... غداء متخم وتعرف على المزيد من المدعوين يسوق إلى المزيد من الثقة، وخاصة إزاء تقييم الدكتور عبد العزيز كامل... عودة إلى الغرفة والإحساس بالقلق الخفي بسبب الفرص الواسعة العديدة المادية والأدبية... نومة متقطعة ونزول إلى الصالة استعداداً لحفل التعارف... حديث مع صديق يعمل في أبو ظبي وارتياح لفكرة استقدامي إلى هناك أستاذاً زائراً... بدء الحفل والتعرف على العديد من المدعوين، وثقة متزايدة نتيجة حوار مع أحد الدكاترة التونسيين وتعليقه على كتاباتي... أمسية مع الدكتور عبد الرحمن الحجي واستكمالها في الغرفة مع عدد من الأصدقاء.

السبت: لقاء مع أنور الجندي (رحمه الله) وعدد من الأصدقاء... ساعات مع حفل افتتاح المؤتمر... الغداء... الذهاب عصراً إلى جلسة اللجان الأولى... انفعال مكبوت من جراء تعليق أحد الأعضاء على (إنشائية) كافة دراسات السيرة، وندم قاس على عدم الرد عليه... ثم انتهاز الفرصة والردّ المناسب الرصين الذي يفحمه... عشاء في قصر الريان واستمرار الإحساس السعيد والحوار مع العديد من الشخصيات... أمسية ممتعة في غرفة أحد الأصدقاء في الفندق.

الأحد: صباحاً: مع لجنة التراث والمصادر... لقاء بالدكتور جمال عطية وعرض بالتفرغ للعمل في المجلة واعتذار عن قبول العرض... لقاء بأحد المدعوين التونسيين وإحساس بالثقة من جراء تثمينه لكتبي هناك... اعتذار عن الاشتراك في ندوة تلفزيونية... غداء في فندق الرامادا الفخم...شيء من الإرهاق والإحساس بالغثيان لدى العودة إلى الفندق.

مساء: زيارة لمتحف قطر... وأخرى لمعرض الكتاب الإسلامي، وارتياح لوجود معظم كتبي فيه، وفرح غامر لاطلاعي على طبعة ثانية لكتابي (مقال

في العدل الاجتماعي)... ندوة عن السنة والحياة... عشاء في الفندق... فرح بلقائي بناشر مصري، حيث استفسرت عن الكثير من المسائل المعلقة... أمسية في الصالة مع عدد من الأساتذة والناشرين والأصدقاء... شيء من القلق والحيرة عبر اليومين الأخيرين بصدد شراء الهدايا وتثبيت موعد الحجز بين الأربعاء والجمعة.

الاثنين: نوم مريح... جلسة المؤتمر الصباحية... جولة في الأسواق وشراء بعض المواد... جلسة المؤتمر المسائية.. عودة إلى الفندق لحضور حفل العشاء... حديث عن مجلة (حضارة الإسلام)... التعرف بعدد من الشخصيات وسماع تعليقات ملأتني بالثقة... لقاء بأديب مصري شاب، ابن شقيق الروائي محمد عبد الحليم عبد الله، وتقييم لكتابي (فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر)... محاضرة للبروفيسور فؤاد سزكين عن العلوم العربية وأثرها... لقاء لدى الرجوع بعديد من الشخصيات والأساتذة وبسكرتير مجلة العربي الأخ فهمي هويدي تزيدني ثقة... أمسية مع العديد من المؤتمرين تنتهي بجلسة مع الدكتور جمال عطية والبروفيسور فؤاد سزكين...

الثلاثاء: الذهاب إلى السوق بدلاً من اللجنة... قلق مركز خلال البحث عن المشتريات ثم انفراج مريح بعد استكمال الكثير منها... حوار على الغداء مع سكرتير مجلة العربي الأستاذ فهمي هويدي والصحفي المصري الأستاذ أحمد بهجت... حضور حفل سباق الخيل... جلسة خلال العودة مع الأستاذ أنور الجندي... محاضرة للندوي وساعة من الملل والإرهاق بسبب الجلوس على الأرض في أحد المساجد... اللقاء في المسجد مع نجيب الكيلاني (رحمه الله) ومع أحد المؤتمرين، حيث أعرب عن إعجابه الشديد بكتابي (تهافت العلمانية)... حضور حفل عشاء في متنزه مكشوف وجلسة عربية ممتعة مع الكيلاني وآخرين في الهواء الطلق... تناول العشاء وحوار مع العديد من المؤتمرين... جلسة مع الناشر الأستاذ رضوان دعبول في الغرفة ومناقشة كافة قضايا النشر...

الأربعاء: شيء من القلق بسبب كثرة المواعيد والمشاغل وضرورة التوفيق

بينها... وبصدد التردد حول تغيير موعد الحجز... جلسة طويلة في الغرفة مع فهمي هويدي لمناقشة الكثير من المسائل المتعلقة بمجلة (العربي)، وعرض بالعمل في قطر أو الكويت حيث أعلنت عن حاجتها... لقاء مع طالب مقيم في إنكلترا وإعرابه عن إعجابه... لقاء مع عبد الحليم محمد وحوار حول إصدار سلسلة كتب جديدة ووعد بالإسهام فيها... جلسة مع عبد ربه وأخرى مع عدد من الأصدقاء، وارتياح لعرض صاحب المكتب الإسلامي الأستاذ زهير الشاويش (رحمه الله) استعداده لنشر أي من كتبي... دعوة عشاء في نادي الدوحة... استكمال الأمسية في الفندق مع عدد من المؤتمرين والأصدقاء...

الخميس: لقاءات في الصالة مع نجيب الكيلاني (رحمه الله) وعدد من الأصدقاء وحديث حول ضرورة إنشاء رابطة للأدب الإسلامي... حضور حفل الختام وقراءة التوصيات... أمسية التوديع المؤثر في الفندق وسماعي التقييم من عدد آخر من المدعوين... زيارة لشخصية من الكويت... استكمال تنظيم الأغراض والكتب بعد يوم من القلق بسببها... إحساس بالإعياء بسبب دوامة الزيارات والاتصالات والحفلات...

الجمعة ١١/٣٠: استيقاظ مبكر للذهاب إلى المطار بمعية اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب... شيء من القلق بسبب احتمال تأخر الطائرة عن الوصول قبل إقلاع طائرة الموصل... الوصول فعلاً بعد إقلاع طائرة الموصل... التوجه إلى كراج النقليات وانتظار الساعات الطوال للحصول على مقعد في المنشأة وارتياح عميق... الوصول في جو ماطر، وأمسية طيبة مع الأحاديث والهدايا...

[١٠]

رحلة عام ١٩٨٠ م إلى السعودية

الأحد ٢/٢٤: استكمال الإجراءات في مطار بغداد دون أية عرقلة والدخول إلى صالة الانتظار في غمرة من الفرح العميق... اتصال هاتفي بالعائلة داخل الصالة... الإقلاع الممتع بعد شيء من التأخير... الوصول إلى الظهران

والانتظار هناك الساعات الطوال بسبب سوء الأحوال الجوية في مطار الرياض... التوجه في الثالثة صباحاً بطائرة جامبو إلى الرياض... الوصول واستلام إعلام من أحد المستقبلين حول حجز غرفة لي في فندق (زهرة الشرق) واضطرار المستقبلين للعودة قبل العاشرة مساء... فقدان إحدى الحقائب وانتظارها ساعة كاملة مترعة بالقلق ثم التوجه إلى الفندق قبل العثور عليها.

الاثنين: نوم قلق متقطع بعد السادسة صباحاً والاستيقاظ على تلفون من رضوان دعبول كان بالنسبة لي بمثابة بداية طيبة، فها هو الناشر قد قدم إلى هنا وقد يغنيني هذا عن الذهاب إلى بيروت خلال الأشهر القادمة... ومكالمة أخرى من رئيس قسم الثقافة الإسلامية في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ الأستاذ عمر عودة الخطيب (ﷺ)، والذي سأحاضر فيه، واتفاق حول إرسال سيارة لإيصالي إلى الكلية... ومكالمة ثالثة من ابن عمي الدكتور هشام الطالب واتفاق على موعد للقاء عصر اليوم.

أتجه إلى الكلية وألتقي برئيس القسم والعميد ووكيله وبعدد من الأساتذة لقاء حاراً وأستلم جدول المحاضرات، لكن إرهاقي بسبب السفر والسهر جعلني في حالة نفسية غير منفتحة، وزادني إزعاجاً احتمال عدم الحصول على الحقيبة الضائعة... ولكن القسم هيأ لي أحد الأساتذة لكي يقلني بسيارته إلى المطار، وهناك أحظى بالحقيبة فأتحوّل ـ كعادتي ـ إلى لحظات مترعة بالفرح والسعادة والانسجام، وأتوجه إلى الفندق لتناول الغداء وأخذ قسط من النوم، وأستيقظ عصراً لكي أنتظر ابن العم الساعات الطوال، يزورني خلالها أحد الأساتذة ويدور حوار طيب، ثم ما يلبث هشام أن يجيء فأذهب معه إلى البيت، ومنه لزيارة عدد من الأصدقاء حيث تناولنا عشاء شهياً، ودخلنا في حوار ممتع وعميق حول كتابي (دراسة في السيرة).

الثلاثاء: زيارة لأستاذ حلبي زائر خلال الفطور، ثم التوجه إلى الكلية وأحاديث متنوعة مع عدد من الأساتذة... زيارة لرئيس الجامعة وعودة إلى

الفندق لتناول الغداء مع رضوان دعبول وحوار طويل حول قضايا النشر... وطرحت فكرة تدور حول عقد لقاء أو ندوة للكتاب والناشرين الإسلاميين لمناقشة قضايا الفكر والنشر، وصولاً إلى نتائج أكثر إيجابية... لقيت لدى رضوان قبولاً طيباً... بعد نومة العصر اتجهت إلى الكلية للبدء بإلقاء محاضراتي... حيث بدأت مع طلبة الدراسات العليا بإلقاء محاضرتين حول قضايا السيرة ونقاطها الأساسية...

كنت متمكناً تماماً على مستوى المادة والتدريس، لكن الطلبة لم يكونوا على درجة كافية من النشاط والحيوية... وعلى أية حال فقد مضت المحاضرتان على خير ما يرام. وغادرت الكلية عائداً إلى الفندق في حالة من الفرح والصفاء والانسجام، وهناك تناولت عشاءً طيباً، وزاد في ارتياحي اللقاء بعدد من الناشرين القادمين بمناسبة معرض الكتاب الدولي، وزرت أحد الأساتذة، ثم ما لبث هشام أن اتصل بي وأعلمني أنه سيمر عليَّ لكي يأخذني إلى دار نسيبه الدكتور أحمد التوتنجي زوج أخته... كانت أمسية طيبة أعقبها توديع ابن العم في المطار.

الأربعاء: الاستيقاظ بعد نوم عميق مشبع... الالتقاء في صالة الفندق بعدد من الناشرين، والاتفاق على موعد مسائي... وفرح بوصول ناشر تربطني به بعض المواعيد المسبقة.. التوجه إلى الكلية وحديث مع عدد من الأساتذة والعودة إلى الفندق... التوجه عصراً إلى معرض الكتاب الدولي مع رضوان دعبول واستلام مبلغ نقدي منه... لقاء بصاحب المكتب الإسلامي للنشر واتفاق معه على تسليمه بعض أعمالي... لقاء ببهيج عثمان مدير دار العلم للملايين وإعلامه إياي عن التصريف الجيد لكتابيّ الأخيرين، وعن قيامه بطبعة ثانية لأحدهما... اختيار عدد من مؤلفاتي من معرض الشركة المتحدة... لقاء مع عدد من الأساتذة والأصدقاء وأحاديث شتى... عودة إلى الفندق وزيارة متأخرة للزميل الدكتور عبد الحليم عويس، والناشر المصري الحاج حسن عاشور، وحوار ممتع حتى ساعة متأخرة من الليل.

الخميس: شيء من القلق والاكتئاب الصباحيين بسبب عدم وجود وجهة لي هذا اليوم... النزول إلى صالة الفندق لمطالعة الصحف، وتهيئة محاضرتي العامة عن التفسير الإسلامي للتاريخ، وتحولي إلى حالة سعيدة من الفرح والصفاء والانسجام... نومة عميقة بعد الغداء... مكالمة من الدكتور أحمد التوتنجي لتناول العشاء وقضاء الأمسية في بيته، وانتظار في صالة الفندق عبر جلسة طيبة مع أحد الأصدقاء الأساتذة... أمسية طيبة في بيت التوتنجي مع الأحاديث والعشاء ولعب المنضدة... العودة إلى الفندق وتلقي ثلاث بطاقات من أصدقاء جاؤوا لزيارتي فلم يجدوني... السهر إلى ساعة متـأخرة من الليل لتنظيم أوراقي وأبحاثي وتصفح عدد من الكتب والمجلات...

الجمعة: الاستيقاظ على دوامة طاحنة من القلق بسبب ضرورة الاتصال بعدد من الناشرين، والإسراع بتقرير مصير عدد من الأبحاث... اتصالات هاتفية غير مجدية... زيارة لصديق من الموصل تعرفت عليه في الطائرة ودعاء صامت أن ينهي زيارته بأسرع وقت لكي أتفرغ للعمل... النزول إلى صالة الفندق واللقاء بعدد من الناشرين وتحوّل القلق إلى استقرار وارتياح شاملين، بعد التشاور معهم بصدد عدد من القضايا... دعوة من عويس على الغداء بصحبة اثنين من آل عاشور والتوجه من ثم لمعرض الكتاب... حوار ممتع في صالة الفندق وتعليقات ضاحكة مع الحاج حسن عاشور في الطريق إلى صلاة الجمعة، وفرح عميق بالأطمئنان على قرب صدور مسرحيتي (الشمس والدنس) عن دار الاعتصام... التعرف على أحد الأساتذة السعوديين، وتقدير طيب منه لبعض أعمالي، ودعوة للغداء والاعتذار عنها... حوار طيب في بيت عويس قبيل الغداء... وعبر الطريق إلى المعرض الدولي... العودة إلى الفندق وحوار طويل مع عويس حول إصدار سلسلة أبحاث تاريخية وحضارية لجامعة الإمام... وعندما سألته عن مكافأة البحث الواحد أجابني بأنه لا يقل عن ألفي دينار... وقلت في نفسي: إنه مبلغ مغري لم أقبضه من الناشرين الاعتياديين عن عشرة كتب، فكيف عن كتاب واحد؟ ولكن ما الحيلة وهناك ذلك الإصرار من قبلي

على رفض أي عمل فكري يربط اسمي بمؤسسة سعودية تحسباً من أن توظف كتاباتي لخدمة السلطات!! ومن ثم رحت أبين له موقفي بصراحة وكشفت له عن أشياء حول الموضوع ندمت بعد دقائق على كشفها له...

ثم لما غادر الغرفة كنت أشعر بحالة قاسية من الإرهاق والتشتت، مع حيرة قاسية بصدد توزيع الأبحاث على الناشرين... وأقول في نفسي: ماذا لو لم يقم معرض الكتاب ويتدفق الناشرون على الرياض وتنفتح عليَّ جبهة للقلق كم كنت في غنى عنها... ناهيك عن الندم الذي سببه مجيئهم غير المتوقع دون أن تكون معي كافة أبحاثي لكي أسلمها وأرتاح فلا أعود بحاجة للسفر إلى بيروت ودمشق... ثم ما ألبث أن أنغمر بكتابة مذكراتي هذه فأشعر بشيء من الارتياح وتذوب المتاعب كما لو كان تثبيت التجربة بالقلم انتزاع لمتاعبها وإسقاطاتها وإلصاقها بالورق!!

وبعد تناول العشاء أجلس في الصالة لتنقيح كتابي (مقال في العدل الاجتماعي)، وألتقي مع عدد من الناشرين، وأسلم (خمس مسرحيات إسلامية ذات فصل واحد) لدار النفائس شاعراً بقدر من الارتياح للتخلص من أحد الأعباء، ثم ما ألبث أن أصعد إلى غرفة دعبول حيث يجري حوار طويل حول قضايا النشر تثبت معطياته تحريرياً، وتتم موافقته فيه على إسهامي مالياً في نشر بعض كتبي لكي أحقق نسبة أعلى من الربح... ويعاتبني على تسليم بعض أعمالي لدور نشر أخرى فأشعر بداخلي بارتياح عميق، فها هو ذا لا يزال يحرص على الانفراد بكتبي، كما أنه ألمح إلى احتمال قيامه بالنسبة لعدد من الكتّاب بنشر مجموعات الأعمال الكاملة لهم... وأغادر الغرفة وأنا أشعر بفرح غامر... لكن القلق ما يلبث أن يحاصرني عبر ساعات النوم حتى ساعة متأخرة من الليل.

السبت ٣/١: عند الظهر أقوم بجولة استطلاعية في السوق القريب من الكلية، ثم أعود إلى الفندق لكي ما ألبث أن أجد دعوة من الإخوة اليمنيين (من آل الوزير) بانتظاري، وأتمكن بسرعة ما حلمت بها من الحصول على

نداء تلفوني مع الموصل، حيث أتكلم مع زوجتي وابني وأطمئن على الجميع وأقفل الهاتف وأنا أشعر بفرح غامر، ثم أنزل إلى الصالة بانتظار موعد الذهاب إلى فندق قصر الرياض تلبية للدعوة... حيث نتناول غداء مرهقاً لكثرة تنوعه ولكونه يقدم على طريقة (البوفيه)، ثم دخلنا في حوار تاريخي ممتع حول المذهب الزيدي... ووجهت لي دعوة لزيارة جدة وأخرى لزيارة اليمن، وقُيِّمت كتبي تقييماً كبيراً منحني الكثير من الثقة والاعتزاز...

وعدت إلى الفندق وأنا أشعر بشيء من القلق بسبب إلقاء محاضرتين مساء اليوم دون أن أعدَّ لهما أي شيء في موضوع (قاعة البحث). ولكني ما أن وصلت الكلية حتى وجدتني أعثر على الموضوع، وأضع خطوطه الرئيسية، وأدخل لإلقاء المحاضرتين، حيث تفجرت المواضيع في ذهني، وحيث أستطعت أن أحرك الطلبة، وأن أحيل المحاضرتين إلى حوار حيوي وعطاء ذي قيمة... وأغادر الكلية وأنا أحسّ بسعادة غامرة... وبعد تناول العشاء جلست الساعات الطوال في صالة الفندق، أواصل تنقيح كتابي (مقال في العدل الاجتماعي) لتسليمه للناشر...

الأحد: اتجهت إلى كلية العلوم الاجتماعية، وقضيت هناك عدة ساعات في الجلوس مع هذا الأستاذ أو ذاك، وفي التعرف على هذا المفكر أو ذاك: فتحي عثمان... محمود شاكر... وأساتذة مصريين وسعوديين...

توجهت مساءً إلى الكلية لإلقاء محاضرتين في السيرة... وما أشد معاناتي مع مجموعة من الطلبة الذين لا يرغبون ـ إلا قلة منهم ـ في الحوار والنقاش، أو حتى بالتزام المواعيد الزمنية للحضور... وكعادتي القديمة كنت أحاضر بصوت عالٍ كي أثيرهم وأبذل جهداً مضاعفاً دون جدوى... وسرعان ما أحسست ببطء مرور الوقت، وبتشنج في العضلات المحيطة بالقلب، وقلت في نفسي ما أحسن حظي إذ أخرجت من الجامعة، وتركت مهمة التدريس... فإن صحتي لم تعد تحتمل هذه العملية المجهدة... غادرت الكلية وأنا أعاني من الإعياء... وفي صالة الفندق جلست مع اثنين من أساتذة الشريعة...

وأنهيت الأمسية بجلسة مجدية مع صاحب دار الاعتصام، حيث تم التخطيط والاتفاق على كثير من قضايا النشر...

الاثنين: التوجه صباحاً إلى الكلية، حيث جلست ساعة من الوقت في المكتبة أواصل إعدادي لمحاضرة اليوم، وأتصفح أعداداً من مجلة المجتمع لمتابعة مقال عن المؤرخين الإسلاميين... أرجع إلى الفندق لأتغدى وأنام نومة مترعة بالقلق... أجلس في الغرفة فترة طويلة أواصل الإعداد المملّ لمحاضرة اليوم العامة، التي أصبحت بمثابة إحدى منابع القلق عبر الأيام الأخيرة... وأبلغ حدَّ الملل من الموضوع والإعياء الذهني الذي لا أستطيع معه مواصلة القراءة... شيء من التخوف من عدم تمكني من المحاضرة، إذ قررت أن أرتجلها ارتجالاً...

ولكنني ما أن أبدأ المحاضرة أحسّ أني متمكن تماماً من الحديث الذي راح يتدفق بسهولة بالغة، لكن اتساع نطاق الموضوع، وكثرة رؤوس النقاط التي دوّنتها؛ جعلتني أتردد في متابعتها، واخترت أن أمضي منتقياً المسائل الأكثر أهمية... وإذ شعرت في نهاية الأمر، أو توهمت، بأن الملل بدأ يتسّرب إلى الحاضرين.

أنهيت المحاضرة وأنا أحسّ أنني لم أقدمها بالشكل الأمثل الذي أحلم به، أو هكذا خيل إليّ... وما لبثت أن ندمت بعد قليل على نسياني أن أطرح عليهم فرصة المناقشة والحوار... ورجعت إلى الفندق وأنا أحسّ بدوامة القلق تتناوشني... وما لبث أن جاءني دكتور عويس وآل عاشور ودكتور سعودي يعرضون عليَّ قضاء الأمسية معهم في بيت الأستاذ المذكور... اعتذرت أول الأمر... لكن دوّامة القلق دفعتني إلى الموافقة، حيث قضينا ـ والحق يقال ـ أمسية طيبة مترعة بالضحك والتعليقات والأحاديث الشيقة مع الحاج حسن والآخرين... وأرجع لأتمم بعض الأعمال حتى ساعة متأخرة، وأستيقظ على صلاة الفجر على قدر غير قليل من الاكتئاب الخانق!!

الثلاثاء: زرت الشاويش (ﷺ) في فندق اليمامة، وسلمته مسودات

(دراسات تاريخية)، وتوجهت إلى المعهد العالي للدعوة، وجلست مع عميدها أكثر من نصف ساعة، حيث جرى حديث عن مقالاتي للمجلة وأبحاثي للمؤتمر، وحيث ذكّرني باعتذاري عن كتاب مشروع جديد لكتابة التاريخ، وألمح لي أن الفرصة لا تزال مفتوحة. فأكدت اعتذاري ثم تحولت إلى كلية أصول الدين المجاورة لزيارة الدكتور أديب الصالح فلم أجده فقفلت عائداً إلى الفندق.

مساء توجهت إلى الكلية لإلقاء محاضرتين ناجحتين، استطعت أن أحرك فيهما الطلبة وتجاوبهم الصعب، ثم اتجهت مع رئيس قسم الثقافة إلى كلية اللغة العربية حيث موعدنا مع أحد الاجتماعات التحضيرية لندوة الأدب الإسلامي، وحيث استقبلت هناك من قبل العميد وأحد أساتذة الأدب استقبالاً مترعاً بالترحيب والتقدير والتكريم فاق كل تصوّر... واستمرت الجلسة أكثر من ساعة دارت فيها مناقشات وطرحت آراء.

وألح العميد وأستاذ الأدب على الإفادة من وجودي لإلقاء محاضرات جامعية على الطلبة فضلاً عن محاضرة عامة. وتم الاتفاق على تحديد المواعيد بعد جملة أخرى من التقدير والتكريم كان لها في نفسي أثر عميق... وثمة إحساس بالندم والتشتت والضياع والتنازل وأنا أجدني مسوقاً من حيث لم أكن أريد من قبل، للإسهام في أنشطة فكرية وأدبية جماعية مع المؤسسات السعودية، ولا أدري كيف سينتهي بي المطاف، فأنا إذ أرفض ـ بصعوبة ـ عرض المعهد العالي لطرح برنامج لكتابة التاريخ عن طريق ترشيح خاص بي، أجدني مسوقاً للإسهام بالتحضير لندوة عن الأدب سيكون لها تأثيرها الذي لا يقل عن مشروع كتابة التاريخ... وأغادر الكلية مودعاً بكلمات التقدير وأنا موزع بين الارتياح والثقة وبين القلق والتشتت...

وفي الفندق أستلم رسالة من دكتور أحمد التوتنجي تطلب الاتصال به... وأهرع إلى غرفة آل عاشور، حيث أقضي أمسية طيبة تستغرق أكثر من ساعة في حديث عن قضايا الفكر والنشر... وتم التأكيد في الجلسة على السلسلة التي اتفقت معهم بصدد إصدارها على شكل كراريس متتابعة.

الأربعاء: استيقظت منشرحاً على غير عادتي، فبرنامج اليوم واضح محدد... صباحاً إلى الكلية لتدوين بعض الملاحظات حول ندوة الأدب، وللقيام بجولة في السوق القريب، حيث اشتريت عدداً من الحاجيات... عدت بعدها إلى الفندق، حيث زارني الأخ إبراهيم الوزير يحمل لي كتاباً عن القرن الخامس عشر، وحملنا الحديث إلى آفاق شتى. مساء توجهت إلى كلية الشريعة لحضور مناقشة رسالة للماجستير عن التصوير الفني لصلاح الخالدي، وكانت ساعات طيبة مع العدد الكبير من الحاضرين، ومع مناقشات الأستاذ محمد قطب الممتعة والمثيرة...

ولدى المغادرة طلب مني عدد من الطلبة من بلدان شتى بما فيهم بعض اليوغسلافيين المسلمين زيارتي في الفندق، كما طلب مني أحد إداريي الجامعية إلقاء محاضرة عامة في مخيم طلابي، وإمداد مجلتهم ببعض المقالات، فوعدته غير جاد في وعدي، وجرى حديث وتعقيبات وتعارف مع هذا الأستاذ أو ذاك، وعدت بصحبة عويس إلى الفندق، حيث أسرعنا بزيارة محمد قطب منتهزين فرصة حضوره القصيرة، وجرى خلال اللقاء حوار قصير عن آخر نتاجاته.

الخميس: أعلمني أستاذ في جامعة الرياض كيف أنهم قرروا هناك كتابي (تهافت العلمانية) في مادة الثقافة الإسلامية... إنها إشارة من عشرات تلقيتها هذه الأيام، وانها لثقة بالنفس أرجو ألا تكون وبالاً عليَّ!! وكنت قبل يومين قد أُعلمت من قبل رئيس قسم الأدب في كلية الآداب، بأن كتابي (في النقد الإسلامي المعاصر) قد قرّر على الطلاب.

تلقيت دعوة على الغداء من الدكتور أحمد فرحات... وكان غداء لذيذاً حيث سمك الزبيدي وأنواع المقبلات الشامية في أحد المطاعم، وحيث الحديث الممتع مع عدد من الأساتذة والأصدقاء المدعوين، حيث سئلت عن كتاب (أصوات) وتلقيت ثناءً طيباً...

في المساء تلقيت دعوة أخرى على العشاء في دار الأخ الأستاذ نعمان

السامرائي، حيث أرسل لي السيارة التي أقلتني إلى هناك، وقبل أن يأتي بقية المدعوين جرى حوار شيق، أُعلمت خلاله بأن كتاباً تقييمياً سيصدر عن إحدى المؤسسات يتضمن عرضاً وتحليلاً لثلاثة من مؤلفاتي، وأن دراسة أخرى كتبت عن (أصوات)... وتناولنا العشاء... وجلسنا بعده نتبادل الأحاديث... عدت بعدها إلى الفندق لأجد في الصالة عويس وآل عاشور، فجلست معهم أكثر من ساعة، وما أمتع الجلوس بصحبتهم، حيث الحديث عن قضايا الفكر والنشر، وحيث النكات والقفشات. وعرض عليَّ عويس فكرة كتابة مقالات أسبوعية لمجلة (الدعوة)، التي يشرف على تحريرها لقاء مبلغ طيب... فلم أعطه وعداً، إذ لا زلت اعتقد أن النشر في أية مجلة سعودية يتضمن شيئاً من التنازل ولهاثاً وراء المادة، وأخبرني آل عاشور بأنهم سلموا بحثي عن (ابن خلدون إسلامياً) لصاحب دار القلم فسررت بذلك.

الجمعة: زيارة بصحبة الأستاذ عمر عودة الخطيب للدكتور رأفت الباشا (رحمه الله) صباحاً، وحوار ممتع عن تاريخ سوريا الحديث... أداء صلاة الجمعة... وزيارة لدعبول وفرح بالحصول على مبلغ خمسمائة دينار أخرى... أمسية ممتعة في بيت الدكتور أحمد التوتنجي مع العشاء الموصلي اللذيذ... واتصال هاتفي من المدينة المنورة حيث يطلب رئيس جامعتها مكالمتي، ويرحب بي، ويعلمني بأنه بدأ محاولات جديدة وجادة لاستحصال الموافقة على إعارة خدماتي للمدينة... بينت له جانباً من المصاعب وشكرته، ولكن عرضه كان بمثابة صدمة لي... أو بالأحرى فتح الباب مرةً أخرى على أعاصير القلق التي لم أعد أحتملها.

السبت: توجهت إلى السوق للمرة الثالثة من أجل استكمال المشتريات التي كلفت بها في الموصل... ثم توجهت إلى المطار للتأكد من تثبيت حجز العودة، ثم عدت إلى الفندق لأسجل نداء إلى الموصل ما يلبث أن يتحقق فأكلم الأهل وأطمئن عليهم... وبعد دقائق أتلقى مكالمة من عبد الحليم محمد صاحب دار القلم فأتفق معه على موعد اللقاء.

يجيئني عويس وفق الموعد ونتجه سويةً لحفل افتتاح أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قاعة فندق الكونتنتال، وفي الطريق أفاتحه بتألمي للورطة الجديدة، التي أوقعت فيها نفسي، حيث أنني طلبت من بعض الإخوة مفاتحة المسؤولين بالحصول على الموافقة لتأدية العمرة المشتركة مع المؤتمرين، فإذا بأحدهم يطلب من وكيل الجامعة المسؤول، إشراكي في المؤتمر ونقلي إلى فندق الكونتنتال، وكيف أن هذا اعتذر بعدم وجود أماكن إضافية!! وقلت لعويس كان يجب ألا أتورط هكذا، وأن يتصور المسؤولون بأنني أرغب في دعوة نفسي، وأن آثار ذلك ستظل تصبّ آثارها المريرة في نفسي لعدة أيام... وقلت له بأنني عاتبت اليوم صباحاً الشخص الذي طرح المسألة بهذا الشكل، ورجوته بأن يبين للوكيل حقيقة الموقف... ولكن جواب عويس كان مريحاً بصدد الصيغة التي طرح بها الموضوع مع الوكيل، والتي تشعر بألا علاقة لي بالأمر.

ورغم أننا استُقبلنا هناك استقبالاً حافلاً، وأشاروا علينا بأن نجلس كأعضاء في المؤتمر في الخطوط الأمامية، إلّا أنني كنت في دوامة من الألم والتوتر والندم لأكثر من سبب... وبدأ المؤتمر وشعرت أنني اتضاءل أمام نفسي ومبادئي أكثر فأكثر، عندما تذكرت أنني بدأت أتنازل شيئاً فشيئاً عن القيم التي كنت أعتز بها، وكيف أنني رفضت يوماً دعوة الجامعة نفسها تشبثاً مني بفكرة أن الإسهام في أي مؤتمر إسلامي تقيمه السلطات السعودية، وغيرها انما هو تنازل عن المواقف المبدئية باتجاه المكاسب العابرة مادية وأدبية...

كانت هذه المعاني تدور في ذهني، وتنضاف إلى ندمي العميق على الورطة التي أوقعت فيها نفسي دونما أي مبرر... وظللت أردد ماذا لو ذهبت للعمرة وحدي دون انتظار هذه الفرصة التي فتحت عليَّ أبواب الجحيم النفسي؟

عندما انتهت جلسة الافتتاح خرجنا إلى الصالة، حيث تم التعرف على عدد كبير من الأساتذة والباحثين والمفكرين والطلبة، وحيث تلقيت حفاوة وتقييماً ما زادني إلا تعاسة وتشتتاً بسبب ما كنت أعانيه من الكسور النفسية...

إنني ـ كما قلت لعويس قبل ساعات ـ لا أحسّ بطعم الأشياء، ولا أعيش حياتي كاملة كما أتمنى ولا أستذوق طعم الفرح والامتلاء لأي شيء... ونادانى أحد الأصدقاء لكي يعرّفني برئيس جامعة المدينة المنورة، الذي استقبلني بحفاوة بالغة، وأعلمني أنه سيبذل جهده لاستحصال الموافقة على إعارة خدماتي.

سلّمت على هذا وذاك، ووقفت مع هذا وذاك، وجلست أخيراً مع عدد من الأساتذة كان من بينهم أستاذ هندي حدثني عن إعجابه بكتاباتي، الأمر الذي كان له أعمق الأثر في نفسي... فها هو رجل من الهند... أستاذ في جامعة دلهي يعرب عن إعجابه... انها لهدية قيمة حقاً هذه التعليقات، ما كنت أتوقع عشر معشارها، تمسح على متاعب قلبي الذي أثخنه جهد عشرين عاماً في الكتابة... وعلى جراحاته التي أدمتها مدينتي بالغيرة والتجاهل والصمت...

بعد صلاة العشاء أقلتنا السيارات إلى صالة الاحتفالات العسكرية، حيث دعينا لتناول العشاء... وفي السيارة جرى حديث بيني وبين الأستاذ الأردني عبد الحميد بخيت عن مؤتمر فلسطين القادم... وفي الصالة تم تبادل الأحاديث مع عدد من الأصدقاء، كان من بينهم الدكتور التونسي التهامي نقرة، الذي أكد إعجابه بطريقتي في طرح الأفكار وقال: إنه سيسعى لاستقدامي لجامعة تونس أستاذاً زائراً... وكنت مرتاحاً بعد حديث مع وكيل الجامعة المسؤول عن المؤتمر، عرض عليَّ فيه أن أنتقل إلى الكونتنتال، ولكنني اعتذرت بأنني مرتاح في فندقي ومرتبط بعدد من المواعيد...

تناولنا عشاء طيباً تبادلت عبره الحوار مع الأستاذ الجزائري الدكتور عمار الطالبي... وكان صحفي سعودي قد حدثني عن إعجابه بكتاباتي، والتمس نشر مقال (القرآن والبعد الزمني) في أحد أعداد المجلة التي يشرف عليها، كما أعلمني بأنه نشر لي عدداً من القصائد كذلك... وغادرنا القاعة إلى فندق الكونتنتال بسيارة أستاذ سعودي راح يكيل لكتاباتي من الثناء ما مسح عن قلبي بقايا المتاعب المتراكمة... وقال معقباً أنها تتضمن قدراً كبيراً من العمق يحتاج معها القارئ إلى إعمال عقله، وأنه لا بدّ من شيء من التبسيط إزاء

القارئ المعاصر. ودّعناه واتجهنا إلى صالة الفندق. وهنالك تبادلنا الأحاديث والنكات وانتحينا ركناً هادئاً، حيث جرى حوار مترع بالمحبة والانسجام على أصوات الموسيقى وجمال المنظر. وعبر الحديث كنت أقول بأن المسلم المعاصر الذي تسحقه الضغوط النفسية والقلق، وتملأ المرارة حلقه بسبب الهزائم المتواصلة، يجد في النوم المتعة رقم واحد في هذه الحياة!!

غادرت الفندق مع عويس واتجهت إلى فندقي، حيث استكملت بعض الأعمال ودونت المذكرات حتى ساعة متأخرة من الليل... وأنا أحسّ بإعياء شديد...

الأحد: استيقظت على شيء من القلق، فأنا لا أعرف إن كان عليَّ أن أذهب لإلقاء محاضراتي التي تم الاتفاق عليها على طلبة آداب اللغة العربية، أم أتجه لحضور جلسات المؤتمر، ولكن مكالمة من رئيس القسم وعميد الكلية أنهيا الموضوع، إذ أعلماني بضرورة تأجيل المحاضرات إلى الأسبوع القادم بسبب غياب معظم الطلبة وأعمال المؤتمر. فاتجهت مرتاحاً إلى الكونتيننتال، وحضرت مناقشات إحدى لجنتي المؤتمر، حيث لم يزد عدد الحاضرين عن العشرين شخصاً معظمهم ممن تجاوز الستين من العمر... شعرت بشيء من الملل، لكنني عموماً كنت مرتاحاً إذ جلست مسترخياً وحدي على كرسي مريح أتابع المناقشات... وبعد ساعتين، ارفضّت الجلسة، وتوجهت للاطلاع على معرض الكتاب الداخلي، وكم كان فرحي عندما التقيت وجهاً لوجه مع طبعة خامسة لكتابي عن (عمر بن عبد العزيز)... عدت إلى الفندق وأنا فرح للفترة الزمنية التي ستتاح لي بعد الغداء للنوم... لكن مكالمة من عبد الحليم محمد اضطرتني بعد الغداء إلى التنازل عن ساعة كاملة، حيث أعاد إليَّ بحثي عن (ابن خلدون) قائلاً أنه أكاديمي علمي مركّز لا يصلح لسلسلة (مسلم الغد) التي ينوي إصدارها... وجرى حوار مفصل عن مطالب السلسلة، وما يتوجب الكتابة فيها منهجاً موضوعاً... وما لبث أن غادر الفندق، فصعدت إلى الغرفة وأسلمت نفسي لنوم عميق...

قبيل الغروب جاءني سائق السيارة لكي يقلني إلى الكلية، حيث ألقيت محاضرتين في السيرة حققت خلالهما، رغم تعبي، قدراً طيباً من التواصل مع الطلاب... وعدت إلى الفندق لاستقبال ضيف كان قد عبّر عن إعجابه الشديد... وما لبث أن غادر صالة الفندق لكي أفاجأ بعده بشاب ذي ملامح غربية يستأذنني بالجلوس، وبعد قليل تم التعارف، إنه طبيب نفسي قدم لجامعة الإمام لأغراض استشارية، وجرى حوار طويل عن قضايا التاريخ والسياسة، ثم ما لبثت أن ودعته وصعدت إلى غرفتي.

الاثنين: غادرت الكلية إلى سوق البطحاء، وقضيت ساعتين هناك لاستكمال مشترياتي عبر جولة رابعة.. وفي المساء اتجهت إلى المعهد العالي للدعوة لإلقاء أولى محاضراتي فيه... وقدمني عميده لطلبة الصف المنتهي قائلاً أنني لا أحتاج إلى تقديم... وكانت محاضرتي عن منهج البحث في السيرة، وانبثق عنها تحليل موسع لدور اليهود في التخريب... غادرت بعدها القاعة لكي أجلس قليلاً لدى العميد، ثم يصطحبني أحد الأساتذة إلى الكونتننتال لحضور ندوة اليوم ضمن برنامج أسبوع الشيخ... وهناك في الصالة التقيت بعدد من الأصدقاء والطلبة والمفكرين... ودعاني أحد الطلبة لإلقاء محاضرة على إحدى المجموعات فوعدته خيراً...

الثلاثاء: توجهت إلى الكونتننتال لحضور مناقشات البحوث، وخلال ذلك تمكنت من استكمال الأبيات الشعرية الساخرة، التي وجهتها إلى آل عاشور أعاتبهم فيها على تأخير نشر مسرحيتي وعلى ما يعانونه من إهمال ونسيان... وفي أعقاب المناقشات، وبعد حوار مع عدد من المفكرين الإسلاميين من الجزائر والسودان والأردن ومصر، قفلت عائد إلى الفندق، لأجلس في الصالة مع دعبول لمدة نصف ساعة، ثم لأتلقى جملة من المكالمات الهاتفية لتثبيت عدد من المواعيد، أحدها مع الدكتور فتحي عثمان، الذي دعاني للغداء وقال بأن معه عدداً من الأصدقاء يرغبون في التعرف عليَّ...

وبعد العصر زارني في الغرفة عدد من الأساتذة والطلبة والمفكرين من

الجزائر ويوغسلافيا والعراق وجرت أحاديث طيبة، وأعلمني الدكتور عمار الطالبي بأنه رشحني لحضور الملتقى الإسلامي القادم في الجزائر، وأنه ـ أكثر من هذا ـ سيسعى لاستقدامي لجامعة الجزائر، فشكرته وقلت لزميله رئيس تحرير مجلة (الأصالة) الجزائرية بأنني سأقدم له عدداً من كتبي لكي يوظفها في مجلته.

توجهت إلى كلية اللغة العربية لإلقاء محاضرتين في النقد والأدب الإسلامي المعاصرين على طلبة قسم الدراسات العليا، والتقيت بالدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس القسم، حيث قدمني للطلبة مشيراً إلى دوري في ميدان النقد والأدب الإسلامي المعاصر، وإلى كتابي (في النقد الإسلامي المعاصر)، الذي يعد النموذج التطبيقي الأول في ميدان النقد، وإلى أنني أقف في خط النقد مع (محمد قطب) مباشرة، كما أشار إلى معطياتي الشعرية، فشكرته وبدأت محاضرة هادئة متدفقة منسابة امتلكت فيها تماماً زمام الموضوع، وتمكنت من شد اهتمام الطلبة وإشراكهم فيه، حيث اخترت مسألة ضرورة أن يكون هناك أدب إسلامي، والأهداف التي يتوخى تحقيقها، والمصاعب التي تقف في طريقه...

الأربعاء: ليلة مع الأرق والتشنج وضيق النفس واستيقاظ على الاكتئاب الصباحي المعهود... زيارة لندوة الشباب واستلام قائمة بالكتب المعرّفة... الذهاب إلى الكونتننتال لسماع المقررات الختامية لأسبوع الشيخ، وتبادل الضحك والنكات داخل القاعة مع عدد من الأصدقاء... الذهاب لتناول الغداء في نادي الفروسية وإحساس مبهج بالانطلاق النفسي، وحوار مع عدد من الأساتذة كان من بينهم الدكتور فؤاد سزكين والشيخ بهجت الأثري...

الذهاب عصراً إلى المخيم الطلابي في ضواحي الرياض، والإحساس بالإرهاق وضيق الوقت، ثم طرح المحاضرة بصيغة حوار مباشر مفتوح مع الطلبة، حيث رحت أتدفق ببداهة حاضرة ومعطيات غزيرة منحتاني الثقة والامتلاء... التوجه إلى المعهد العالي لإلقاء محاضرتين على قسم الإعلام...

التوجه إلى مدارس الايمان حيث اللقاء بعدد من الأفارقة وتناول الكعك والشاي...

الخميس: لقاء صباحي في فندق اليمامة مع الشاويش لاستكمال الحديث في موضوع الكتاب الذي سيتولى نشره... حضور الجلسة الختامية لأسبوع الشيخ... حوار ومجاملات مع عدد من الأساتذة والمؤتمرين... جلسة مع الدكتور العجلان نائب مدير الجامعة، يدور فيها الحديث عن مؤلفاتي حيث يبدي الرجل إعجابه وتقييمه... زيارة يقوم بها عدد من الأساتذة الأصدقاء لغرفتي في الفندق... أمسية ممتعة في ندوة الرفاعي الأسبوعية...

الجمعة: يوم العمرة الحلم... والرحلة المكثفة بين الرياض وجدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة... حيث يعجز التعبير...

السبت: شيء من الهم بسبب كثرة المطالب، وكثافة المحاضرات الخاصة والعامة... وضرورات التحضير... جلسة طويلة في قسم الثقافة الإسلامية لترتيب جدول الأسبوع وسماع أحاديث البطولات السورية الرائعة... أحد المعيدين يعرض فكرة إجراء حوار معي لغرض نشره في إحدى المجلات... والاعتذار عنه... زيارة لندوة الشباب وحوار مع عدد من الإسلاميين، وإعلامي من قبل أحد المحررين بأنه سينشر قريباً نقداً لكتابي (دراسة في السيرة) في إحدى الصحف العربية اليومية في لندن... زيارة للشيخ الندوي في فندق الخزامى... أمسية طيبة وعشاء لذيذ وحوار وذكريات في بيت ابن العم هشام الطالب بعد عودته من الخارج...

الأحد: تسليم مسودات كتابي (في التاريخ الإسلامي) لشاويش في جلسة ودية التقطت فيها بعض الصور التذكارية، وجرى الحديث عن احتمال جعل الكتاب المذكور بداية لسلسلة تتضمن دراسات تاريخية عديدة ضمن التصور الإسلامي... التوجه إلى كلية اللغة العربية لإلقاء محاضرتين في الأدب الإسلامي على طلبة الصف الرابع... وعندما غادرت القاعة نازلاً الدرج أحسست بأني أترنّح، ودارت الدنيا أمامي، وكدت أسقط أرضاً لولا أنني أسرعت

بالاتكاء على الجدار ريثما استعدت توازني... أما تقديم رئيس القسم إياي أمام طلبته بأنني مؤرخ وناقد وشاعر، وبأن كتابي (النقد الإسلامي المعاصر) هو أحد كتبهم المنهجية المقررة، فقد جاوزت كل حدّ، وما ذلك إلا بفضل الله وحده...

توجهت مساء إلى كلية الشريعة لإلقاء محاضرتين على طلبة الثقافة الإسلامية (الدراسات العليا)، وعدت إلى الفندق وأنا أحسّ بغثيان شديد وألم في رأسي... وجلست بعد العشاء أعاني من بقايا الغثيان والصداع، وأقضي ساعة من الوقت مع الناشر التونسي الحبيب اللمسي، ثم انصرفت لإعداد محاضرة ليوم غد عن (القرآن والمسألة العلمية)...

الاثنين: جلوس في صالة الفندق للإعداد لمحاضرة اليوم... زيارة مع عويس لعمادة المكتبات... الاستيقاظ عصراً مع استمرار حالة الغثيان وضيق النفس... محاضرة قاسية في المعهد العالي بسبب ضيق النفس... إلقاء محاضرتي العامة عن (القرآن والمسألة العلمية) بتمكن ممتع، وسيطرة تامة، وتدفق حيوي شد اهتمام الحاضرين... الإجابة على عدد من الأسئلة ثم اختتام المحاضرة بكلمة من رئيس القسم الأستاذ عمر عودة الخطيب، تضمنت تقييماً لي استمر أكثر من ربع الساعة، تناول فيه عمق المحاضرة، وحيوية الطرح، وأصالة الفكر وإخلاصه، وتنوع ثقافتي مع التمكن في كافة قطاعاتها... وشبهني بأجدادنا الروّاد من كبار المؤلفين، الذين كانوا يكتبون في أكثر من حقل، ورجى الطلبة أن يسيروا على المنوال نفسه، وأن يكون كلٌّ واحد منهم (عماداً) آخر... وقال بأن محاضرتي جاءت لكي تكمل الصورة التي عرفوها عني من خلال كتاباتي... وأعرب عن محبته واعتزازه.

كنت أحسّ بفرح عميق وثقة غامرة بالنفس غطت على جميع متاعبي الصحية مع الغثيان وضيق النفس... فحمداً لله وحده...

الثلاثاء: أتوجه إلى الكلية، ومنها إلى كلية اللغة العربية لأسلم لرئيس القسم اقتراحاتي بصدد الندوة الأدبية، وأقفل عائداً إلى مكتبة الكلية لإعداد

محاضرة المساء... في العودة للفندق قمت بجولة في سوبر ماركت مجاور... ثم تناولت غدائي على طريقة الاختيار الحرّ، حيث التهمت وجبة شهية من السمك في أحد المطاعم القريبة، وندمت على تفويت الفرصة على نفسي طيلة الأسابيع الماضية، حيث وجبات بوفيه الفندق التي تثير القرف والغثيان... اتجهت مساءً إلى الكلية لإلقاء محاضرة في مناهج البحث على طلبة الثقافة... وبعد الثامنة والنصف كنت على موعد آخر لإلقاء محاضرتي العامة عن (قضايا من التاريخ الإسلامي)...

ولقد دفعني تواجد عدد كبير من الأساتذة والأصدقاء إلى إبداع في العرض والتحليل ما كنت أحلم به... وكنت وأنا أتوغل في المحاضرة أشعر أنني لست ممتلكاً لزمامها بتمكن كامل فحسب، ولكن ـ أيضاً ـ ممتلكاً لاهتمام الحاضرين وانتباههم، لِما كان عرضي يتميز به من حيوية وتدفق ولمس للقضايا الهامة ومقارنات شاملة وربط بالواقع... ثم بدأت مناقشات عدد من الأساتذة كفتحي عثمان وعويس، والإجابة على مجموعة كبيرة من الأسئلة التحريرية التي رحت أتلاعب بطريقة الإجابة عليها، وأنتقل بالحاضرين ـ بحيوية وخفة ـ في ميادين الفكر والتاريخ والسياسة وببداهة حاضرة كالشهاب.

انتهت المحاضرة، وتلقيت التهاني من الأساتذة والطلبة... كنت أشعر بفرح غامر، وثقة لا حد لها، وبأني قد أنجزت ما كنت أريده... لكنني ـ من الداخل ـ في نقطة ما من أغوار نفسي، وكعادتي دائماً... كنت أعاني من إحساس مرير بالحزن والتشتت... ومن أحقاد مبعثرة تجاه هذا الشخص أو ذاك في مدينتي، ممن يتعمدون أن يتجاهلوا معطياتي ولا يعرفون عني شيئاً... وكنت أستشعر أيضاً معاناة وهموم العودة إلى العراق، وافتقاد هذه الأجواء الحيوية المعطاءة، واحتمال عدم السماح لي بتكرار التجربة...

وتذكرت البرقية التي بعث بها الدكتور عبد الرحمن الحجي رئيس قسم التاريخ في جامعة أبو ظبي واستلمتها مساء اليوم، يطلب فيها مني الحضور السريع لأبو ظبي خلال عودتي لضرورة ما، فانكمشت قليلاً، وقلت ها هو ذا

يُفتح عليَّ باب جديد للقلق، هذا إلى أن برقيته قد تعني شيئاً، فلربما سمع بأن عودتي للعراق قد تسبب لي بعض المتاعب وأنه يريد أن يجنبني إياها في الوقت المناسب، لكنني خبأت هذا كله في داخلي، ومن عجب أنه لم يؤثر على سير محاضرتي بشيء... وقررت أن أبعث برقية جوابية أعتذر فيها... واتجهت مع عويس إلى داره لتناول العشاء معاً وقضاء الأمسية... وهناك فوجئت بعودة الحاج حسن عاشور، وكان لقاء حاراً وعشاءً طيباً وحواراً ممتعاً تخللته كالعادة النكات الحلوة... وعدت إلى الفندق بصحبة صديق جديد من آل شويعر.

الأربعاء: أيقظني جرس الهاتف، فرفعت السماعة وإذا بسكرتير مكتب رئيس الجامعة يتحدث إلي ويخبرني بأن المذيع المعروف أحمد فراج، الذي يعمل الآن في منظمة الإذاعات الإسلامية يحب أن يتصل بي ويتعرف عليَّ... وبعد دقائق اتصل فراج بنفسه، فرحب بي وأعلمني أنه يتابع أنشطتي الفكرية والفنية، وأنه يودّ لقائي ولربما أتيح له ذلك يوم السبت القادم، وأنه سيسافر من جدة خصيصاً لهذا اللقاء... توقعت أنه يرغب في أن أقدم شيئاً للإذاعة، ولكن الرفض كان معلقاً على لساني طبعاً، والسبب معروف، فأنا لن اتعامل مع أجهزة الإعلام السعودية الرسمية ولن أكون صوتاً في خدمة السلطات أياً كانت.

بعد وقت قصير وصل أحد الأصدقاء الأساتذة في كلية العلوم الاجتماعية وعرض عليَّ أمراً في السياق نفسه؛ أن أكتب للإذاعة السعودية خواطر ومقالات، وقال بأن المقال الواحد الذي لا يستغرق سوى دقائق معدودات، قد يدفع ثمناً له خمسون ديناراً!! فاعتذرت عن قبول العرض، وبينت له بعض الأسباب...

توجهنا إلى كلية آداب جامعة الرياض لزيارة الدكتور يوسف عز الدين... ثم عدت إلى الكلية لمتابعة موضوعات الأجور والتذكرة وتساجيل المحاضرات، وأبعث ببرقية اعتذار للحجي... وأتوجه إلى ندوة الشباب، ومنها إلى بيت الدكتور التوتنجي، حيث تناولنا غداءً شهياً حضره عدد من المعارف والأصدقاء... وعدت إلى الفندق بصحبة أحد المدعوين، وما لبث أن استقبلت

بعض الطلبة حيث جرى حوار قصير، اتجهنا بعده إلى إحدى المجمعات السكنية، حيث جرى لقاء مع حشد من الطلبة من مختلف الجنسيات الأوربية والآسيوية، فتحت معهم باب الحوار المباشر، وأجبت بتمكن تام وطلاقة باللغة على أسئلتهم كافة... كان انسجامهم واضحاً، ومحبتهم المتبادلة تفصح عنها عيونهم... ودعوني لتناول العشاء، لكنني اعتذرت فودعوني وسط مظاهر المحبة العميقة والتقدير البالغ.

غادرت المكان إلى ندوة الشباب وأنا أحسّ بامتلاء عميق... فرحاً نفسياً وثقة بالذات وشعوراً بأني أمارس دوراً طيباً، وأني أملك قاعدة واسعة من القراء والمتابعين فحمداً لله... وتذكرت كيف حدثني أحد الأقرباء ظهر اليوم عن رغبة جامعة الإمام في التعاقد معها، وعن قول وكيلها أنهم على استعداد لمنحي امتيازات خاصة، ومضاعفة أجوري في حال موافقتي على التعاقد... وتذكرت كيف أن أستاذاً آخر عرض عليَّ الموضوع نفسه، وكيف أنني أعلمتهما باستعدادي للعمل والبدء بمحاولة جديدة، شرط أن تتحرك جامعة الإمام وترمي بثقلها كاملاً لمعاونتي على تخليص الأمر وفك العقدة في بلدي، وقلت في نفسي: إنها لأحداث وتجارب نفسية وخارجية بيد أنها أخذت تتلاحق بأسرع مما أطيق... وإنها ستعيدني ثانية إلى دوامة القلق والإرهاق... ولكني بعد تجربتي المكثفة في الرياض لم أعد أستطيع التراجع... وقلت بأنني لا بدّ أن أقوم بالمحاولة مرةً أخرى علّها تصل بي إلى ما أطمح إليه.

في الندوة جرى أكثر من حوار مع الرائحين والغادين، وقضيت أكثر من ساعة ممتعة مع حشد من الأدباء في إحدى الغرف، نتناول الأحاديث والنقدات والنكات، ونثير عدداً من المسائل الأدبية... وتم الاتفاق على عقد أمسية أدبية بعد يومين... توجهت إلى بيت أحد الأقرباء حيث تناولنا عشاءً طيباً وتبادلنا الأحاديث... ثم ما لبثت أن قفلت عائداً إلى الفندق مع أحد الأصدقاء... كنت متعباً مرهقاً، وما أن وضعت رأسي على الوسادة حتى وجدتني استسلم لنوم عميق...

الخميس: توجهت صباحاً إلى السوق في جولة مشتريات خامسة استغرقت مني الساعات الطوال... وفي المساء نزلت إلى صالة الفندق بانتظار عويس... وفي الممر التقيت بصديقين جاءا لزيارتي، وكان أحدهما يتكلم عن إعجابه بمسرحيتي (القطيع)... جلسنا في الصالة نتناول العصير ونتحدث عن بعض القضايا، وما أن قدم عويس حتى انطلقنا بسيارته إلى دار الدكتور فتحي عثمان، حيث دارت أحاديث شتى وجرى حوار مكثف عن الإسلام وبعض المسائل التاريخية، وبخاصة الموقف من العصبية القبلية والقدرة على التغيير... اتجهنا بعدها لاستكمال أمسيتنا في دار الشيخ الرفاعي، حيث ألقيت القصائد ودارت الأحاديث، وحيث طلب مني أن ألقي بعض قصائدي ولكنني اعتذرت بسبب عدم تذكري ما يعينني على الإلقاء...

عدت إلى الفندق، وكان عليَّ أن أتابع بعض المسائل، وأعاني القلق إزاء العمل الذي لا ينتهي، أقول في نفسي، ترى أيمكن لي ومستقبلاً أن أنظم أموري بحيث لا يتبقى أمامي، وبشكل مستمر، أي عمل معلّق؟ وأجد الجواب واضحاً: فما دمت قد اخترت طريق الكتابة والإنجاز؛ فإنني سأظل وسط دوامة المتابعات، غارق في بحر قلقها الذي ليس له قرار...

الجمعة: جلسة مع عدد من الأساتذة والأصدقاء في صالة الفندق... أداء صلاة الجمعة وغداء بمعية الدكتور يوسف عز الدين في بيت الدكتور إبراهيم المدرّس... حوار في الفندق مع صديق آخر لدى الرجوع عصراً... أمسية في بيت ابن العم... وحوار... ولعب لكرة المنضدة، وعشاء لذيذ... وعودة مرهقة إلى الفندق.

السبت: استيقاظ قلق بسبب كثرة الأعمال التي يتوجب إنجازها... فغداً هو يوم السفر... الذهاب إلى الكلية ومنها إلى كلية اللغة العربية لتوديع بعض الأساتذة... حوار ووداع مؤثر في قسم الثقافة الإسلامية... تسلم تذكرة العودة وأجور المحاضرات... الذهاب إلى المطار لتثبيت الحجز... التوجه إلى رئاسة الجامعة وإلى كلية العلوم الاجتماعية، حيث جرى توديع عدد من الأساتذة وكبار الإداريين.. إحساس بالندم على غلطتي المالية التي ذكّرني بها عويس حول

عدم المطالبة باعتباري ـ عملياً ـ أستاذاً لا أستاذاً مساعداً... حيث كنت سأستلم مبلغاً أكبر بكثير... زيارة لرئاسة كليات البنات... جولة مشتريات سادسة وأخيرة عصراً...

التوجه مساء إلى الندوة لحضور الأمسية الأدبية وحفل العشاء الذي أقيم على شرفي، حيث جرى حوار مجد حول العديد من القضايا الأدبية... وحيث لقيت من الحفاوة والتكريم والإشادة فوق ما كنت أتخيّل، وحيث أشير إلى دوري كأديب وناقد، وإلى معطياتي الأدبية كأعمال رائدة، أكثر من مرة... وحيث قُيِّمت بعض دعوات كنت قد طرحتها في عدد من الكتب بصدد ضرورة أن يشمر الإسلاميون عن ساعد الجد لإغناء تيار الأدب الإسلامي... وحيث أتيح لي لأول مرة في حياتي أن أقرأ شيئاً من شعري، ولحسن الحظ كانت نسخة من ديواني حاضرة لدى أحد الأصدقاء...

لقد كانت أمسية مترعة حقاً تمكنا خلالها من تحقيق إنجاز طيب كان بمثابة الحلم عبر أكثر من عقد... وهو وضع التأسيسات الأولى لإنشاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، التي سيقدر لها أن تعلن في الهند بعد سنوات قليلة من ذلك التاريخ... وغادرت المكان لكي أودع وداعاً حاراً... وأرجع إلى الفندق لأجد عويس بانتظاري لكي يودعني... وكان وداعاً مؤثراً لست أدري لماذا اجتاحتني عبره عاصفة من الحزن والتشتت والإعياء... ثم صعدت إلى الغرفة حيث كان أمامي عمل مرهق استغرق الساعات الطوال بين استكمال تنقيح إحدى المحاضرات العامة، وتنظيم لسيل من المشتريات في حقائب لم تكد تتسع لها إلا بصعوبة بالغة، وحينذاك أحسست بأني قد تخففت من عبء كبير، وأسلمت نفس للنوم في ساعة جداً متأخرة من الليل...

الأحد ٣/٢٣: الانطلاق إلى المطار صباحاً في حالة من الارتياح والانشراح... توديع الأصدقاء والأقرباء... والتوجه إلى الطائرة التي ما لبثت أن حطت بنا عصراً في مطار بغداد... والحمد للّه...

[١١]

رحلة عام ١٩٨٠م إلى الأردن

مغادرة الموصل وسط إحساس عميق بالسعادة والانسجام، ربما بسبب قصر مدة السفر... ساعات طويلة من الانتظار الممل في المطار، وأخرى طيبة في صالة المغادرين وفرح عميق لدى التأكد من عدم اشتراك أحد من أساتذة كلية الآداب في المؤتمر... إقلاع الطائرة بعد تأخر أكثر من ساعة... الوصول بعد منتصف الليل والتوجه بصحبة المستقبلين إلى فندق تايكي... نوم متقطع...

الجمعة ٤/١٨: جلسة قصيرة في الصالة مع عدد من الأساتذة... أداء صلاة الجمعة والعودة لتناول الغداء في الفندق مع حشد من الأساتذة والباحثين... نومة طويلة ومتقطعة عصراً... النزول إلى الصالة وإحساس بالغربة وسط نماذج الأكاديميين التقليديين والمحققين... شعور حاد بالفارق بين رحلاتي السابقة، حيث النماذج الفكرية التي يمكن التجاوب معها وبين هذه الرحلة.

فرح بطرح بحثي للمناقشة في أول جلسة للجان المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام وفلسطين، مساء السبت، ومعنى ذلك أنني سأتحرر بعدها من أية مسؤولية.

السبت: يوم افتتاح المؤتمر... أستيقظ مبكراً وأكمل سائر أعمالي ثم أنزل مرتاحاً لتناول الفطور... جلسة في صالة الفندق ثم التوجه في الباص إلى نادي الجامعة... كنت سعيداً جداً أتحدث مع عدد من الأساتذة والباحثين... توجهنا إلى قاعة الافتتاح بانتظار حضور الملك لإلقاء خطابه... بعدها غادرنا القاعة لنتناول الشاي والقهوة والعصير... ثم ما لبثنا أن تناولنا غداء طيباً في مطعم الجامعة مع حشد من الأساتذة... وخرجت لكي أتجول في الممرات الحالمة الخضراء... وزرنا معرض الكتاب ووجدت كتابين لي هناك (التفسير الإسلامي للتاريخ) والطبعة الخامسة من (ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز)... وعدنا إلى الفندق...

وفي الرابعة والنصف عصراً عادت بنا الباصات إلى الجامعة... وهناك تعرفت على اثنين من المؤتمرين تقدما إليّ وأشادا بكتاباتي... وكان ثمة شخص ثالث يعمل في الإذاعة الأردنية قد تقدم إلي صباحاً وأشاد بكتاباتي، وطلب مني أن أسجل حديثاً إذاعياً، فاعتذرت عنه...

ألقى ولي العهد كلمته... ثم انقسمنا إلى لجان أربع، وذهبت أنا إلى اللجنة الثالثة... بدأ مستشرق أوربي بإلقاء بحثه معززاً بسلايدات ملونة... ولما جاء دوري كنت متردداً بين أن ألقي موجزاً ببحثي ارتجالاً وبين أن أقرأه، ولما وقفت وراء المنصة وجدتني متمكناً تماماً من الارتجال... وطرحت الخطوط العريضة للبحث، ثم تحولت لقراءة بعض الصفحات... وبعد تناول الشاي عدنا ثانية للاجتماع وألقى أستاذ آخر بحثاً مشابهاً... ثم بدأت المناقشة... وأشاد رئيس الجلسة الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد بالبحثين، فمنحني هذا معنوية بالغة... وعندما توجهت إلى المنصة للرد على الأسئلة كنت متمكناً تماماً... وغادرنا القاعة وأنا أحسّ بسعادة غامرة، فها أنا ذا قد ألقيت عن كاهلي عبئاً ثقيلاً وخرجت من المعركة منتصراً... وما تبقى من أيام فسأحضر الجلسات مستمعاً ومناقشاً... ويمكنني كذلك أن أتسلل لقضاء بعض الأعمال...

تناولنا عشاء لذيذاً في بناية ارتباط جامعة اليرموك، وتوجهنا إلى صالة السينما لمشاهدة فيلم عن جامعة اليرموك... عدنا بعدها إلى الفندق لكي أقرأ قليلاً... وأنام...

الأحد: توجهنا صباحاً إلى أعمال اللجان في الجامعة... وشاركت في جلسات لجنتين... اعتذرت عن إجراء حوار تلفزيوني قصير... توجهنا إلى فندق الأردن لتناول غدائنا بدعوة من وزارة الإعلام... ثم خرجنا إلى نصب الشهيد، حيث شاهدنا عدداً من الأفلام التسجيلية وتجولنا في المتحف الحربي... ومنه إلى إحدى الثكنات العسكرية، حيث شهدنا عرضاً موسيقياً عسكرياً رائعاً... وعدنا إلى الفندق... كنت أحسّ بإعياء شديد، وندم على فوات وقت صلاتي الظهر والعصر، فيما لم أفعله من قبل إلا نادراً... وما أن صعدت

إلى الغرفة حتى دق جرس التلفون... أحد طلبتي من خريجي كلية الآداب جاء يزورني ويقدم لي هدية تذكارية... بعد مغادرته نزلت إلى صالة الفندق لأستمع إلى نشرة الأخبار... ثم لنتجه إلى نادي البساط الطائر لتناول العشاء بدعوة من شركة عالية... كانت جلسة سعيدة مع عدد من الأساتذة... عدنا بعدها إلى الفندق.

الاثنين: حضور جلسات اللجان صباحاً... الغداء في متحف عمان... وجولة في القلعة... وبعد راحة قصيرة في الفندق، عدنا ثانيةً إلى اجتماعات اللجان... بعد الخروج اتجهت وجماعة من الأصدقاء التونسيين إلى مطعم الجامعة لحضور حفل عشاء ولي العهد... وقفة مع هذا الأستاذ أو ذاك، ثم مصافحة لولي العهد الذي يقول لي بأنه لم يسبق وأن تعرف عليَّ من قبل!! تناول العشاء مع أستاذ للأدب الحديث جرى بيني وبينه حوار طويل حول الأدب الإسلامي، وتبادل للعناوين... حوار مع شيخ سوداني، وتوديع للأصدقاء التونسيين، وجلسة طويلة في صالة الفندق مع حشد من الأساتذة المصريين والتونسيين والفلسطينيين... وجرى حوار شيق حول العديد من القضايا المتعلقة بالإعارة والتاريخ والنشر والمجلات العلمية... وسألتُ عن إمكانية النشر في مجلة (عالم الفكر) الكويتية فأُجبت بالإيجاب ووعدت بتهيئة بحث للمجلة علّي أحظى بعطائها السخي الذي قد يبلغ مائتي دينار!!

الثلاثاء: كان عليَّ أن أنزل إلى السوق صباحاً لشراء بعض الحاجيات... تناولت فطوري مع الدكتور محمود زايد والدكتور عليَّ عطية (رحمه الله) الذي أشاد بكتاباتي... ذهبت أولاً إلى الجامعة، وعدت من هناك إلى وسط عمان حيث قمت بجولة مشتريات موفقة، وعدت إلى الجامعة فرحاً سعيداً لكي ألتحق بالوفود قبل الغداء... تلقيت عدداً من الكتب هدية من صديقين أحدهما أديب مذيع والآخر طالب ماجستير.

في الرابعة والنصف عصراً عدنا إلى أعمال اللجان... التقيت بالدوري وتحدثنا قليلاً ثم أهديته أحد كتبي... التحقت بإحدى اللجان لمتابعة بحث عن

العراق والقضية الفلسطينية... ثم خرجنا لتناول الشاي... وأنا أقف إلى جوار الباب تقدم مني أحد الحاضرين تصحبه امرأة ذات ملامح فرنسية رقيقة ظننتها امرأته... وناداني باسمي وأعلن عن رغبته في التعرف عليَّ بعد أن قرأ كتابي (تهافت العلمانية) وأعجب به... دخلنا في حوار حول الموضوع وتقدمت المرأة لكي تناولني قدحاً من الشاي... بينما جاءني طالب جامعي يعرب عن رغبته في التعرف عليَّ بعد أن قرأ عدداً من كتبي... وسألتها عما إذا كانت زوجة الشاب فقالت أنها أخته وأنها تكمل دراستها للماجستير في اللغة الفرنسية...

دخلنا القاعة ثانيةً واستمعنا لموضوع آخر عن العراق والقضية الفلسطينية... ثم ما لبثت أن انتقلت وصديق آخر إلى قاعة ثالثة لمشاهدة عرض بالسلايدات حول القدس... بعد انتهاء المناقشات التقى بي أحد الأساتذة الأدباء وضرب معي وصديق آخر موعداً غداً مساء لجلسة أدبية... وتقدمت من الدكتور شاكر مصطفى، رئيس قسم التاريخ في جامعة الكويت وسلمت عليه وعرفته بنفسي، وجرى حوار قصير حول آخر مؤلفاتنا وحول محاولتي الأخيرة الفاشلة لإعارة خدماتي.

اتجهنا إلى صالة مدينة الشباب لتناول العشاء بدعوة من وزير الشباب... ومرّ الوقت وأنا أجلس مع هذا وذاك... وأتحدث إلى هذه المجموعة أو تلك، وأزدرد الطعام والأصناف التي يعجز الوصف عنها، دون أي قدر من التلذّذ...

الأربعاء: توجهنا إلى اللجان... استمعت لمناقشة عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وخرجنا لشرب الشاي، ثم استأنفنا السماع في قاعة أخرى... تناولنا غداءنا وعدنا إلى الفندق... وبعد نومة العصر نزلت إلى الصالة لكي ألتقي بعدد من الأساتذة، ونذهب سويةً لزيارة المستشفى الإسلامي... جلسنا قليلاً في صالة المستشفى حيث ألقيت بعض الكلمات وجرى التعارف وقمنا بعدها لتناول الفاكهة والشاي... وعلى المائدة تقدم مني الدكتور مصطفى الزرقا والأستاذ محمد المبارك (رحمهما الله) وأثنيا على كتاباتي بصيغة يعجز عنها

الوصف... وشعرت بثقة متزايدة وأنا أستمع لتقييم اثنين من شيوخ العلماء... وقال أحد الحاضرين، وهو أستاذ في الجامعة الأردنية بأنه قرر كتابي (تهافت العلمانية) على الطلبة، وقال آخر بأنه كان يدرّس التاريخ صباحاً، وأشار على الطلاب بقراءة كتابي (التفسير الإسلامي للتاريخ)، وعلق ثالث بأنني المؤرخ الإسلامي المعروف (كذا...)... وقلت في نفسي ها أن الله ﷻ قد وفقني كل هذا التوفيق، وها هي كتبي تؤدي دورها في الصراع ضد الباطل.

اتجهنا إلى الفندق، حيث جرى حوار شيق مع عدد من الأساتذة، ثم غادرناه إلى مطعم الجامعة لتناول العشاء بدعوة من رئيس الجامعة... وعدنا إلى الفندق... كان عليَّ أن أعمل كثيراً... وكان النوم يغريني بترك كل شيء... ولكني قررت أن أواصل العمل.

الخميس ٤/٢٤: اتصل بي هاتفياً الأستاذ المبارك (رحمه الله)، وقال أنه والدكتور الزرقا (رحمه الله) في صالة الفندق بانتظاري لكي (يشبعا) مني، شكرته ونزلت إلى الصالة... سألا عن الدكتور شاكر مصطفى فبحثت عنه واصطحبته إلى حيث جلسنا دقائق معدودات نتبادل الأحاديث... توجهنا إلى الجامعة وحضرنا جلسة الختام وقراءة التوصيات... وانطلقنا بعد توديع عدد من الأساتذة الأصدقاء إلى الغور في رحلة بالباص إلى دير علا... حيث انطلق الباص في طريق ربيعي جميل... وتبادلت مع أحد الأساتذة أحاديث ونكات شتى، حتى إذا ما وصلنا المكان المرتفع المشرف على وادي الغور، والذي يفيض روعةً وجمالاً... جلسنا هناك بعض الوقت نتأمل الطبيعة المعجزة ونتبادل الأحاديث...

وبعد تناول الغداء اللذيذ، حيث دارت أحاديث شتى مع عدد من الأساتذة من هذا البلد أو ذاك... قفلنا عائدين لكي نلقي نظرة على البحر الميت... وعدنا إلى الفندق. وكان عليَّ واثنين من الأساتذة العراقيين، بما فيهم الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي (رحمه الله) أن ننتظر الساعات الطوال، دون نوم حتى يحين موعد ذهابنا إلى المطار، إذ تغير موعد الإقلاع إلى الثانية بعد منتصف

الليل بدلاً من الثامنة... فلما ذهبنا إلى هناك قالوا بأن تأخيراً قد حدث، وأن الإقلاع سيكون في السادسة صباحاً.

عدنا إلى الفندق لكي ننام ساعتين أو ثلاثاً... ثم نقفل عائدين إلى المطار، لكي ما تلبث الطائرة أن تنطلق بنا في رحلة خفيفة ممتعة إلى بغداد.

[١٢]

رحلة عام ١٩٨٠ م الثانية إلى السعودية

الجمعة ١٢/١٩: الوصول إلى عمان... تثبيت الحجز صباحاً وإرسال برقية للجامعة بموعد الوصول... الانطلاق بالطائرة صبيحة اليوم التالي حيث الإحساس الغامر بالارتياح والانسجام... الوصول والاستقرار في فندق زهرة الشرق... والاتصال بالدكتور عبد الحليم عويس وأخذ موعد منه... ثم ما يلبث أن يجيئني حيث تدور أحاديث شتى، ويخبرني عن تسليم بحثنا المشترك لأحد الناشرين الطيبين، وعن قرب ظهور دراسة نقدية حول كتابي (تهافت العلمانية) في مجلة كلية العلوم الاجتماعية.

في صباح اليوم التالي أتجه إلى الكلية لتنظيم جدول المحاضرات، ومنها إلى كلية العلوم الاجتماعية فرئاسة الجامعة في محاولة لترتيب محاضرات إضافية بأجور مستقلة، ولكن دون جدوى... موجة من القلق والاكتئاب والهواجس حول الأهل بسبب عدم التمكن مخابرة العراق... إلقاء أولى المحاضرات في قسم الدراسات العليا وإحساس عميق بالارتياح لإنجازها بشكلٍ مرضٍ، وشيء من القلق بصدد طريقة تثبيت المحاضرات للطلبة لأغراض الامتحان... أمسية طيبة في الفندق مع تصفح المجلات.

الاثنين: لقاء مع صديق من حلب في غرفة الفندق... حضور ندوة عن تاريخ البحر الأحمر في كلية العلوم الاجتماعية، حيث يشيد مديرها بي ويرحب بوجودي، ويقيم كتابي (التفسير الإسلامي للتاريخ)، ويدعوني لإلقاء محاضرة عن الموضوع.

الثلاثاء: ارتياح في الصباح لحسم موضوع محاضراتي المزدوجة بالرفض... زيارة لكلية اللغة العربية... وأخرى للندوة العالمية للشباب... عروض مغرية لتقديم حلقات إذاعية بأسعار خيالية تنتهي بالرفض الصعب... في المساء ألقي محاضرتين تسجلان بجهاز الكاسيت فيؤثر ذلك على بلاعيمي بعض الشيء... أمسية شاي في بيت صديق... محاورات في الفندق مع عويس حول إخراج العمل المشترك...

الأربعاء: البقاء في الفندق صباحاً، وإحساس عميق بالارتياح لإنجاز الكثير من المتعلقات... دعوة عشاء دسمة في بيت صديق وأخرى في بيت أحد الأقرباء... قلق ليلي بصدد الأهل ووضع علاء خال الأولاد في الجبهة...

الخميس: لقاء مع عويس في الغرفة وحديث عن مشروع مشترك آخر... اتصال من رئيس قسم الثقافة الإسلامية حول كتابة كلمة عن التضامن لمؤتمر القمة الإسلامي، وانفتاح جبهة صراع نفسي جديدة بين الاستجابة للإغراء وبين الرفض... تهيئة الخطوط العريضة للمحاضرات في صالة الفندق... زيارة مسائية من قبل عويس والناشر العشماوي والاتفاق على طبع العمل المشترك ومؤلفات أخرى... أمسية طيبة في ندوة الرفاعي الأسبوعية... أحد الناشرين يعرب عن إعجابه بكتابي (دراسة في السيرة)... عشاء في بيت صديق من اللاذقية وارتياح عميق لحديثه عن محبتهم هناك لي... تزايد القلق والاكتئاب بصدد الأهل والأطفال بسبب إخفاق الاتصال الهاتفي...

الجمعة: ارتياح لإنجاز المتعلقات... أداء الصلاة مع عدد من الأقرباء... وجبة مشويات في بيت ابن العم هشام الطالب... وعدة أشواط ممتعة من لعب كرة الطاولة... فرح وأطمئنان لنجاح محاولة هاتفية للاطمئنان على الأهل... وشيء من القلق على الصغيرة (مها) بسبب فطامها الصعب... أمسية في بيت صديق آخر ومبادرة في الحوار كالعادة حيث التدفق والانسياب.

السبت: إقناع رئيس القسم بعدم الكتابة عن موضوع التضامن، وشيء من التأثر وعدم الارتياح يبدو في وجهه... دقائق مع الدكتور عبد القدوس أبو

صالح وحديث سريع عن الندوة الأدبية... محاضرتان ناجحتان في أصول البحث... ارتياح لقلة محاضراتي عما كانت عليه في الرحلة السابقة... أمسية مع عويس في الفندق... وبرقية من عاشور بوصوله قريباً... وحضور رضوان دعبول يحمل كتابي الجديد: (الإمارات الأرتقية...).

الأحد: صباحاً في الكلية... مساءً: محاضرتان في الكلية، وجلسة طيبة مع رضوان في الفندق... تصفح ممتع لكتابي الجديد عن الأراتقة.

الاثنين: زيارة لوكيل الجامعة، ودعوة منه لتمديد البقاء... إحساس بالسعادة والانسجام عبر النهار... زيارة مسائية في الفندق من قبل محمد حسن بريغش... حضور محاضرة عامة للقطان... زيارة للدكتور محب أبو صالح... أمسية ممتعة مع رضوان دعبول... وحديث عن صعوبة كتابي (دراسة في السيرة) وأكاديميته...

الثلاثاء: شيء من القلق والاكتئاب لدى الاستيقاظ... ارتياح لتثبيت الحجز على عمان... وجدّة لأغراض العمرة... زيارة لكلية أصول الدين... إعلانات لمجلة الأمة القطرية وتقييم مشجع لمقالي فيها... اعتذار عن الاشتراك في مناقشة رسالة للماجستير... انسجام ممتع بسبب إنجاز عدد من الأعمال في الفندق... نصف ساعة مع دعبول وحديث عن بيع حقوق مؤلفين له... استقبال عاشور... ولقاء مع الدكتور صابر طعيمة ومدير مكتبة المعارف للنشر في الرياض وتقييمهما لكتبي ومكانتي، وعرض بالنشر لدى مكتبة المعارف... وفرح بالفرصة الجديدة.

الأربعاء: استلام كتابي الجديد عن (نور الدين محمود: الرجل والتجربة)... جولة مسواق صباحية... غداء في بيت عويس... زيارة لطعيمة والمزيد من التقييم... أمسية طيبة في بيت أديب الصالح.

الخميس: افتتاح العام بعمرة موفقة مع محمد حسن بريغش إلى بيت الله الحرام... أمسية منفردة في صالة الفندق.

الجمعة: انزعاج بسبب الحضور المبكر لسائق السيارة... دعوة غداء لدى

صديق وحديث حول اعتماد كتابي (دراسة في السيرة) في عدد من الكليات... حوار مع دعبول وحيرة بصدد عروضه المالية لنشر بعض كتبي أو إعادة طبعها... أمسية طيبة في بيت ابن العم وشيء من القلق بسبب إخلاف موعدي مع عاشور.

السبت: صفقة نشر مريحة مع مكتبة المعارف بصدد بحثين أحدهما عن ابن خلدون والآخر عن المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي... محاضرتان في الكلية... حضور مناقشة رسالة في الماجستير في الصحافة الإسلامية... إطراء وتقييم من الدكتور أحمد الطيب... جلسة طويلة مع عاشور وتصفية المشاكل المعلقة.

الأحد: استعداد للمحاضرتين في صالة الفندق... محاضرتان في الكلية عن المسألة الحضارية... زيارة في الفندق من قبل الدكتور العتر وتقييم لبعض أعمالي... عشاء شعبي لذيذ لدى صديق من اللاذقية وأحاديث ذوات شجون.

الاثنين: جلسة في الفندق مع عدد من الناشرين... دعوة غداء في فندق قصر الرياض... زيارات في الفندق لعدد من الأصدقاء... اختزال محاضرتي العامة بسبب التباس في الموعد ودعوة عشاء في دار عميد الكلية... أرق مزعج ربما بسبب القهوة...

الثلاثاء: قلق بصدد متابعة تذكرة العودة والأجور... وجبة سمك لذيذة في بيت دكتور طعيمة وحوار شيق... تسلّم من دعبول عن حقوق التأليف وارتياح لحسم صيغة الاتفاق حول بحثيَّ الجديدين... دعوة عشاء لدى فياض... توديع عويس وعاشور في الفندق...

الأربعاء: توديع في الجامعة والاعتذار عن دعوة أخرى من الوكيل للعمل في الجامعة بإعارة خدماتي إليها... استلام أجور المحاضرات وتحويلها... جولة مشتريات مرهقة صباحاً ومساءً... توقيع عقد نشر كتابين مع مكتبة المعارف وجلسة طيبة هناك أتلقى فيها المزيد من التقييم... عشاء ممتع وأمسية طيبة في بيت ابن العم... فرح واعتزاز بنبأ عن منع كتابي (لعبة اليمين واليسار)

في السعودية وجمعه من الأسواق... تنظيم الحقائب بعد لأيٍ استعداداً للسفر صبيحة يوم غد.

الخميس ١/٨: التوجه إلى المطار... الوصول إلى عمان وفرح عميق بالحصول على مقعد في المنشأة... والتوجه إلى بغداد...

[١٣]

رحلة عام ١٩٨١ م إلى الإمارات العربية المتحدة

الخميس ١١/٢٥: الإقلاع إلى أبو ظبي من عمان في رحلة طيبة... وارتياح لوجود المستقبل والسيارة في المطار... التوجه إلى فندق الهلتون، والوصول في ساعة متأخرة من الليل.

الجمعة: جولة في الفندق... جلسة في الصالة مع الدكتور عدنان زرزور رئيس قسم الثقافة الإسلامية في جامعة العين، والمفكر المصري الدكتور محمد البهي... عودة من جديد إلى إغراءات العمل في جامعة الإمارات... صلاة الجمعة والغداء... نومة عصر طويلة وقلقة... أمسية في الفندق مع زرزور والبهي وحديث ذو شجون... عشاء من (الجمبري) اللذيذ ولحظات من الصفاء دون قلق... حفلة عروض فولكلورية في حدائق الهلتون.

السبت: صباحاً: إلى إدارة الجامعة... مقابلات وفرح بالموافقة على تمديد إقامتي وببرنامج المحاضرات في مختلف أنحاء الإمارات... العودة للفندق وارتياح لوضع الخطوط العريضة لمحاضرتي العامة عن التراث والمعاصرة... غداء بوفيه... وقت طيب خلال الاطلاع على مؤلفيَّ الأخيرين (فصول في المنهج والتحليل) و(أضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار)... استعصاء النوم عصراً بسبب الصداع المزعج... أمسية في الفندق وسط إحساس بالملل ثم استكمالها في بيت صديق وأحاديث طيبة ذوات شجون... مكالمة من صديق موصلي يدعوني للعشاء مع حشد من الأقرباء، ويذكر سماعه نبأ المحاضرة في أحد المساجد.

الأحد: مكالمة من أحد مسؤولي التربية يلتمس فيها إلقاء عدد من المحاضرات في الثانويات... دعوة على الغداء من مدير الجامعة مع حشد من الأساتذة... وسط تقدير المدير الخاص... زيارة لعدد من الأصدقاء في الغرفة... ارتياح غامر وثقة عميقة عبر المحاضرة بسبب تمكني المعهود منها، وردود الفعل الطيبة التي تمخضت عنها... عشاء وجلسة ممتعة في بيت أحد المعارف.

الاثنين: جلسة صباحية ممتعة مع الدكتور البهي في البوفيه... مكالمة من دكتور عدنان حول تأكيد موعد محاضرة البنات... ويخبرني عن تمديد بقائي وعن تقديم مكافأة في نهاية الأمر... المحاضرة والإحساس بالتمكن والفرح... تقييم من البهي أمام حشد من الضيوف بصدد فكري ومحاضراتي...

الثلاثاء: مكالمة من دكتور مصري عصراً للعب المنضدة، زيارة من قبل الدكتور عدنان وجلسة وجولة ممتعتين ليلاً... وفرح غامر بكشفه عن حجم المكافأة غير المتوقع... وتناول عشاء يقطين لذيذ في بيته يغسل معدتي من زفت البوفيه، ولكن إحساساً بالغثيان بدأ منذ عدة أيام يشتد عليَّ سيَّما في فترات المساء، هذا إلى إزعاجات السعال المتواصل سيما خلال النوم... مطالعة في المجلات حتى ساعة متأخرة من الليل.

الأربعاء: جولة في السيارة مع الدكتور البهي في مدينة العين... شيء من القلق خلال أوقات الفراغ بسبب نداءات العمل المتواصل... مساء في الفندق ووجبة عشاء شهي من الجمبري في الغرفة.

الخميس: جولة في حديقة الحيوانات... وارتياح لتثبيت الحجز على يوم ١٢/٢٢... عصراً مع الأصدقاء في الفندق... مساء دعوة عشاء في دار الدكتور عبد الرحمن الحجي... استكمال الأمسية لدى صديق آخر يعمل لإكمال دراسته في الباكستان هو الشيخ عبد الرحمن السنجري (رَحِمَهُ اللَّهُ).

الجمعة: جلسة استرخاء مريح في صالة الفندق... صلاة الجمعة... دعوة

غداء في بيت الدكتور حمد الكبيسي (رحمه الله)... مساء: عشاء شهي في الغرفة ثم مطالعة في أطروحة دكتوراه في فرنسا تعتمد في مراجعها أحد كتبي.

السبت: صباحاً: محاضرة موفقة في ثانوية العين، ولقاء بحشد من المدرسين وحوار حول التاريخ الإسلامي... مساء: جلسة نكات وضحك وحوار في الفندق مع الدكتور البهي... قلق عبر الليل لدى تذكر نشر مواعيد محاضراتي في الصحف، وما قد يسببه من متاعب في العراق...

الأحد: محاضرة موفقة أخرى في ثانوية البنات... غداء بوفيه مزعج... وخبر من دكتور راجي حول الإعلان عن محاضراتي في التلفزيون... إحساس بالارتياح بعد تثبيت المواعيد القلقة للمحاضرات والسفرات ووسائط النقل مع دكتور عدنان... جلسة مع حشد من الأساتذة العراقيين في الفندق.

الاثنين: دعوة من الجامعة بمناسبة زيارة ملك إسبانيا... ساعات طيبة في قاعة الاستقبال مترعة بالامتلاء، وتوزيع لصحيفة تتضمن حديث عن محاضرتي عن التراث والمعاصرة... وحوار مع حشد من الأساتذة والأصدقاء، ومزيد ثقة بسماع عبارات التقييم لمحاضراتي من أكثر من أستاذ... **مساء**: جلسة مع حشد من الأساتذة في صالة الفندق، ونكات طيبة مع الدكتور البهي وتقييم آخر لمحاضراتي عن التراث مع أحد الأساتذة.

الثلاثاء: تناول الفطور اللذيذ مع أحد الأصدقاء، وحديث يملؤني ثقة حول اعتبارهم إياي خليفة لسيد قطب... وأدعو الله ﷻ أن يمنحني القدرة على التوحد المرتجى حتى أكون عند مستوى الظنون... رحلة إلى أبو ظبي... وتجوال في شوارع المدينة، وعثور على نسخ من دواويني في إحدى المكتبات، وغداء لذيذ من السمك بصحبة صديق ثالث وحوار طيب في شارع الكورنيش... ثم استكمال الجلسة في بيت الصديق المذكور وفرح لدى مفاتحته برغبتي في تقديم بعض البرامج لإذاعة القرآن الكريم في أبو ظبي، ووعده إياي بأنه سيفاتحهم في الموضوع... الذهاب بعد المغرب لزيارة عدد من الأصدقاء في شقة أخرى... حوار ممتع وعودة إلى العين في ساعة متأخرة.

الأربعاء: فطور وحوار مع رئيس الجامعة... الانطلاق إلى الإمارات الشمالية في سيارة خاصة أعدت لهذا الغرض... محاضرة في ثانوية عجمان وضجيج من الطلبة يدفعني إلى وقف المحاضرة والمناقشات في الدقائق الأخيرة رغم تأثر المدير... التوجه إلى الفندق في الشارقة... غداء ونوم متقطع واستيقاظ قبيل المغرب... زيارة مدير الثقافة في غرفتي... قدوم مسؤول المركز التعليمي وجولة تخطي باتجاه قاعة إفريقيا... إحساس عميق بالفرح والانشراح والثقة لحضور عدد جم من المستمعين... محاضرة ناجحة... وعشاء طيب من المشويات برفقة عدد من الأصدقاء ورجوع إلى الفندق...

الخميس: زيارة من قبل دكتور عدنان... ومخابرة من أحد المستشارين في تلفزيون أبو ظبي، يطلب إجراء لقاء حول (التفسير الإسلامي للتاريخ)... إحساس بالثقة والانشراح، وجولة في السوق لشراء عدد من الحاجيات... محاضرة ناجحة وانسجام عميق وحوار شامل في ثانوية دبي، وتقييم من أحد المدرسين لكتابي (دراسة في السيرة)...

غداء وقيلولة، ومن ثم التوجه إلى رأس الخيمة وسط إحساس عميق بالارتياح... الوصول ومحاضرة ناجحة عن العلم والقرآن مترعة بالتمكن والثقة وردود الفعل الطيبة من الحاضرين... ثم دعوة من قبل أحد الحضور وعشاء طيب، وحوار مفتوح في كافة المجالات الثقافية وبخاصة الأدب والتاريخ... الرجوع ليلاً إلى الشارقة وشيء من الأرق قبيل النوم.

الجمعة: فطور وحوار مع صديق ثم الانطلاق إلى العين... دعوة عشاء في دار دكتور عامر الكبيسي مع الدكتور أحمد عبد الستار الجواري (رَحِمَهُ اللَّهُ) وحشد من الأصدقاء... عشاء وحوار متنوع.

السبت: مكالمة مبكرة من المستشار الثقافي في تلفزيون أبو ظبي، حول تسجيل حلقتين عن (التفسير الإسلامي للتاريخ)، والانطلاق بسيارة أرسلت خصيصاً إلى هناك... بعض الصعوبات الفنية تلجئنا إلى التأخير وإعادة تسجيل الحلقة الأولى... إنجاز العمل بتمكن، وإعلامي بأن هنالك مبلغاً من

المال سيرسل إليَّ بالبريد مكافأة عن البرنامج... أسأل المستشار عن إمكان كتابة حلقات لإذاعة القرآن الكريم فيعطيني عنوان المدير... أرجع إلى العين سعيداً، أتلقى دعوة على العشاء من الدكتور محسن غياض مع حشد من الأساتذة... جلسة ممتعة وعشاء طيب وحوار مفتوح.

الأحد: يأتيني صديق من إدارة الجامعة لكي يقلني إلى هناك لإنجاز بعض الأمور المعلقة... زيارة لمساعد الأمين العام بسبب مرضه... التأكد من إلغاء محاضرتي في الفجيرة!! مساء يبعث إلي الصديق (الغضبان) بسيارته لكي يقلني إلى بيته... نتجه من هناك لحضور محاضرة الكس هيلي مؤلف كتاب (جذور) وسط مشاعر الازدواج وعدم الارتياح التي ذقتها مراراً في الموصل، في بعض المناسبات... خاصة بعد أن أُطلعت على موقف الطلبة الرافض لسماع المحاضرة بسبب زيارة صاحبها لإسرائيل... لكن قيام مدير الجامعة بإنقاذ الموقف من خلال حواره الحار المترع بالإخلاص والذكاء أشعرني وأشعر الجميع بارتياح عميق...

أعود إلى الفندق فيزورني دكتور عدنان ويعرض عليَّ أن نصعد إلى المدير، لكي نعرض عليه بعض المسائل بصدد المحاضرة، بما فيها وجهة نظري حول ضرورة إلغاء محاضرة يوم غد من أجل رتق الشق مع الطلبة، ولكنني أعتذر بسبب تأخر الوقت... ثم ما يلبث الندم القاسي الذي أعرفه جيداً، والذي يتجسد بأكبر من حجمه الحقيقي مئات المرات؛ أن ينفجر ويحول أمسيتي في الغرفة إلى جحيم مشبوب... لماذا لم تصعد فتساهم في حل مشكلة من أجل ما تؤمن به، ولكنك ضيعت الفرصة... فذق!

الاثنين: تناول الفطور في الكافيتريا وجلسة طويلة وحوار ممتع مع الدكتور البهي... أصعد إلى الغرفة وأتصل بمدير إذاعة القرآن الكريم في أبو ظبي، فأحظى به، وأعرض عليه برنامجاً إذاعياً من ثلاثين حلقة قصيرة، فيرحب بي ونتفق على الموعد السبت القادم... وكان عليَّ أن أشمر عن ساعد الجد، وأن أهيئ ثلاثين حلقة مكتوبة خلال أربعة أيام فحسب... تنتابني لمسات من

الاكتئاب والهم، ولكني ابدأ العمل متوكلاً على الله، وأظل في الغرفة الساعات الطوال، لكي ما ألبث أن أنجز الحلقات الخمس الأولى وأشعر بارتياح عميق... ولولا زيارة أحد الأصدقاء من بنك دبي وأستاذين آخرين؛ لكنت قد أنجزت عدداً أكبر من الحلقات... ولكني ما لبثت أن واصلت العمل حتى ساعة متأخرة من الليل...

الثلاثاء: العودة إلى الغرفة بعد تناول الفطور لإنجاز عدد آخر من الحلقات... ثم دعوة غداء في بيت الدكتور الصديق محمود رشدان، حيث الكوسة الأردنية اللذيذة والمقلوبة والحوار المفتوح... مواصلة العمل بعد نومة العصر حتى منتصف الليل وإحساس باهظ بالإعياء...

الأربعاء: أتناول الفطور وألتقي عَرَضاً بمدير الجامعة، الذي يودعني ويعلمني بأنني قد تركت أثراً طيباً بزيارتي ومحاضراتي لدى الجميع، وأنهم جميعاً يتحدثون عن هذا الأثر... أشعر باعتزاز كبير... ثم ما ألبث أن أتلقى مكالمة هاتفية يدعوني فيها مسؤول في التربية لحضور ندوة المعهد العلمي في عجمان، حيث يطلبونني لإلقاء محاضرة، ولكني أعتذر بسبب ارتباطاتي... أظل في الغرفة لمواصلة كتابة الحلقات وأتغدى فيها... ثم أواصل العمل وأنا أشعر بسعادة بالغة لاستكمال بضعاً وعشرين حلقة منها، رغم آلام الظهر التي سببها الانكباب المتواصل على الكتابة... وثمة مكالمة هاتفية مع عدد من الأصدقاء ودعوة غداء يوم الجمعة في بيت أحدهم...

الخميس: جولة في السوق وشراء كاميرا رائعة وحوار ممتع في الغرفة مع صديق زائر... ثم دعوة غداء لذيذة في حدائق الهيلي لتوديع بعض المسافرين، وتجوال في الحديقة الرائعة التي ليس لها شبيه في العراق...

الجمعة: ساعة من العمل في تبييض الصفحات الأولى من بحثي لمؤتمر الهند عن الاستشراق... ثم جولة في صالات الفندق، حيث احتفالات الأطفال بمناسبة أعياد رأس السنة الميلادية... الكبيسي يأتيني فنصلي الجمعة ونتناول

في بيته غداء عراقياً شهياً... ثم أرجع إلى الفندق لكي أنام وأستيقظ بعدها لأقطع شوطاً طيباً في تبييض بحث مؤتمر الهند.

السبت: مكالمة تطمئنني على استكمال المعاملة المالية في الجامعة... وأخرى مع أحد مفتشي التربية بصدد المحاضرة المعلقة في ثانوية أبو ظبي... أغادر الفندق منطلقاً إلى أبو ظبي... أصل إلى هناك فأقضي الوقت الذي يفصلني عن موعد تسجيل الحلقات في إذاعة القرآن الكريم في مكتبة أحد المعارف حيناً وفي المطعم حيناً آخر... وفي شقة أحد الأصدقاء حيناً ثالثاً، وأتلقى من الصديق عبارة تقييم لكتبي، وأنّ اسمي على الغلاف أصبح بمثابة جذب للقارئ وهو الذي يتولى الدعاية للكتاب...

أتجه قلقاً إلى دار الإذاعة فأنا لا أعرف الطريق جيداً، والوقت متأخر، وقد يكون مديرها قد نسي الموعد، إلا أنني أصلها وأجلس أصحح بعض الوقت، وما تلبث الأمور أن تنفرج... يجيء المدير مرحباً أجمل ترحيب، ويبدأ فريق العمل بتسجيل الأحاديث، ويرحبون بتسجيل خمس وعشرين حلقة دفعة واحدة...

إلّا أنني ما أن بدأت بتلاوة اثنتين من الحلقات حتى ضيّقت أزمة ضيق النفس خناقها علي، ورحت أكافح بصعوبة بالغة لمواصلة القراءة... ولأكثر من مرة شعرت بوخزات في قلبي وألم شديد في صدري، ورحت أجأر إلى الله ﷻ أن يوفقني لاستكمال العمل، حيث كنت ألتقط أنفاسي بصعوبة هائلة يعجز التعبير عنها... ووجدتني في ظرف أستطيع القول بأنه من أصعب الظروف في حياتي على الإطلاق... وواصلت القراءة وأنا أتوقع في كل لحظة أن الضغط التنفسي ربما يؤدي إلى حدوث جلطة في القلب... ولكن الله سلّم وتمكنت من قراءة عشرين حلقة... وما أن حصلت على وعد من فريق العمل باستقبالي فيما بعد لقراءة العشر حلقات المتبقية حتى شعرت بارتياح عميق... وأوصلني اثنان من الموظفين في الاستديو إلى موقف السيارات، وكانت فرحة أخرى أن أجد مقعداً في آخر سيارة تنطلق إلى العين...

الأحد: اتجهت مع أحد الأصدقاء إلى إدارة الجامعة، وتمكنت بعد جلسة طويلة من القبض على شيك الأتعاب. لقد بلغ بحساب العملة العراقية أكثر من ألفي دينار... يا الله!... ولتوفيقه ولرزقه الذي لا يحسب له الإنسان حساباً... سأوفي ديوني كلها بإذن الله ويبقى مزيد... بعد النوم واصلت العمل في كتابة الحلقات الأخيرة من البرنامج الإذاعي... بانتظار حلول موعد محاضرة بنت الشاطئ، وجاءني صديق حيث ذهبنا إلى قاعة المحاضرة... لعبنا كرة المنضدة في نادي الطلبة، ثم استمعنا للمحاضرة الممتعة وقفلنا عائدين.

الاثنين: إنجاز التحويلات المالية في بنك أبو ظبي... ولقاء بالدكتور عدنان، حيث تم الاستفسار عن كافة الأمور المعلقة بصدد السنوات القادمة، كما تم التوديع... غداء بمعية الدكتور البهي... توديع مع عدد من الأساتذة... ولقاء بالدكتور تقي الدين الندوي يحضني فيه على ضرورة حضور مؤتمر الهند، وأنهم سيرحبون بي هناك وسيقدرون ذلك.

استكمال حزم الحقائب بحضور عدد من الأصدقاء المودعين، والتوجه إلى كراج أبو ظبي... رحلة مريحة وحط الرحال في شقة أحد الأصدقاء... التوجه إلى مبنى الإذاعة حيث كان سروري عميقاً بتهيئة كافة المسائل لتسجيل الحلقات العشر الأخيرة، حيث تم الأمر بصعوبة رئوية أقل بكثير من يوم العناء الأكبر ذاك... أمسية طيبة وعشاء في شقة الصديق...

الثلاثاء ١٢/٢٢: الانطلاق صباحاً إلى المطار وشيء من القلق بسبب تكليفي بإيصال عائلة صديق من أم وثلاثة أطفال إلى عمان ثم بغداد... رحلة طيبة... والوصول إلى عمان... ارتياح للحصول على فندق وضمان الحجز واستقرار العائلة... الانطلاق إلى المطار وانتظار الساعات الطويلة قبل التوجه إلى بغداد... الوصول إلى بغداد وساعات أخرى من الانتظار... تفتيش الحقائب وسحب الكتب وفرح غامر بتجاوز محنة النقود... تسلم العائلة من قبل أقربائها... وارتياح لحصولي على سيارة تاكسي تقلّني مباشرةً إلى الموصل وتخلصني من مصاعب المبيت في بغداد... خطأ قاتل يمارسه السائق بعد

مغادرة بيجي كاد أن يودي بنا لولا أن الله ﷻ سلّم... الوصول صباحاً وساعات حلوة مع الزوجة والأطفال والأهل وعرض الهدايا والمشتريات...

[١٤]

رحلة عام ١٩٨٢ م إلى السعودية

السبت ٣/٤: سفرة مريحة إلى الرياض... واستقبال ثلاثة من مندوبي الجامعة... الاستقرار في الفندق... مقابلة صلاح الخالدي لمناقشة خطة بحثه لأطروحة الدكتوراه... النزول إلى المطعم وصدمة البوفيه... ليلة مؤرقة مع ضيق النفس...

الأحد: زيارة حشد من الأساتذة في كليتي العلوم الاجتماعية وأصول الدين... الوكيل يبدي إعجابه... زيارة لكلية الشريعة وترتيب جدول المحاضرات... عودة للفندق ثم زيارة لمعرض الكتاب الإسلامي، حيث يجتمع لحسن الحظ معظم الناشرين الذين أتعامل معهم... استلام كتبي الجديدة والطبعات الجديدة من رضوان دعبول... محاضرة بعد المغرب لطلبة الدراسات العليا مريحة وحيوية لولا بعض الإرهاق... إحساس بالغ بالإعياء بعد عودتي للفندق... استلقاء مريح في الصالة وتصفح لكتاب (خمس مسرحيات إسلامية)... ووضع رؤوس نقاط طيبة للمحاضرة العامة ليوم غد... ليلة قاسية جداً مع الحمى الشديدة وانسداد النفس والصداع والتهاب الجيوب، والقلق على مصير محاضرة الاثنين التي أعلن عنها والتي يصعب عليَّ الاعتذار عن إلقائها...

الاثنين: استيقاظ قلق بسبب المرض... حل بعض المسائل المعلقة وإحساس بالارتياح... الذهاب إلى المستشفى مرتين والبدء بتناول الأدوية... إحساس نسبي بالارتياح يمكّنني من أداء المحاضرة العامة على أحسن ما يكون... ليلة قاسية أكثر هولاً من سابقتها.

الثلاثاء: مع الدكتور عبد الحليم عويس إلى معرض الكتاب... استلام مبلغ

طيب من رضوان عن حقوق التأليف... والالتقاء بحشد من الأصدقاء الذين كنت أطمح في اللقاء بهم... العودة المرهقة إلى الفندق... عدم الشعور بأي تحسّن وأضيفت إلى المتاعب حساسية أمعائي بسبب تناول إحدى الحبوب حيث رحت أعاني الأمرَّين... انعدام الشهية للطعام بسبب الغثيان الدائم... التحامل على نفسي والذهاب لإلقاء محاضرتي مساء على طلبة الدراسات العليا... اختزال المحاضرة والعودة إلى الفندق، حيث تزداد هجمة المرض عنفاً وشراسةً... أتصل بالسائق عدنان فيأتيني ليلاً فأشعر بارتياح لمجيئه، وأتفق معه على موعد غداً للذهاب إلى طبيب مختص... ليلة هائلة في قسوتها وبخاصة بسبب تمزق الأمعاء بشكل لا يرحم.

الأربعاء: استقبال اثنين من الأصدقاء من قطر، وطرح فكرة دعوتي إلى هناك لإلقاء محاضرة للموسم الثقافي، وتقديم بعض أعمالي للدار التي أنشآها مؤخراً... البحث عن طبيب مختص دون جدوى... والعودة ثانية إلى مستشفى الملك عبد العزيز حيث عرضت حالتي على طبيب الأنف والأذن والحنجرة، وطلبت منه تغيير الكبسول الذي أحرق أمعائي... العودة إلى الفندق والصعود إلى الغرفة في أشد حالات الغثيان والإعياء... ولكن آلام الأمعاء اختفت بعد توقفي عن أخذ الكبسول وبعد خروج معدتي ثلاث مرات... زيارة لاثنين من الناشرين في غرفتي: رضوان دعبول والحبيب اللمسي... والأخير يعدني بأنه سيطلب من لجان المؤتمرات في الشمال الإفريقي أن يوجهوا لي دعواتهم مستقبلاً قبل وقت مناسب يمكّنني من الحضور... الإحساس بشيء من التحسن بحمد الله... اتصالات هاتفية من العديد للاستفسار عن صحتي... زيارة أستاذين مساء وأحاديث طيبة حتى العاشرة... نوم عميق لأول مرة منذ مغادرتي العراق.

الخميس: البقاء عبر اليوم كله في الغرفة... إحساس بالملل لولا ما بدأت أشعر به من تحسن بحمد الله... زيارة صديق صباحاً... البهريز وطعام الفندق يسببان لي القلق وعدم الارتياح... مخابرة من إحدى قريباتي وإعلامها إياي

عن إعجاب العديد من النساء بمؤلفاتي... شيء من الاكتئاب بسبب عودة بعض مظاهر المرض مساء... ليلة مترعة بالقسوة بسبب الأرق الذي اشتد حتى الصباح... وبسبب عودة تمزق الأمعاء الذي لا يطاق عند الفجر... لقد عاد المرض مرةً أخرى...

الجمعة: زيارة عدد من الأصدقاء... ودعوة أحدهم وهو ممثل جمعية إسلامية في إسبانيا لحضور إحدى المؤتمرات في الصيف القادم... أداء صلاة الجمعة بصعوبة بالغة، والاعتذار عن دعوتين للغداء بسبب الغثيان الشديد... العودة إلى الفندق وألتقيؤ الذي خفف عني بعض الشيء... عزوف معدتي عن الأكل رغم الضعف الشديد الذي أخذت أعاني منه... عصرية قاسية من القلق والحيرة والاتصال بعدد من الأصدقاء دون جدوى... بينما الغثيان والإعياء وتمزق الأمعاء تطحنني بشكل لا يرحم... وأستلقي على السرير وأجأر بالدعاء وأنا أبكي... وأخيراً يزورني صديق أستاذ في كلية الإدارة فتكون معونة الله، حيث يقلني بسيارته إلى أحد أصدقائه، فآخذ هناك حقنة وحفنة من الأدوية بعد فحص دقيق، وأعود إلى الفندق وسط ارتياح نفسي رغم استمرار الغثيان... وأتقيأ مرةً أخرى... وأجد هناك الحاج حسن عاشور حيث صفينا عدداً من المشاكل، وتم استلام مبلغ متواضع عن حقوقي التأليفية... وأصعد كالعادة إلى الغرفة لكي أسجن نفسي هناك ويسيطر عليَّ الهم لعدم الإحساس بأي تحسن... ثم أنام نومة طيبة... لكن الحمى تقطعها بإلحاحها وأخيلتها التي لا تطاق...

السبت: أستيقظ على الإعياء والغثيان المعهودين فينتابني الهم والحزن، لكنني ما أن أتناول فطوري بكمية طيبة بحمد الله، وآخذ الأدوية الجديدة حتى أحسّ بتحسن طيب لم أعهده طيلة الأسبوع، مكّنني من كتابة رسالة وإنجاز عدد من الأعمال... اتصلت بحشد من الأصدقاء ورتبت معهم مواعيد لإنجاز الأمور المعلقة، الأمر الذي أشعرني بارتياح عميق... أمين ندوة الحوار حول الأدب الإسلامي يتصل بي من المدينة بصدد الندوة... العودة لتناول الطعام

في البوفيه... التوجه قبيل المساء مع عويس إلى الكلية... إلقاء محاضرتي في مناهج البحث وإحساس بإعياء شديد... زيارة لندوة الشباب وسط إحساس فائق بالإعياء والتشنج وضيق النفس... زيارة لبيت أحد الأقرباء... عميد الكلية يزورني في الفندق فلا يجدني... نومة طيبة...

الأحد: الاستيقاظ على هم مركز واكتئاب عميق بسبب عودة الإحساس بالغثيان... فطور سيئ... التوجه إلى البريد لرمي عدد من الرسائل والعودة للفندق لاستقبال صاحب دار القلم... الغداء في البوفيه... ثم نومة عصر أستقبل بعدها مدير المركز الإسلامي في مدريد، حيث يتم ترتيب شؤون حضوري للمؤتمر هناك، والقيام بعدها بإلقاء محاضرات في عدد من العواصم الغربية... أقدم له بعض كتبي فيشير إلى أنه سيتولى ترجمة (دراسة في السيرة) للإسبانية نظراً لأهميته... إلقاء محاضرتين في الكلية عن (الإسلام والرؤية الحضارية) أتمكن منهما تماماً، ولا أحسّ بإرهاق يذكر وسط انسجام الطلبة واهتمامهم... زيارة من قبل الدكتور عبد الله الجبوري... فرحة لدى الاطلاع على طبعة ثانية لكتاب (ملامح مأساتنا في إفريقيا)... شيء من الحنين للأهل والأطفال يداعبني بين الحين والحين...

الاثنين: النوم حتى الحادية عشر صباحاً... استلام أجوري عن المحاضرات بواسطة السائق... استمرار الغثيان... جلسة صباحية في صالة الفندق لقراءة الصحيفة وانتظار الغداء... نومة حتى قبيل المغرب... زيارة لمحمد بريغش والدكتور عبد الرزاق السامرائي... السؤال عن الحجز وظهور بعض التعقيدات... التوجه إلى الكلية... حالة الغثيان على أقصاها... نجاح باهر للمحاضرة العامة عن (التطور الفكري) وردود فعل مشجعة، وتوديع حافل في ختامها... نومة عميقة حتى الصباح.

الثلاثاء: قضاء الصباح في الصالة مع الصحيفة وتنقيح فصل من كتاب (في التاريخ الإسلامي)... غداء قاسٍ مع الغثيان وسقوط حشوة الضرس الأعلى... الذهاب إلى محاضرتي في القسم... التوجه إلى الوحدة الطبية لتناول

الحقنة واستشارة الطبيب حول دواء لوقف الغثيان... إنهاء المحاضرة بشيء من الإرهاق... العودة إلى الفندق مع حالة لا تطاق من الغثيان... عشاء قاسٍ بسبب تصاعد الغثيان... إنجاز طيب مع التنقيح في الصالة حتى ساعة متأخرة.

الأربعاء: الاستيقاظ على الغثيان المزعج... قضاء بقية ساعات الصباح في الصالة مع الصحف والتنقيح... غداء قاسٍ بسبب الغثيان... جولة عصرية مع عويس في السيارة، وساعة طيبة في صالة فندق السعودية، ثم عشاء لذيذ من المشويات في مطعم شرقي وحوار طويل... تنقيح طيب في الصالة وإحساس لأول مرة بالتحرر من الغثيان... استمرار العمل في الغرفة حتى ساعة متأخرة...

الخميس: العمل صباحاً في الفندق... استمرار الغثيان... دعوة من صديق لاذقي على غداء شهي... نومة ظهر واستيقاظ على مطر غزير... أمسية في بيت السامرائي... عشاء واستكمال الأمسية في بيت دكتور أحمد التوتنجي.

الجمعة: مكالمة من صاحب دار القلم حول رغبة ناشر قطري بلقائي... مكالمة من الدكتور نعمان السامرائي وزوجته لتثبيت موعد للدعوة... أداء صلاة الجمعة ثم التوجه لبيت ابن العم لتناول وجبة غداء طيب من المشويات... البقاء إلى ما بعد المغرب... دعوة من عدد من الأصدقاء لحضور مخيم نيروبي في كينيا، واعتذار بسبب تحديد سفري في الجواز... إحساس قاسٍ من الحيرة والندم بصدد هذه الدعوة سيما وأنها لا تؤثر على أعمالي هنا، وأنها بصحبة حشد من المعارف والأصدقاء... زيارة في الفندق من دكتور صابر طعيمة وصاحب مكتبة المعارف والدكتور الربيع مدير مركز البحوث... إحساس قاسٍ بالاكتئاب لا أدري لماذا... أجابهه بساعتين من العمل تمتصان الكآبة وتعيدانني إلى التوازن، ويزيدني انشراحاً استمرار هطول الأمطار... اختفاء الغثيان بحمد الله وفضله...

السبت: الالتقاء في الصالة بأستاذ أردني واثنين من طلبة الماجستير... زيارة لرئاسة الجامعة للمدير والوكلاء... إحساس بالغثيان بعد الغداء، ربما

بسبب زفت مطعم زهرة الشرق المعتق... ودوار عنيف خلال نومة الظهر... مكالمة حول محاضرة في بريدة... زيارة في غرفتي لمحمود شاكر وصاحب دار القلم مساء... محاضرة طيبة حول موضوع طرق البحث... أمسية في الفندق، وإنجاز بعض الأعمال... وإحساس مرير بالصداع يكفّني عن العمل ربما بسبب امتناعي عن شرب الشاي.

الأحد: استيقاظ مبكر بسبب موعدي في الكلية... ترتيب الحجوزات لبريدة... زيارة للمكتبة الدولية وعرض بالنشر لديهم... شراء عدد من الحاجيات والعودة إلى الفندق... جولة عصرية طيبة من التخطي في الشوارع المحيطة بالكلية، مع الشاي الصومالي والتسالي اللذيذة وشارع التميري... محاضرة عن نظرة الإسلام الحضارية تتحقق فيها أقصى درجات التجاوب والعطاء... لقاء بعميد الكلية وترتيب موعد الذهاب لبريدة لإلقاء عدد من المحاضرات في كلياتها... أمسية في صالة الفندق مع الدكتور منافيخي وأستاذ أردني.

الاثنين: التوجه صباحاً بسيارة مركز البحوث لمقابلة مدير المركز، حيث يسلمني تكليفاً رسمياً بتأليف كتاب لسلسلة سيصدرها المركز يتعلق بمنهج للتاريخ الإسلامي... الذهاب بعدها إلى مكتبة المعارف لقضاء وقت طيب هناك، ومنها إلى السوق لشراء بعض الحاجيات... ثم إلى الكلية لحل بعض القضايا المعلقة والعودة إلى مطعم (طليطلة)، حيث أتناول سمكة لذيذة بعيداً عن أكل الفندق المقرف... الدكتور محمد الهاشمي يقلني إلى حيث الاجتماع الأدبي تمهيداً لندوة الحوار، وحيث يتم تقييم حار لإنتاجي الأدبي وتطرح آراء شتى... بعدها يوصلني صديق إلى كلية الشريعة، حيث ألقي محاضرة عامة بتمكن تام كالعادة، في موضوع (التراث والمعاصرة)...

الثلاثاء: شيء من الحيرة بين البقاء في الفندق وبين المغادرة... واختيار الثانية... لقاء بصاحب المكتبة الدولية وتقديم ثلاثة كتب لغرض إبداء رأيه في نشرها لديه... التوجه للكلية والفرح بخبر ينقله الشيخ سيد رجب مقرر قسم

الثقافة، عن الموافقة على تمديد زيارتي لأيام أخرى، واحتمال تعويضي عن الفارق بين درجتيّ العلميتين لمدى زياراتي الثلاث... سكرتير القسم يوصلني إلى الفندق حيث انتظار الدكتور فريز منافيخي ليصحبني إلى داره لتناول الغداء وقضاء عصرية طيبة في حوار متشعب، يقلني بعدها إلى الكلية لإلقاء آخر محاضرة على الطلبة في مناهج البحث...

أتجه بعدها إلى مكتبة المعارف حيث يسلمني صاحبها شيكاً بثلاثة آلاف ريال كجزء من حقوقي عن كتاب (المقاومة الإسلامية)، وحيث دعوة على العشاء مع دكتور صابر طعيمة ومدير مركز البحوث وصاحب المكتبة في فندق الكونتننتال، وحيث عشاء البوفيه المقرف والجلسة الممتعة مع الأحاديث والنكات في صالة الفندق.

الأربعاء: مكالمة مبكرة من الدكتور سعد أبو الرضا الأستاذ في كلية اللغة العربية في بريدة حول ترحيبهم بزيارتي وتهيؤهم لاستقبالي وتنافسهم على استدعائي... التوجه صباحاً إلى الكلية، استلام تذكرة بريدة وحجوزات العودة، سؤال حول موضوع اصطحاب الزوجة وارتياح لوجوب أن تكون التذكرة على حسابي... رفض محاولة المطالبة باعتباري أستاذاً ودفع الأجور على هذا الأساس... زيارة المكتبة الدولية والالتقاء باثنين من الدكاترة وكلام حول الحوار عني في الإمارات وألمانيا وتبادل في العناوين... استكمال المسواق في جولة سريعة... وجبة غداء من السمك اللذيذ في بيت دكتور صابر طعيمة... العودة للفندق والذهاب عصراً مع السامرائي لحضور مناقشة رسالة ماجستير حول الشعر والقضية الفلسطينية... التوجه إلى دار السامرائي لتناول العشاء... أمسية ممتعة وحوار طيب حول المسائل الأدبية وآخر أعمالي المسرحية... وإحساس مرير بالحزن والقهر لدى سماع خطاب مسجل حول جرائم العلويين في حماة... العودة للفندق فإذا بورقة من الدكتور عبد القدوس أبو صالح تطلب الاتصال به... إنجاز بعض الأعمال ثم النوم المترع بالأرق.

الخميس: مكالمة من دكتور صقر أستاذ الاقتصاد الأردني، وأخرى من

دكتور عبد القدوس حول موعد اجتماع اللجنة الأدبية... لقاء في الصالة مع دكتور صقر وإعلامه إياي بأن الدكتور مالك بدري أستاذ علم النفس السوداني يرغب في لقائي... الدكتور الهاشمي يصطحبني إلى الندوة الأدبية حيث الاجتماع الثاني للجنة، وحيث التقييمات تنهال عليَّ، وحيث يشير أستاذ الأدب في جامعة المدينة إلى اعتماده بعض فصول كتابي الجديد (محاولات جديدة في النقد الإسلامي) لطلاب السنة الرابعة...

أمتلك زمام المبادرة وألعب دوراً رئيسياً في تحديد مسؤوليات اللجنة الأدبية إدارياً... تثبيت الحجز إلى المدينة وموافقة أمين الندوة على تأجيل موعد سفري ثلاثة أيام لحضور كافة أنشطة الندوة... اتصال بالراشد صاحب مكتبة المعارف وصحبه لدعوتهم على العشاء بعد عودتي من بريدة بإذن الله... أمسية طيبة في بيت الدكتور أديب الصالح بمعية محمود شاكر حيث يدور حوار متنوع... العودة للفندق وجولة عمل في التنقيحات تقطعها زيارة للدكتور عبد الله الجبوري ثم استئناف العمل... مكالمة من الدكتور أحمد الأحمد في المدينة المنورة يرحب زيارتي ويعرض عليَّ فكرة العمل الطويل في الجامعة الإسلامية...

الجمعة: تنقيح في الغرفة بانتظار مجيء ابن العم الدكتور هشام الطالب... مفاجأة سارة لدى نزولي للصالة: لقد وصلتني الرسالة التي كنت أنتظرها من زوجتي بفارغ الصبر... أداء صلاة الجمعة وتناول الغداء في بيت الدكتور هشام... نومة العصر ثم العودة بعد المغرب إلى الفندق... زيارة من محمود شاكر والقضماني، حيث يهديني أولهما اثنين من كتبه... دعوة على العشاء من الدكتور مالك بدري حيث التوجه مع حشد من الأساتذة: مالك والصباغ وصقر والدكتور سليم العوّا إلى فندق السعودية، ويلحق بنا هناك مدعوان آخران... ويجري تقييم طويل لمنجزاتي ومكانتي... العودة إلى الفندق في ساعة متأخرة وإحساس بأن الوقت هنا ليس ملك الإنسان، فها أنا لا أستطيع أن أواصل عملي لحظة واحدة وها أن عليَّ أن أستيقظ فجراً للسفر إلى القصيم.

السبت: الاستيقاظ فجراً بعد نوم قلق... رحلة طيبة إلى بريدة... استقبال حار من قبل ثلاثة أساتذة... التوجه إلى فندق ممتاز... ساعة ثم يأتي الدكتور سعد أبو الرضا لكي يقلني إلى الكلية... استقبال حار من العميد وحشد من الأساتذة... محاضرة عن الأدب الإسلامي لطلاب اللغة العربية، يقدمني فيها دكتور سعد رئيس القسم فيسهب في الحديث عن مكانتي ومؤلفاتي وإخلاصي... الخ...

دعوة على الغداء في بيت دكتور أحمد... نومة عصر عميقة في الفندق وزيارة لحشد من الأساتذة... التوجه بعد صلاة العشاء إلى صالة المحاضرات... حشد كبير من الحضور أساتذة وطلاباً يجعلني ـ كالعادة ـ أقدم محاضرة متألقة أتدفق عبرها وخلال الأجوبة على الأسئلة التي أثارتها كالنهر بتمكن وبداهة وإمساك بالموضوع (إعادة تشكيل العقل المسلم)... دعوة عشاء في دار دكتور حسن ثم التوجه إلى الفندق بمعية معاون عميد الكلية.

الأحد: سائق الوكيل يقلني صباحاً إلى الكلية، حيث ألقي محاضرة عن (الرؤية الحضارية للإسلام) على طلبة التاريخ والشريعة والثقافة لا تقل عن سابقتها تدفقاً وتمكناً وسرعة بديهة، وطرق على المواضيع ذات الأهمية والإثارة، حيث يقدمني رئيس قسم التاريخ فيشيد بمعطياتي ويقف عندها طويلاً... حفلة استقبال وشاي في القسم وحوار شيق مع حشد من أساتذته...

دعوة غداء في بيت دكتور سعد وحوار أدبي عن علاقة الأدب بالأديب يستغرق أكثر من ساعة ممتعة... اعتذار لرئيس النادي الأدبي في بريدة عن إلقاء محاضرة عامة في النادي... نومة قصيرة في الفندق، ثم مجيء ثلاثة من الأساتذة على رأسهم الدكتور أحمد العسال (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) لكي يقلوني إلى المطار... التغلب على التباس في الاسم كاد يؤخر سفرتي ووداع حار مؤثر للأصدقاء الأساتذة... رحلة جوية يهبط قلبي عبرها من الخوف مراراً بسبب المطبات الهوائية الحادة... الوصول إلى الفندق وتلقي عدد من الاتصالات الهاتفية... واتصال بالدكتور عبد الباسط بدر في المدينة حول تغيير مواعيد الحجز.

الاثنين: التوجه إلى الكلية لحل بعض المعلقات... شراء بقية المطالب...

قبض أتعاب فترة التمديد... التوجه إلى المطار وارتياح عميق لإنهاء مشكلة الحجوزات بمعونة موظف هناك وسكرتير القسم... زيارة الناشر القضماني وشاكر عصراً... وتسليم بحثي (ابن خلدون ودراسات تاريخية) وارتياح عميق لإلقاء العبء عن كاهلي... عمل متواصل في تنقيح الكتب المتبقية... مكالمة هاتفية يعتذر فيها الراشد عن الحضور... ساعة مع دكتور صقر ثم الخروج إلى الغرفة لمواصلة العمل حتى ساعة متأخرة من الليل...

الثلاثاء: غبار كثيف يضرب الرياض ويضيق نطاق الرؤية... استيقاظ قلق بسبب المطالب العديدة، وتكاثف الغبار... سائق الكلية (ابن المهيدب) يأتيني في اللحظة المناسبة، ويوصلني إلى البطحاء لتحويل النقود وشراء حقيبة إضافية... استلام البطاقة جاهزة وتوديع العميد والأساتذة والتوجه إلى ندوة الشباب، حيث طلبت إرسال بعض الكتب التراثية... ومن هناك إلى بيت الدكتور أحمد التوتنجي لتناول غداء طيب وسط دوامة من القلق بسبب إقفال المطار واحتمال تأجيل السفر إلى المدينة... العودة إلى الفندق وساعات من القلق والتأرجح والاتصالات بسبب غموض الموقف... ثم مكالمة مستعجلة بضرورة التهيؤ للذهاب... اثنان من الأصدقاء والأساتذة يأتياني فنتوجه إلى المطار ونحظى بالأوكي بعد يأس... إحساس غامر بالارتياح ونحن نجلس في صالة الانتظار، ثم ما تلبث الأمطار العنيفة أن تتساقط وسط أجواء رائعة... رحلة طيبة إلى المدينة المنورة واستقبال حار، ثم التوجه إلى الفندق في ساعة متأخرة...

الأربعاء: قلق لدى الاستيقاظ بسبب ضيق الوقت... استكمال التهيؤ والانطلاق إلى الجامعة الإسلامية... زيارة لرئيس الجامعة الذي يستقبلني وعميد الكلية بحرارة بالغة... العميد يطلب مني إلقاء كلمة الوفود، وارتياح لقبوله اعتذاري... التوجه إلى صالة الاحتفالات... لقاء بالدكتور أحمد الأحمد وعدد من الأساتذة، حيث يحيطني التقييم والتكريم أساتذة وطلاباً... حوار وشعر مع الشيخ حسن حبنكة الميداني... جلسة الافتتاح والتوجه بعدها إلى صالة الحوار لبدء جلسة إجرائية... الأستاذ محمد قطب يقترح ترشيحي نائباً

لرئيس الندوة... أشعر باعتزاز وثقة بالغين... ثم أعتذر لأسباب عديدة وأحسّ بارتياح عميق لقبول اعتذاري...

العودة إلى الفندق وتناول الغداء مع حشد من الأصدقاء... التوجه بعد نومة الظهر إلى قاعة الحوار حيث نوقشت بعض الأبحاث... العودة إلى الفندق لتناول العشاء ومنه إلى بيت الدكتور عبد الباسط بدر، حيث دخلنا حواراً طويلاً حول إنشاء رابطة للأدب الإسلامي في الهند بعيداً عن هيمنة واحتواء النظم العربية، وكان الأستاذ محمد قطب أحد المتحدثين... نومة قصيرة ثم أداء الصلاة فجراً في الحرم النبوي الشريف...

الخميس: التوجه بعد الفطور إلى قاعة الحوار... مناقشات طيبة وإحساس مترع بالامتلاء من جراء كلمات التقييم والتكريم التي كانت تنهال عليَّ من هنا وهناك... ثم ألقي بحثي عن (وظيفة الأدب) بتدفق وتمكّن فيزداد التقدير والتكريم وأحسّ باعتزاز وثقة بالغة... نعود إلى الفندق لكي ما نلبث أن نرجع لاستئناف المناقشات، حيث أتولى رئاسة الجلسة... أتجه وصديق آخر لتناول العشاء في دار دكتور عبد الباسط، ثم يجيء الأستاذ محمد قطب وبقية الأساتذة لكي يستأنف الحديث عن (رابطة الأدب الإسلامي) في الهند، وتوضع لمساته النهائية تقريباً... العودة إلى الفندق في ساعة متأخرة من الليل.

الجمعة: الاستيقاظ في وقت متأخر... جولة في الأسواق ثم أداء صلاة الجمعة فالغداء والنوم والتوجه عصراً إلى قاعة المناقشات... ملاطفات وتحميضات مع رئيس الجلسة وبعض الأساتذة... وتقييم سخي من رئيس الجلسة وعدد من الأساتذة يزيدني ثقة... الدكتور نجيب الكيلاني يرشحني لعضوية لجنة المناهج... وتعليق مركّز مني حول ضرورة اعتماد القيم الأكاديمية في ضبط المعطيات.

تناول العشاء في الفندق... حوار سريع مع الدكتور أحمد الأحمد والدكتور محمد حرب، ثم التوجه إلى دار الدكتور عبد الباسط لقضاء واحدة من أجمل الأماسي تتأرجح بين الجد، حيث إنهاء المناقشة حول (رابطة الأدب)، وحيث

تلقيت المزيد من التقييمات، وبين الهزل حيث استمعنا إلى سيل من النكات الشامية أشبعتنا ضحكاً... العودة إلى الفندق في ساعة متأخرة... ساعة من النوم القلق ثم أداء صلاة الفجر في الحرم الشريف وساعة أخرى من النوم القلق غير المشبع.

السبت ٥/١: التوجه إلى قاعة المناقشات... إحساس بالغ بالإعياء والرغبة في النوم... قلق بسبب مطالب لجنة المناهج وارتياح لتأجيلها... إنجاز لعدد من المتعلقات ثم جولة مع حشد من الأساتذة في المناطق الآثارية والعودة إلى الفندق... الغداء ونومة عصر طيبة ثم العودة إلى الاجتماع... ارتياح لإرسال برقية إلى الأهل حول موعد عودتي... إلقاء محاضرة أخرى عن (وسائل دعم الأدب ومعضلاته) تفتح مناقشات واسعة، وتقييمات كانت تنهال عليَّ كالمطر وتشعرني بالمزيد من الثقة... ثم يكون ردّي المركّز لعدد من المناقشين مجالاً آخر للمزيد من التقييم، فيما اعتبره رئيس الجلسة الدكتور مصطفى هدارة مدير جامعة أسيوط؛ مسك الختام، وحيث تنهال عليَّ كلمات الثناء من معظم الأساتذة...

التوجه إلى صالة قريبة لتناول عشاء لذيذ... ثم أعود إلى الفندق للجلوس مع حشد من الأصدقاء ثم الصعود إلى الغرفة لكتابة المذكرات المتراكمة وإنجاز عدد من المتعلقات حتى ساعة متأخرة من الليل.

الأحد: مناقشة التوصيات صباحاً... زيارة توديعية لمدير الجامعة والعميد... زيارة للدكتور أحمد الأحمد في قسم التاريخ، ووضع مفردات منهج التفسير الإسلامي للتاريخ... أداء صلاة الظهر في الحرم الشريف، والتوجه إلى فندق الهلتون لحضور دعوة غداء رئاسة الجامعة... استقبال حافل وحوار مع مدير الجامعة والتوجه إلى صالة الغداء، والجلوس في صدر القاعة وأحاديث ودية عبر الغداء... جلسة شاي وحوار في بيت الدكتور أكرم العمري... نومة عصر طيبة، ثم التوجه مساء إلى قاعة الجامعة لقراءة التوصيات وسماع عدد من الشعراء... اعتذار عن إلقاء الكلمة التوديعية...

ويحدث بعد الانتهاء من تلاوة القصائد أن أدعى إلى المسرح لإلقاء كلمة

تلبية لرجاء الطلاب... كانت مفاجأة لي... لكني قدرت على أن أجد موضوعي: كلمات من النثر الشعري أخاطب فيها الرسول العظيم الذي أتيحت لنا فرصة الحضور قريباً منه... لكنني بعد إنهائها أُخبرت أنني طرحت صيغاً لا يرضى عنها السعوديون بسبب مبالغتهم في النزعة التجريدية... العودة إلى الفندق والدكتور النعمان القاضي يقول إنني في حديثي هذا اليوم على المسرح صفت شعراً... جولة مع عدد من الأساتذة الأصدقاء عبر أطراف المدينة في سيارة أحدهم حتى الثانية ليلاً يتدفق عبرها حوار لذيذ يتأرجح بين الجد والهزل.

الاثنين ٥/٣: تناول الفطور مع الدكتور جمال عطية بعد استكمال ترتيب الحقائب... حوار مع مندوب الجامعة حول أساليب المطالعة المجدية... لقاء طيب بالأستاذ زين العابدين الركابي، رئيس قسم الإعلام في جامعة الإمام يعلمني فيه عن اعتماد كتابي (فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر) وتقريره على طلبة الإعلام...

التوجه ظهراً إلى المطار وتوديع حار من قبل اثنين من المندوبين... رحلة طيبة إلى عمان... ومنها إلى بغداد، حيث الانتظار الطويل المرهق للحقائب، وارتياح من موظف التفتيش بعد إعلامه أنني عائد من مؤتمر رسمي ووضع (الباج) على صدري... الاتفاق مع سائق تاكسي للسفر إلى الموصل مباشرةً من المطار، بمبلغ كبير... وساعات صعبة من الحذر والانتباه المركّز والمخاطر بسبب إرهاق السائق وحاجته الشديدة للنوم، وعناده بعدم التوقف قليلاً لأخذ قسط منه...

[١٥]

رحلة عام ١٩٨٩ م إلى مصر

شهر من المطحنة النفسية بسبب صعوبات التوفيق بين مطالب الوزارة والجامعة والجهة الداعية... ثم بسبب اكتشاف تغيير الموعد قبل يوم واحد من السفر.

الأربعاء ١٨/١٠: مغادرة الموصل صباحاً في رحلة جوية إلى بغداد ومنها إلى المطار مباشرةً... ساعات طيبة في صالات المطار، وتناول الغداء، وشيء من القلق حول الحصول على مقعد بسبب زحمة المصريين على الطائرة نفسها... الانطلاق مساء في رحلة مريحة... الوصول وتخلّف الحقيبة الرئيسية، وساعات طويلة من الانتظار القلق والمملّ للطائرة القادمة دون جدوى... مغادرة المطار على مضض... والنزول في فندقي القديم أيام دراستي للدكتوراه (جراند أوتيل) والغرفة المريحة لولا قلق الحقيبة الضائعة ونقصان الأغراض... النزول إلى سوق التوفيقية وارتياح للحصول على بعض الحاجات الضرورية... تناول العشاء ثم النوم العميق.

الخميس: فطور في صالة الفندق... جولة في شارع سليمان وشراء بعض الحاجيات... تاكسي إلى روكسي وساعات طيبة في مكتبة النور والشوارع المحيطة... شراء تشكيلة من القرطاسية للأطفال... والاطلاع على آخر إصداراتي ومتابعة حقوقي المالية... الذهاب إلى المطار بمعية صاحب المكتبة وساعة مرهقة من المتابعات تنتهي بتسلّم الحقيبة، والإحساس العميق بالارتياح... التوجه عصراً إلى دار الاعتصام... غداء شهي من الكباب المصري والمانجو اللذيذة، وحديث ذو شجون مع الحاج حسن عاشور (رحمه الله)، وارتياح لمكالمة هاتفية مع الموصل والاطلاع على العديد من الإصدارات...

العودة إلى الفندق في جو ماطر ممتع... عشاء وتجوال في الشوارع المحيطة بالفندق... اجتياز لشارعي الرائع ذي الذكريات: سليمان باشا... وشراء العديد من الحاجيات... العودة إلى الفندق...

الجمعة: تثبيت حجز العودة، وجولة في شارع سليمان وتناول لفات لذيذة من الطعمية، واستكمال بعض المشتريات، ثم الصلاة في مسجد سفري هناك... انتظار مساعد الدكتور عبد الحليم عويس في الفندق والتوجه إلى حلوان بسيارته... مجيء عويس وعشاء وأمسية رائعة وأحاديث ذوات شجون.

السبت: الاستيقاظ مبكراً، والانطلاق بسيارة عويس إلى الزقازيق عبر

رحلة ممتعة وفطور لذيذ... الوصول ضحى والاستقرار في مضيف كلية الآداب كلٌّ في غرفة خاصة... ثم النزول للمشاركة في حفل افتتاح مؤتمر مناهج التاريخ الإسلامي... احتفال كبير وإحساس عميق بالتحقق، حيث أشار مسؤولو الحفل: العميد وعويس إلى أهمية مشاركتي في المؤتمر... فالحمد لله وحده...

مقابلات ومواعيد صحفية وإذاعية... وتناول الغداء في صالة الكلية والعودة لبدء الجلسة الأولى ومشاركة فاعلة في النقاش... أمسية وعشاء في المضيف وأحاديث وتقييمات لا حصر لها... مقابلة وحوار مع مندوبي أربع صحف مصرية... وعمل حتى ساعة متأخرة وإحساس بالإعياء ثم نوم عميق...

الأحد: الاستيقاظ وفطور لذيذ في المضيف ثم التوجه إلى قاعة المؤتمر... إلقاء محاضرتي بتمكن تام وإحساس عميق بالتحقق بسبب كثافة الحضور وتعاطفهم معي، وبالتقديم الوفي لعويس... غداء وارتياح في المضيف ثم التوجه إلى القاعة مساء للمشاركة في جلسة عمل أخرى، تسبقها جلسة في غرفة العميد وتقييم منه ومن عدد من المشاركين... عشاء لذيذ في المضيف وحوار حتى ساعة متأخرة من الليل.

الاثنين: العميد يختارني بدلاً عنه لإدارة الجلسة الصباحية بنجاح... وعويس يقتبس ملاحظاتي التي طرحتها في المحاضرة لاعتمادها في توصيات المؤتمر... إنهاء المؤتمر ظهراً بقراءة التوصيات... ثم التوجه إلى أروقة الكلية، حيث يزدحم الطلاب والطالبات سائلين محاورين طالبين العنوان وتعميق التعارف...

الذهاب إلى إحدى الكازينوات الجميلة لتناول الغداء وجلسة مترعة بالتعليقات والضحك والطرائف... التوديع والعودة بسيارة عويس إلى القاهرة في رحلة ممتعة مترعة بالضحك والنكات المتواصلة والحوار مع عدد من مندوبي الصحف والإذاعات... الوصول مساء إلى حلوان... وأمسية رائعة مع عويس ومساعده حتى ساعة متأخرة من الليل... مكالمة من الأديب أحمد رائف يمنحني فيها تقويمه السخي... قراءة في الغرفة حتى ساعة متأخرة...

الثلاثاء: الانطلاق صباحاً مع مساعد عويس إلى القاهرة... زيارة طيبة للمعهد العالمي، وحوار مع دكتور جمال عطية ومعاونيه... ومكالمة من إحدى الطالبات في جامعة المنيا وتقويم سخي... ثم الذهاب بالسيارة إلى الموسكي لقضاء ساعات متواصلة في جولة مشتريات ناجحة والحمد لله... الغداء... والعودة إلى مكتبة دار الصحوة... لقاء بالزميل مصطفى طه... وتجوال في المكتبة والشوارع المحيطة... ثم عودة بمعية مساعد عويس إلى حلوان... عشاء لذيذ وواحدة من أروع الأمسيات مع عويس ومساعده والدكتور جمال عطية وأحاديث ممتعة حتى ساعة متأخرة.

الأربعاء ١٠/٢٥: التوديع... والانطلاق في سيارة مساعد عويس صباحاً عبر شوارع القاهرة باتجاه المطار... وقفة وحديث عند المنصة حيث قتل السادات... ساعات ممتعة ومشتريات أخرى في المطار... رحلة مريحة في الطائرة... والوصول ظهراً، ومغادرة المطار باستئجار سيارة خاصة بسعر عالٍ بسبب التظاهرات وانقطاع الطرق الداخلية، لتواجد زعماء مجلس التعاون العربي في بغداد.

رحلة مريحة إلى الموصل... والوصول إلى البيت في أجواء شتوية رائعة... والاطلاع الممتع على الهدايا...

[١٦]
رحلة عام ١٩٩٠ م إلى السعودية

شهر من المطحنة النفسية المدمرة بسبب صعوبة التوفيق بين مطالب الوزارة والجامعة، وموعد الجهة الداعية الذي ظل معلقاً حتى قبيل السفر... لولا وضعهم أمام الأمر الواقع ومداخلة الدكتور عبد القدوس أبو صالح التي جاءت بإرادة الله لتحل الإشكال... فرح عميق بترتيب الأمر، يزيده عمقاً وامتداداً مكالمة ناجحة مع الدكتور عبد الباسط بدر في المدينة المنورة للاتفاق على موعد مناسب لإلقاء محاضرة عن رحلتي مع النقد في نادي

المدينة الثقافي... فحمداً لله وحده... التوجه صبيحة **الجمعة ٣/١٦** في رحلة مريحة إلى بغداد.

السبت ٣/١٧: تسلم الجواز من السفارة السعودية والانطلاق إلى الخطوط الجوية السعودية وإنجاز الحجز والتحويلات المالية... ثم التوجه بعد الغداء إلى المطار... وساعات ممتعة في قاعة المغادرة... وتعرف على صديق نصف عراقي ونصف سعودي، وأحاديث ذوات شجون... رحلة ممتعة مع لحظات الغروب ثم الوصول بعد شيء من التأخر في الظهران وارتياح لوجود المستقبلين: عبد القدوس وغدير وبريغش... اجتياز الرياض في سيارة عبد القدوس عبر واحدة من أروع الساعات المترعة بالتعليقات والضحك واسترجاع الذكريات والسؤال عن كثير من الأمور... النزول في فندق بديع حيث يتركني الأصدقاء على أمل اللقاء في اليوم التالي... والإحساس المعهود بالقلق وعدم الارتياح والضيق، والتشتت...

الأحد: الاستيقاظ صباحاً وتناول فطور شهي في مطعم الفندق... ثم جولة في سيارة حيدر الغدير في أجمل مناطق الرياض، الجامعة والقصور والمؤسسات... الخ... وجلسة ارتياح في بيته... ثم العودة إلى الفندق... النزول إلى بقالة مجاورة لشراء بعض الطعام مع موجة من التشتت والانقباض... بدء دوامة القلق الطاحنة المعهودة في جلّ السفرات... ها هنا حيث ضرورة زيارة الأقرباء في وقت قد يتزامن مع وصول العم الحاج يحيى الطالب وأبنائه... هناك أيضاً ترتيب مطالب السفر إلى المدينة المنورة، وتنظيم حشد من المواعيد بما فيها مع مدير الجامعة... فضلاً عن حضور أمسية ثقافية في بيت أحد السعوديين... قيلولة مترعة قلقاً ثم حسم القلق بمكالمة الأقرباء وارتياح لعدم وصول العم وأبنائه...

الاتفاق على انتظار سيارة تقلني إلى البيت، وهناك ألتقي بالدكتور أحمد التوتنجي والدكتور جمال البرزنجي، وأقضي ساعة ممتعة في حوار خصب أشعر خلاله بالتحقق العميق، بعد ذلك القلق الهاصر... حيث تعرض عليَّ دعوة ملحّة

للعمل في ماليزيا، ويعطيني مديرها استثناء خاصاً من شرط الإلمام بالإنكليزية، وحيث أعتذر عن إعطاء كلمة نهائية في الموضوع ريثما أرجع إلى بلدي وأدرسه... هناك أيضاً تسلّم نسخة من كتابي عن «حول تشكيل العقل المسلم» بطبعته الأنيقة، التي أصدرها اتحاد الطلاب العالمي في أمريكا... فحمداً لله... أغادر البيت وأنتظر غدير لكي يقلني إلى الأمسية، حيث يحتفظ بمكاني في صدر القاعة، وحيث الترحيب والتقويم الحار، وطلب التعليق على المحاضرة وإسهام في الحديث والتعليقات... مع تناول لقيمات لذيذة عبر اللقاء... عودة إلى الفندق ونوم عميق هناك.

الاثنين: زيارة بمعية عبد القدوس وغدير للأمين العام لمؤسسة الملك فيصل، الذي دعاني لإلقاء محاضرة في موسم المؤسسة الثقافي وتثبيت لموعد المحاضرة في الاثنين القادم، وأحاديث ثقافية ونشرية شتى... زيارة لشقة الأستاذ عمر عودة الخطيب، حيث لم يكن موجوداً... وعودة إلى بيت الدكتور عبد القدوس، حيث واحدة من ألذ دعوات الغداء: المائدة العامرة والطعام اللذيذ والتعليقات الشيقة والنكات المضحكة حتى الأعماق، وتبادل القراءات الشعرية ثم العودة إلى الفندق...

تثبيت الحجز إلى المدينة فجر غد الثلاثاء... التوجه مساء إلى مركز الملك فيصل للاستماع إلى محاضرة لعبد الوهاب المسيري عن هجرة اليهود السوفييت إلى فلسطين... ساعة طيبة مع الدكتور محب أبو صالح، واستكمال الأمسية في بيت عبد القدوس... نوم متقطع بانتظار موعد المغادرة في أعماق الليل.

الثلاثاء: عبد القدوس يقلني قبل الفجر إلى المطار... إحساس بالارتياح بعد ترتيب إجراءات المطار وأداء صلاة الفجر في صالة المطار... رحلة بديعة وفطور لذيذ... واستقبال مع الفجر في المطار من قبل مدير نادي المدينة، حيث يقلّني إلى فندق الرحاب الرائع ويتركني أرتاح ريثما يأتيني فيما بعد...

نوم صباحي متقطع ونزول إلى السوق لشراء بعض الحاجيات... قدوم مدير النادي والدكتور عبد الباسط وتناول الغداء في مطعم الفندق... ارتياح

في الفندق وصلاة في المسجد النبوي الشريف... يجيء بعدها مدير النادي لكي يقلّني إلى النادي حيث ألقي محاضرتي في الهواء الطلق، وحيث الحضور المشجع والحديث المتدفق عن تجربتي مع النقد... تجري بعدها مناقشات ثم نغادر المكان لحضور دعوة عشاء لذيذة في بيت الدكتور أكرم العمري، وتدور أحاديث ذوات شجون حتى ساعة متأخرة من الليل.

الأربعاء: في السوق مرةً أخرى، ومشتريات عديدة، بعد جولة بمعية الدكتور الخراط في معالم المدينة التاريخية: أُحُد والمقابر والمساجد العريقة، وبعد ذهاب للبريد وإرسال برقية اعتذار عن التأخر في الرجوع إلى رئاسة جامعة صلاح الدين وإحساس عميق بالارتياح... تناول الفطور في مطعم شعبي أنيق... وصلاة مترعة في الحرم النبوي الشريف... بعدها يلقي صهر الدكتور أكرم القبض عليَّ ويأتي بي إلى بيت دكتور أكرم في دعوة على الغداء... مع ثلة من الأحبة، حيث الطعام الموصلي اللذيذ والأحاديث العذبة في شتى مناحي الثقافة... ثم المغادرة لأداء صلاة العصر في الحرم المدني وشراء ساعة قيمة هدية لي من الدكتور أكرم... وعودة إلى الفندق للراحة قليلاً ثم استقبال الدكتور عبد الباسط لأداء الصلاة في الحرم النبوي، والعودة إلى الفندق لاصطحاب مدير النادي، الذي يسلمني مظروفاً مع الاعتذار عن التقصير يتضمن مبلغاً طيباً من المال.

توجهنا إلى بيت الدكتور الخراط، حيث قدم أبوه من الشام، وحيث لحظات اللقاء المؤثرة والإلحاح على تناول العشاء... غادرنا بعده لحضور أمسية جماعية في بيت أبي الفتح البيانوي، حيث الاستقبال الحار والإحساس العميق بالتحقق وسط التقويم المنهال من الحاضرين، وحيث يطلب مني أن ألقي كلمة فأختزلها اختزالاً تاركاً هامشاً زمنياً لتلقي العديد من الأسئلة في شتى مناحي الأدب والتاريخ، وحيث تناولنا الفاكهة اللذيذة، ثم مغادرة المكان إلى الفندق لاستكمال بعض المطالب حتى ساعة متأخرة... فنوم متقطع... فصلاة الفجر العذبة في الحرم.

الخميس: بانتظار الدكتور عبد الباسط والقيام عبر ساعتين فحسب بأسرع جولة مسواق في التاريخ، تم على أثرها شراء الكثير مما كنت أبغيه، بما في ذلك عقد من اللؤلؤ لزوجتي، وسط دوامة القلق بسبب ضيق الوقت وضرورة التهيؤ للتوجه إلى المطار بعد تناول الغداء في بيت عبد الباسط... أداء الصلاة في الحرم... ثم استكمال المشتريات والعودة إلى الفندق لتكديس الحاجيات في الحقائب وحملها سريعاً إلى السيارة ومنها إلى بيت عبد الباسط لتناول غداء شامي رائع، ومنه إلى المطار حيث يودعني الإخوة، وحيث تغادر الطائرة إلى جدة في رحلة ممتعة سعيدة لولا أن نغّص عليَّ تخلف حقيبتي الكبيرة التي تضم جلّ المشتريات الغالية، والتي كلفتني من أمري عسراً... بما في ذلك حاجياتي وملابسي الشخصية...

يبدو أنه مكتوب عليَّ أن أتجرع عذاب ضياع الحقائب عبر معظم أسفاري... فلا بأس... اثنان من الإخوة أحدهما فاروق البطل ينتظراني في المطار، وبعد جولة بالسيارة ننزل قليلاً لنرتاح في بيت أحد الأصدقاء وأنا بملابس الإحرام تهيؤاً للعمرة... وهناك ألتقي الشاعر الكبير بهاء الأميري، حيث يتحفني بتقويماته السخية وبعدد من دواوينه الأنيقة وبنكاته الرائعة...

نغادر المكان إلى بيت آخر لأستمع إلى القصة الدامية لابن صاحب الدار في الشام واللحظات المفجعة لدى تلقي النبأ، وموقف الأب والأم المتجلد الذي يرغمك على البكاء... تناول الحلويات والتوجه عبر رحلة ليلية عذبة إلى مكة المكرمة... وضع الحقائب في بيت أحد الإخوة، والانطلاق إلى الحرم المكي لأداء العمرة على أمل العودة لتناول العشاء واستكمال الأمسية...

واحدة من أبدع العمرات في حياتي، حيث هواء الليل العذب والشعائر السهلة، وعدم الزحمة، والإحساس العميق بالتخفف والفرح... العودة إلى البيت لتناول عشاء شهي وسط الأحاديث الخصبة، وحيث التقويمات السخية لمعطياتي... والقراءة الشعرية في ديواني (جداول الحب واليقين)، وحيث الحوار في أمور شتى حتى ساعة متأخرة من الليل، نغادر بعدها إلى منزل الأخ

سداد العقاد، لكي نخطف عدة ساعات من النوم ولا نستيقظ إلى ضحى اليوم التالي.

الجمعة: التوجه إلى الحرم المكي لأداء صلاة الجمعة، والعودة لتناول الغداء وإجراء لقائين صحفيين مسجلين مع سداد، ومحاولات هاتفية مع مطار جدة حيث لا شيء عن الحقيبة الضائعة، وحيث يفترسني إحساس عميق بالقلق والتشتت لأنها تتضمن حاجياتي الضرورية وكدحي ومكافآتي كلها... أتجه عصراً بالإحساس نفسه إلى جدة بمعية عدد من الأصدقاء، ونبدأ بالمطار حيث خيبة الأمل والإحساس بالمرارة... نصلي العشاء في أحد المساجد ونتجه إلى بيت أحد الإخوة حيث تقام أمسية شعرية يلقي فيها الشاعر محمد وليد بعض قصائده...

كنت سعيداً وزادني سعادة أن الشاعر لدى بدئه الحديث اعتمد فقرة من إحدى مؤلفاتي، ثم قال إنه لم يكن يعرف أن صاحبها سيكون حاضراً، وتلك هي من الواقعات السعيدة... لكن ما كان يقلقني هو الحقيبة... فضلاً عن أني اضطررت للبس ثوب صديق لم يكن على حجمي تماماً... وجاء الأميري مقيماً هو الآخر... وبعد الانتهاء من القراءة الشعرية تحدث الأميري وطلب مني الحديث، فتدفقت الكلمات المترعة حزناً على لساني وأحسست بالمزيد من التحقق... ثم قمنا لتناول العشاء في حديقة البيت: الخرفان المشوية مع الحلويات والفواكه والشاي وأحاديث شتى مع الأميري والشعراء الآخرين... ثم المغادرة بمعية فاروق البطل إلى شقته... في أعماق الليل وشيء من الإحساس بالانقباض والتشتت... ونومة عميقة.

السبت: ما أن أستيقظ صباحاً حتى أتصل هاتفياً بالمطار فيعلمني المسؤول أن حقيبتي الكبيرة وصلت... ثمة فرحة يصعب وصفها استمرت ترافقني اليوم كله فالحمد لله... تناولت فطوراً شهياً وجاء مدير دار القلم الأخ محمد علي دولة لتوديعي، فكانت أحاديث ممتعة وتوجه مشترك إلى المطار. تم

توديع البطل ودولة ودخول الطائرة وسط إحساس غامر بالفرح والاستقرار: فها أنا ذا أقع على ضالتي التي عذبتني طويلاً...

أصل مطار الرياض ظهراً فلا أجد أحداً في استقبالي، ربما لتأخر الطائرة عن موعدها، فآخذ تاكسياً تقلّني إلى فندق الخزامى الفخم... أستقر فيه قليلاً ثم أطلب غداء وأرتب حاجياتي وأنفذ سلسلة من المكالمات الهاتفية... مساء يجيئني دكتور عبد القدوس لقضاء أمسية مع حشد من الإخوة الأدباء، وهي واحدة من أعذب الأمسيات في السفرة كلها، حيث شاركنا فيها الشاعر الإسلامي المتألق عبد الرحمن العشماوي... تناولنا عشاء لذيذاً وتبادلنا أحاديث ونكات وملاحقات شعرية حتى لكأن الساعات تحوّلت إلى دقائق وذابت كما تذوب رغوة الصابون.

الأحد: زيارة بمعية الدكتور عبد القدوس لكلية الآداب، ومحاضرة لطلبتها عن الأدب الإسلامي، والأستاذ المقدم يسخو بتقييمي... حوار في قضايا الأدب في غرفة الأساتذة... عودة إلى الفندق لتناول غداء سيئ على طريقة مطاعم الدرجة الأولى... القيلولة التي يقطعها ـ كالعادة ـ سيل من المكالمات الهاتفية... التوجه مساء إلى أمسية الأحد في بيت دكتور مبارك، حيث الغدير يلقي محاضرته، وحيث التقييم من الحاضرين واللقاء بالدكتور عبد الحليم عويس بعد غياب طويل... وثمة لقيمات لذيذة تدور على الحاضرين خلال المحاضرة ومناقشات خصبة... أعود بعدها بصحبة عويس فيرغمني على شراء العديد من السكاكر واللبان هدية منه، ونجلس قليلاً في صالة الفندق ثم يودعني ويمضي.

الاثنين: زيارة بمعية الغدير لمركز الملك فيصل، والاطلاع على مركز المخطوطات وتقنياته العالية... غداء بوفية متخم في الفندق... التهيؤ مساء لإلقاء المحاضرة... عبد القدوس يقلني إلى هناك... المدير يستقبلني... الحضور مزدحم يغري بالعطاء... إلقاء المحاضرة وتدفق الأفكار... أفاجأ خلال المناقشة بلمسة سيئة من المبارك فأرد عليه بقوة، فيهتف عبد القدوس

مستحسناً... أسئلة ومناقشات أجيب عليها بتمكّن... يعلن عن دخول شهر رمضان المبارك... أدعى وعدد من الإخوة إلى دار الدكتور زيد مدير المركز لاستكمال الأمسية وتناول السحور... يقول الرجل إنها أروع محاضرة سمعها في باحات المركز... نتناول عشاء لذيذاً ونتحدث حتى ساعة متأخرة من الليل... أعود إلى الفندق وأظل مستيقظاً أتابع بعض المعلقات ريثما أصلي الفجر وأنام.

الثلاثاء: مقابلات صحفية في غرفتي في الفندق مع مندوب (المسلمون) الأخ الدويك... أنزل لمتابعة صرف بعض الصكوك والجلوس مع أحد الإخوة في الصالة ثم أصعد لأنام... يحين وقت الإفطار وأنا منشرح النفس... أصلي المغرب ثم أتجه للإفطار في المطعم المجاور في الدور السابع... الصنوف كثيرة كثيرة وأنا آكل بغير استمتاع كعادتي مع البوفيه، حتى التخمة، وأغادر المكان فيتناوشني الإحساس بالقرف والاشمئزاز...

يجيئني عبد القدوس وزوجته ونهرع إلى أسواق الرياض لشراء بعض الحاجيات النسائية والساعات... والوقت يلاحقنا... فثمة دعوة في بيت محمد حسن بريغش (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) بعد الصلاة مباشرة... نشتري على عجل... ثم نصلي ونتجه إلى البيت لكي نحظى بأمسية لا تقل روعةً ومتعةً عن تلك التي شهدها بيت الهاشمي يوم السبت الماضي... أحاديث ونكات وقراءات شعرية وتقويمات ثم سحور لذيذ... وأتمنى لو ترجع عقارب الساعة ولكن هيهات، وأعود إلى الفندق لكي أنتظر صلاة الفجر في المسجد القريب وأنام...

الأربعاء: جولة مشتريات صباحاً من السكاكر والمملحات... وتصفية القضايا المعلقة في المركز... الحجز والمكافأة والتحويلات والمحاضرة المطبوعة وتبادل العناوين... أرجع إلى الفندق لأخذ قيلولة رمضانية أستيقظ بعدها قبيل الغروب منشرحاً سعيداً... الإفطار في المطعم نفسه... مع التخمة نفسها والقرف والاشمئزاز... يجيئني عبد القدوس لتصفية الأمور المعلقة: التحويل النقدي، وزيارة الندوة العالمية للشباب لتسليمهم الكتب التي بحوزتي كي يشحنوها لي... والاستفسار عن مصير كتابي (قالوا عن الإسلام) وأمور أخرى...

بعد حوار ممتع مع أمين الندوة نتجه إلى بيت الدكتور إبراهيم بمعية عدد من الإخوة الجزائريين القادمين من أوربا من مسؤولي الاتحادات الطلابية، وعدد آخر من المثقفين السعوديين الأحرار... أمسية حافلة بالحوار... حضرها رجل الفضاء السعودي وحكى عن تجربته... وطلب الجزائريون أن أتحدث وأن أجيب على العديد من الأسئلة، ثم تناولنا سحوراً شهياً وأعادني سائق الأخ الداعي إلى الفندق... لأتهيأ صبيحة اليوم التالي للعودة... أسهر حتى ساعة متأخرة في حزم الحقائب، وأستقبل النوم متعباً مهدوداً...

الخميس ٣/٢٦: يجيئني الدكتور عبد القدوس وحيدر الغدير والبريغش (رحمه الله) ليقلّوني إلى المطار ويودعوني... ساعة طيبة مترعة بالعذوبة... ولحظات وداع مؤسية لأحب الناس إلى قلبي هناك، ثم أتوجه إلى الطائرة في رحلة مريحة إلى بغداد، ومنها آخذ سيارة من المطار لكي تقلني إلى الموصل في رحلة مريحة هي الأخرى... رغم متاعب الصيام... أصل بلدي في موعد الإفطار تماماً، وطبق الدولمة اللذيذ ينتظرني... بعدها جلسنا لكي نستعرض الهدايا والمشتريات التي عذبتني طويلاً وافترست من أعصابي وجيبي الكثير... وها هي ذي متعة التقديم لا تستغرق أكثر من ساعة أو ساعتين!!

[١٧]
رحلة عام ١٩٩٠ م إلى إنكلترا وفرنسا

أسابيع من العذاب والقلق والشد النفسي، بسبب ضرورة التوفيق بين مطالب الجامعة والوزارة وظروف الدكتور أنس صديق الشيخ عليّ المستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي في لندن... ومشاكل الحجز... فضلاً عن جبهة القلق المرّ بصدد اقتراح الأقرباء السفر إلى أمريكا لإجراء فحوصات القلب هناك، وصعوبة الحصول على الحجز المؤكد وضرورات الترانزيت، وأن أكون في أكسفورد في الموعد المحدد... ثم ما ألبث بعد تسويف الخطوط الجوية أن أستقر على الاكتفاء بالسفر إلى إنكلترا وإجراء

فحوصاتي فيها... فضلاً عن المشاركة في مؤتمر المنهاجية الذي أقامه معهد أكسفورد للدراسات الإسلامية بالمشاركة مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي...

الأحد ٢/٧: المغادرة صبيحة يوم عيد الأضحى المبارك وسط أجواء نفسية وعائلية مؤثرة... رحلة مريحة بالطائرة إلى بغداد... مغادرة الفندق لتأكيد الحجز والحصول على المطلوب بعد قلق...

الاثنين: التوجه صباحاً إلى المطار وشيء من القلق والتخوف خشية عدم الضمان النهائي للحجز بسبب الازدحام الكبير... مفتشة التذاكر تتردد بعض الشيء فأجفل، ثم تعطي الأوكي فأدخل الصالة في غمرة من الفرح والارتياح... المغادرة في موعدها المحدد... وخمس ساعات من السفر المريح ووجبات الطعام والعروض السينمائية والاسترخاء مع شيء من القلق خشية ألّا أجد من يستقبلني هناك... الوصول واستكمال المغادرة ولحظات اللقاء المؤثر مع دكتور أنس ثم التوجه إلى بيته... التعرف على أخيه (خلدون) وتناول الطعام، وأحاديث ممتعة ومشاهدة مثيرة لكأس العالم ونوم عميق...

الثلاثاء: صبيحة ماطرة... ساعات في مكتب لندن للمعهد العالمي... وبدء دوامة القلق بسبب كثرة المطالب وخشية عدم الإمساك بزمام الأمور: هناك المتابعات الطبية... والحجز إلى ندوة باريس... ومتابعة بحوث المؤتمر... والتحويل المالي... وغيرها... العودة إلى البيت وقضاء أمسية سعيدة مع كأس العالم والأحاديث الممتعة.

الأربعاء: تحويل في أحد البنوك... ساعات في المكتب... زيارة لطبيب مختص، وفحص للحالة، وتأكيد لمعطيات أطباء الموصل بضرورة القسطرة والمداخلة الجراحية... قلق بصدد تحديد موعد القسطرة، وتخوف شديد من معاناتها خاصةً وأنها قد تقترن بويلات ضيق النفس، الأمر الذي يدمّر سعادتي بالرحلة، هذا إلى ضرورة متابعة الحجز إلى فرنسا استكمال الأمسية في البيت مع الأحاديث والقراءات وكرة القدم...

الخميس: ساعات في المكتب... ثم عودة إلى البيت لاستكمال الأمسية.

الجمعة: صلاة الجمعة في مسجد بنغالي... وجولة في إحدى الغابات وسط أجواء شاحبة، وعودة إلى البيت، والانطلاق مساء لإلقاء كلمة وسط جمع من المستمعين في مسجد وسط لندن... ثم جولة ليلية رائعة مع أحد الأصدقاء في معالم لندن الأساسية، وعودة إلى البيت.

السبت: جولة صباحية في لندن وسط أجواء غائمة... وجلسة في أحد المتنزهات بمعية الدكتور أنس... التوجه إلى مدرسة ابنته للعودة بها إلى البيت... أمسية طيبة مع كأس العالم والأحاديث وأطايب الطعام...

الأحد: توديع خلدون في المطار في جو ماطر... العودة للبيت لاستئناف النوم... رحلة جميلة في لندن عبر معالمها الأساسية في جو صاحٍ وجميل... التقاط الصور وتناول الآيس كريم، والتجوال عبر الجسور والشوارع والحدائق... ثم العودة للبيت ومغادرته ثانيةً إلى متنزه جميل مطل على البحيرة في رحلة عائلية نتناول فيها الغداء على ضفاف البحيرة، ثم استأنفنا التجوال إلى إحدى ضواحي لندن التاريخية، حيث إحدى القلاع الملكية... ثم العودة إلى البيت للانغمار مع كأس العالم في اللعبة النهائية والتحمس الممتع لألمانيا ضد الأرجنتين.

الاثنين: الإعداد لمطالب الرحلة إلى أكسفورد، والانطلاق إلى هناك وسط جو شاحب... الوصول وإلقاء الرحال في أحد الأقسام الداخلية الأنيقة للبوليتكنيك... إحساس بالاكتئاب والندم وعدم الانسجام... المشاركون يغادرون القرية إلى أكسفورد ويتركوني وحيداً... محاولات صعبة للحصول على سيارة تقودني إلى هناك وأحظى بالمطلوب... غداء خفيف ثم تبدأ الجلسة الأولى... وإلقاء محاضرتي عن (إسلامية المعرفة) حيث المساحة الواسعة للموضوع تجعلني أفقد القدرة على الإمساك بتلابيب المفردات... ورغم نجاح المحاضرة إلا أنني كنت أحسّ بأني غير مقتنع بها تماماً... نقاش بعد المحاضرة ودعوة عشاء لذيذة، وأمسية طيبة وأحاديث ذوات شجون في بيت الدكتور بسام

الساعي... والرجل يعرض عليَّ أن أكون عضواً مؤسساً في المجمع العلمي، فأعده خيراً.

الثلاثاء: إلى مركز الدراسات والاستماع إلى محاضرات الدكتور محمود أبو السعود (رحمه الله) والدكتور مالك بدري وآخرين... غداء خفيف ومناقشات في حدائق المركز... وجولة في شوارع أكسفورد الجميلة وكلياتها التراثية بين جلستي الصباح والمساء... ودوّامة من القلق تتآكلني بصدد انتظار تقرير الطبيب، وضرورة إعطاء نسخة منه لأبي السعود، كي يستفسر من أطباء متمرسين في أمريكا، لأخذ رأيهم بصدد حتمية المداخلة الجراحية ومكانها... وهناك مشكلة ضمان الحجز في الموعد المحدد إلى باريس وضرورة الحصول على الفيزا... الخ... تحيل أيام أكسفورد إلى جحيم مشبوب من الهم والقلق... وفي المساء، وبعد تناول العشاء في القرية أذيب همومي واكتئابي مع الدكتور موئل السامرائي في جولات طويلة في أطراف القرية... وقبلها، خلال العودة، كان حديث أبي السعود عن المداخلة الجراحية يفجر قلقي وتشتتي واكتئابي.

الأربعاء: محاضرتي الثانية عن (ضوابط كتابة التاريخ الإسلامي) أكثر نجاحاً من سابقتها... الاستماع لمحاضرات أخرى... ونقاش في الهواء الطلق... وجولات في شوارع أكسفورد... وإحساس متزايد بالتحقق من خلال التقويمات المنهمرة بغير حساب... ولقاء مع رئيس تحرير مجلة (الغرباء)، والتقاط للصور... ثم عودة إلى القرية لتناول العشاء كالعادة وقضاء الأمسية هناك.

الخميس: الاستماع لمحاضرات المشاركين صباحاً ومساء... والإسهام في المناقشات... وجولات في أكسفورد... وبعض المشتريات... ودعوة عشاء موصلي لذيذ في بيت الدكتور محمد النجفي، وأحاديث ونكات حتى ساعة متأخرة من الليل... والعودة مع مدير المركز الهندي المسلم الدكتور اقبال.

الجمعة: المحاضرة القمة عن (ابن خلدون)، حيث التفوّق في الأداء والمعطيات وأسلوب الطرح، وحيث أتلقى التقييمات المترعة بالتثمين من الدكتور أنس، الذي يطبع على خدي أكثر من قبلة ويقول إنها أروع محاضرة يسمعها

في حياته... ومن كافة الحضور... حتى أن إحداهن تقول أنها لا تعرف العربية، ولكن أدائي شدها للمحاضرة إلى آخر لحظة... الحمد لله... وثمة إحساس عميق بالانشراح والتحقق يبلغان القمة، لولا القلق الذي يدب في كياني من جراء الأمور المعلقة والتخوف المتزايد من القسطرة القادمة بعد أيام قلائل...

السبت: محاضرات أخرى... دعوة عشاء من مدير مركز أكسفورد في إحدى الكليات العتيقة القادمة من القرون الوسطى، حيث ندلف عالم التقاليد الإنكليزية فنجتاز الحدائق الأنيقة، ونصعد إلى صالة معتمة، تضيئها الشموع الخافتة، وينهض مدير المركز لإلقاء كلمته مشيراً إلى حضوري أكثر من مرة... مركّزاً عليَّ أكثر من سائر المدعوين... مانحاً إياي قدراً أكبر من التحقق... وحيث نتناول العشاء (السيئ) على طريقة التقديم المتدرّج... وحيث ألتقي بعدد من المدعوين من شتى الأقطار وأتحاور معهم، وأتلقى منهم المزيد من التقييم حول كتاباتي... ثم نغادر المكان إلى القرية.

الأحد: تلقي المكافأة المالية لتذكرة السفر والجهد المبذول دون ما كنت أتوقع... ولقاء مع مدير المركز الهندي البروفيسور إقبال، حيث أتلقى تقويماً سخياً وعرضاً بالتعاون في المستقبل... توديع للدكتور مالك بدري في محطة قطار أكسفورد، ووقت طيب نقضيه في صحبته، وتقديم سخي من قبله لمكانتي كمفكر إسلامي... رحلة جميلة مع عدد من الأصدقاء وعوائلهم إلى أحد المتنزهات بين أكسفورد ولندن، حيث الغداء والحوار واللعب والتخطي والإطلالة على البحيرة واليخوت والسوائم البشرية!! ثم عودة إلى بيت الدكتور محمد النجفي لتناول العشاء، وتصفية الحجز والفيزا إلى باريس، حيث أحسّ بارتياح عميق ثم العودة إلى القرية، حيث اكتشف ضياع إحدى حقائبي الملأى بالأوراق والوثائق المهمة، فأقضي ساعات قاسية ذكّرتني بتلك التي قضيتها في رحلة السعودية.

الاثنين: أستيقظ فجراً بحثاً عن الحقيبة في عدد من السيارات دون

جدوى... وبعد ساعتين يجيئني بها الدكتور موئل من سيارته، فتغمرني فرحة يصعب وصفها فالحمد لله... أتجه إلى مركز الدراسات ويكون وداع مؤثر، ثم أستقل سيارة أحد الأصدقاء وننطلق إلى مطار هيثرو وأنا أحسّ باسترخاء لذيذ وتجاوز القلق وفرح بزيارة باريس... لولا شبح التخوف من القسطرة القادمة الذي يكدر عليَّ هنائي بين الحين والحين.

رحلة مريحة إلى باريس... وأطمئنان لدى رؤيتي لمستقبل جزائري يقلني بسيارته إلى الفندق عبر شوارع باريس الفارهة والأحاديث المتنوعة. أصل فندق القرية الخضراء في إحدى ضواحي باريس وألقي رحالي وأحاول الاتصال بالموصل دون جدوى... أتناول غداء من الأجبان الفرنسية الشهيرة وآخذ قيلولة خفيفة ثم أنزل عصراً لألتقي بالمشاركين ولنبدأ جلسة العمل الأولى...

مناقشات خصبة حول مناهج الكلية الأوربية وإحساس بالتحقق، وعشاء فرنسي سيئ لولا الحلويات والفواكه والمملحات والعصائر... ثم استئناف الجلسة... والخروج لأداء الصلاة... وجولة تخط على الكورنيش مع الدكتور محسن عبد الحميد، حيث تصفعني الكآبة وأتمنى لو أطير عائداً إلى بلدي!!

الثلاثاء: فطور شهي في مطعم الفندق... استئناف المناقشات عبر تناول المملحات اللذيذة... الغداء... القيلولة... ثم جلسة مسائية حيث يطرح مشارك من تونس فكرة جعلي في مجلس الأمناء بسبب المكانة التي أتمتع بها بين الإسلاميين، ودور مؤلفاتي في بناء الجيل الإسلامي الجديد... ومصداقيتي لدى الإسلاميين... لكني أعتذر بسبب صعوبة الحضور المستمر ومشاكل السفر في بلدي العراق... وأكتفي بعضوية الهيئة العلمية...

العشاء وجلسة عمل أخرى تخترقها زيارة الأخ عبد الله الطنطاوي... وحوار مع عدد من الشباب، حيث أتلقى المزيد من التقييم، ويتكشف أكثر فأكثر حضوري في ساحة أوربا وإفريقيا الشمالية... ومن جهتي أطرح على أحد الإخوة التونسيين فكرة إشرافه على طبع سائر مؤلفاتي في الجزائر هدية مني للقراء هناك فيعدني الرجل خيراً...

الأربعاء: فطور جماعي لذيذ وأحاديث ممتعة، ثم استئناف المناقشات وتصميم المفردات المنهجية... الغداء... ثم التوجه في رحلة عذبة بالباص عبر باريس: الشانزلزيه... قوس النصر... حدائق إيفل... المركب النهري الذي يخترق السين، حيث معظم المعالم التاريخية الشهيرة في باريس مثل نوتردام واللوفر وغيرهما...

عودة إلى برج إيفل والصعود إلى فوق ورؤية من هناك لباريس الجميلة... تناول المرطبات والعودة عبر شوارع باريس والقراءات الشعرية والشوارع الفارهة... نصل الفندق لكي نواصل العمل، ويصعد الجميع إلى غرفهم، فهم على موعد يوم غدٍ للقيام برحلة جميلة إلى الكلية الأوربية في وسط فرنسا... أما أنا فقد كتب عليَّ أن أبتر الفرص من منتصفها، إما لأسباب نفسية، أو لارتباطات خارجية، وهكذا أعتذر عن الرحلة المشتركة وأقرر السفر يوم غدٍ للحاق بلندن وإجراء القسطرة... وأظل في صالة الفندق أعمل وأكدح حتى ساعة متأخرة من الليل، من أجل إنجاز الأقسام المتعلقة بي من المنهج وقوائم المراجع وغيرها من المطالب الملحّة... أتلقى مكافأة طيبة (حوالي ١٧٠ دولاراً) ثم أصعد إلى الغرفة لأنام...

الخميس: أستيقظ صباحاً فأودع المشاركين وأتجه مع صديق حميم عبر شوارع باريس إلى المطار، وأصل إلى لندن في رحلة يقطعها القلق من ألا أجد أحداً في المطار... وألا أجد دكتور أنس قد ثبت موعد القسطرة، لكن الأمور تسير بشكل جيد والحمد لله، فيوصلني المستقبل إلى بيت أنس، الذي أجده في انتظاري لتناول وجبة غداء شهية بعد زفت باريس. ونتجه مساء إلى أكسفورد، حيث اللقاء الجميل بالدكتور طه العلواني والتوجه إلى أحد المطاعم لتناول وجبة مقبلات ومشويات لبنانية لذيذة، ثم نعود للقسم الداخلي للبوليتكينك... حيث نتخطى إلى ساعة متأخرة من الليل، ويطرح العلواني العديد من المشاريع ويتم الاتفاق على أمور شتى.

الجمعة: الاستيقاظ الكئيب المتخوف من القسطرة... رحلة جميلة في

القطار مع الداعية الجزائري رشيد إلى لندن... التوجه إلى مستشفى كروموبل واستكمال الإجراءات... القسطرة والإحساس الغامر بالفرح والارتياح لدى تبين أنها لا تنطوي على أية متاعب، فيما عدا ألم خفيف لدى فتح جانب من الجلد عند المثانة.. أغمض عيني وتمضي العملية بيسر كامل، ثم أنقل بالمحفة إلى غرفة عليا، حيث ترعاني ممرضة نيوزيلندية والأخ رشيد... أتناول طعاماً خفيفاً بشهية وأفرغ مثانتي في إناء خاص... عصراً يجيء الطبيب ريتشاردز... يعطي الإذن بمغادرة المستشفى بعد دفع الأتعاب التي لا تتجاوز الأربعمائة باون، فأغادرها والأخ المصري وصفي، حيث نستقلّ تاكسياً يوصلنا إلى غير المكان المطلوب بسبب خطأ في العنوان... لحظات مترعة بالكآبة عند الغروب ووصفي يذهب لكي يبحث عن المكان، يرجع فنستقل سيارة أخرى إلى البيت... نتعشى هناك ثم نسلم أنفسنا لنوم عميق.

السبت: نتناول الفطور ويودعني وصفي، وأظل في البيت الساعات الطوال بانتظار مجيء أنس والعلواني... أقضي الوقت في الكتابة وصياغة المقترحات وحلّ القضايا المعلقة... مساء يجيء أنس والعلواني... نذهب إلى بيت أنس لتناول عشاء لذيذ وتلقي مكالمة من زوجتي تمنحني الكثير من السعادة والارتياح، ثم يوصلنا أنس إلى الشقة وسط لندن... ساعات من الحوار وصياغة المشاريع حتى وقت متأخر نسلم بعده أنفسنا للنوم.

الأحد: الفطور وتوديع العلواني في مطار هيترو... المفاجأة السارة بعرضه فكرة تسديد مصاريف المستشفى ليس على سبيل المنحة، وإنما باعتبارها أجوراً عن استشارات وجهود كنت قد قدمتها للمعهد عبر السنوات الماضية...

يعيدني أنس إلى الشقة ويذهب لقضاء مطالبه على أمل اللقاء غداً... أجدني وحيداً مرة أخرى، فأغادر الشقة في جولة رائعة عبر الشوارع المحيطة، حيث كنت أحسّ بسعادة غامرة تذكّرني بأيام تجوالي في أمسيات الخميس في بغداد... كنت أكتشف وأشاهد وأدخل المكتبات والأسواق المركزية وأجلس في المتنزهات، وأتناول غداء شهياً من السمك والبطاطا ثم الآيس كريم

والجبس... ألتقي بمعيدين من جامعتي... نذهب سوية إلى الهايد بارك... نتخطى عبر الشوارع المحيطة ثم أودّعهم... فأرجع عند الغروب وسط حالة مركزة من الاكتئاب إلى الشقة... أتجه إلى المنام وسط إحساس بالخوف والرهبة، ولكني ما ألبث أن أحظى بنوم عميق...

الاثنين: يجيئني أنس صباحاً فنتناول الفطور، ثم نبدأ جولة عمل بصدد مشاريع المعهد ومطالب العلواني وتثبيت حقوقي المالية، حيث عرض عليَّ أن أكون مستشاراً أكاديمياً للمعهد في العراق لقاء أجر شهري قدره خمسمائة دولار، فأعتذر خشية ألا أفي بمطالب العمل، وتحسباً من أن يفتح علي باباً للقلق والمتابعات التي تشغلني عن مشاريعي التأليفية، وأكتفي بحساب الربح على الإنجازات التي أقدمها للمعهد... نغادر الشقة لقضاء بعض المعلقات، ثم نتجه إلى المكتب، حيث أبدأ بمعاملة فتح حساب جارٍ لي في أحد البنوك، وأتناول ورشيد وجبة خفيفة في أحد المطاعم الأنيقة... نرجع إلى البيت بالمترو الأرضي ونواصل الكثير من المعلقات هناك.

الثلاثاء: جولة مشتريات مع أنس من السكاكر واللبان ولعب الأطفال وغيرها بالحركة السريعة خشية أن يسرقنا الوقت... التوجه إلى المكتب ومنه إلى البنك لاستكمال المعاملة... مساء نتجه وعدد من الأصدقاء إلى إحدى المتنزهات لتناول العشاء هناك... كنت في غاية الضيق بصدد الموقف من المداخلة الجراحية، وحتميتها، ومكانها المناسب... ولحسن الحظ يصطحبنا إلى المنتزه طبيب متمرس، فأساله ويجيبني بضرورة العملية وبأسرع وقت ويبين لي التفاصيل والأسباب، فأحس بسعادة غامرة وبأني أزحت عن نفسي هماً كبيراً ظل يجثم عليَّ طيلة أيام السفرة وها هو ذا يتلاشى... ولكن متى؟! في الساعات الأخيرة لرحلتي المنكودة... فيا للعجب... نرجع إلى البيت وأنا أحسّ بسعادة وانشراح فها أنا ذا قد رسيت أخيراً على قرار... وغداً سأقفل عائداً إلى بلدي... حيث سيتاح لي أن استرخي طويلاً بعد شد عصبي ونفسي دام الأسابيع الطوال... أرتب الحقائب حتى ساعة متأخرة ثم أستلقي مرتاحاً لأنام...

الأربعاء ٧/٢٦: التوجه المريح إلى المطار... الالتقاء بعدد من أصدقاء الكلية، حيث يعينونني على حمل الحقائب... فطور خفيف في المطار وتجوال في صالاته، وشراء للمشتريات والحاجيات الأخرى ثم التوجه إلى الطائرة، حيث تتأخر عن الإقلاع الساعات الطوال، فأحس بالضيق، ولكنه الاسترخاء الذي يوازن الأمر، والذي حظيت به بعد أسابيع التوتر والعذاب...

تغادر الطائرة عائدة إلى بغداد في رحلة مريحة... وهناك أفاجأ بخروج الأهل لاستقبالي فيكون الفرح مضاعفاً، ونستقل سيارة أجرة في طريقنا إلى الموصل لكي نصلها فجراً... فالحمد لله وحده...

[١٨]

رحلة عام ١٩٩١ م إلى الأردن

الثلاثاء ٨/٦: مغادرة الموصل في الحافلة... الطريق الطويل...

الأربعاء: الوصول صباحاً إلى طريبيل... ومنها إلى عمان... النزول في فندق ريجنسي ثم التحول إلى فندق القدس، تناول العشاء بدعوة من الأخ وضاح خنفر في مطعم (البستان) الرائع مع ثلة من الأصدقاء.

الخميس: زيارة دار البشير واكتشاف عدد من الطبعات الجديدة لمؤلفاتي... غداء مع الملكاوي (المستشار الأكاديمي للمعهد العالي للفكر الإسلامي في الأردن) وآخرين في مطعم جبري... توديع بعض الأصدقاء في المطار... عمل وعشاء في الفندق.

الجمعة: في بيت نسيب الأخ عبد الله الطنطاوي مع ثلة من الأصدقاء...

صلاة الجمعة ثم تناول الغداء... العودة للفندق... وجولة ليلية في عمان مع وضاح خنفر وأصدقائه... مكالمات هاتفية من دكتور أنس والعلواني... إجراء جملة من الفحوصات... تلقي مبلغ نقدي طيب من أنس.

السبت: استيقاظ كئيب وقلق... الذهاب إلى المعهد وقضاء بعض الأعمال... سفرة غداء إلى جرش مع الأصدقاء... عودة إلى الفندق... أمسية

وحوار حول الإنتاج الفني... عشاء في بيت حيدر قفة... رسالة لزوجتي... القلق المزمن بسبب المطالب التي لا تنتهي... تقييم متزايد في كل المناسبات... اكتشاف نشر بحثي عن (منهجية ابن خلدون) في مجلة (الإنسان) التي تصدر في باريس...

الأحد: استيقاظ كئيب وقلق... الذهاب إلى المعهد وتثبيت المسائل المتعلقة بندوة التاريخ مع الملكاوي... دعوة غداء في قصر الصنوبر مع دكتور إسحق الفرحان ودكتور عدنان زرزور والملكاوي وآخرين... عودة للمعهد لتثبيت إطارات الندوات والمحاضرات العامة... تقييم يصعب وصفه من المحاضرين.. وتكليفي بالعديد من الأعمال... عودة مرهقة للفندق وإحساس بالغرق في بحر المطالب... قيلولة قبيل الغروب... تشمير عن ساعد الجد لتصفية العديد من المطالب... شيء من الاكتئاب، وامتصاصه بالعمل إلى ساعة متأخرة من الليل.

الاثنين: **صباحاً**: رسائل في البريد... تصفية معلقات في دار عمار والمكتب الإسلامي... اكتشاف طبعة رقم ١١ لكتابي (دراسة في السيرة)... شراء أدوية والعودة إلى الفندق... جلسة مع المشاركين في ندوة التاريخ... التوجه إلى المعهد وبدء الطرح والنقاش غير المجدي بسبب تناقض التوجهات الفكرية للمجتمعين في الندوة...

مساء: غداء في الفندق مع دكتور فتحي الملكاوي ومصارحته حول لا جدوى المناقشات... عودة للمعهد وبدء الجلسة الأولى لندوة الفن الإسلامي... وتقييم من عدد من الحاضرين حول نشاطي المسرحي... تفرّد أحدهم واستئثاره بالحديث... فها هي الندوة الأخرى تتعرض للفشل... عودة مرهقة للفندق... وعدة اتصالات هاتفية... زيارة كمال رشيد وابنه وزوال الإعياء، وإحساس بالارتياح والانسجام.

الثلاثاء: استيقاظ مبكر على اكتئاب مركّز... الانغمار في العمل واستكمال مقالتي (الوعد الحق) لمجلة (فلسطين المسلمة)... مكالمة من الدكتور عويضة حول تقديم محاضرة السبت في الجامعة ليوم غد... زيارة كادر (فلسطين

المسلمة) وحوار وصور وتقييم...وأشارة إلى دعوتي لمشاهدة إخراج مسرحيتي عن (المغول)... غداء خفيف وقيلولة.

مساء: في صالة الفندق وزيارة مجموعة من المعارف الموصليين... إحساس بالانقباض... جولة تخط مع الدكتور فائز الربيع ومناقشة منهجية كتابة التاريخ وإحساس مع الغروب باكتئاب مركّز... أمسية في بيت الدكتور إسحق الفرحان مع عدد من المثقفين الكبار... وتقييمات متواصلة من الحضور... وفسح المجال لحديث طويل أحسّ عبره بتحقق عميق... العودة إلى الفندق، وهموم الإعداد لمحاضرة يوم غد حتى ساعة متأخرة... ونوم عميق...

الأربعاء: قلق وهموم الاستيقاظ... مراجعة للمستشفى الإسلامي بمعية الدكتور الملكاوي والترحاب والتقييم البالغين من الأطباء... الفحص الأولي والنتيجة الطيبة... الذهاب للجامعة الأردنية، والترحيب البالغ والحضور الطيب... ومتاعب الجهد الكلامي... غداء في بوفيه الفندق مع الملكاوي ومطالب جديدة تمتص الوقت... محاضرة وحوار خصب حول المعمار الأدبي في حدائق المعهد لولا متاعب ضيق النفس...

قادم من أمريكا يطلب على لسان المعهد سفري إلى أمريكا ويعرض ترشيحاً للجنة العليا المشرفة على الأنشطة الثقافية، فأعرب عن موافقتي ثم يلفني القلق... أمسية، وعشاء طيب مع الأصدقاء الشباب في مطعم القدس... العودة إلى التخطي اليومي السريع لنصف ساعة بناء على نصيحة الأطباء... كثرة المشاغل في الغرفة والعمل إلى ما بعد الثانية ليلاً... ارتياح للحصول على كلمة من الملكاوي بإعطائي المبالغ الموجودة في القاهرة وشيء من المبالغ الموجودة في لندن حتى في حالة عدم وصولها خلال وجودي.

الخميس: فرح بالاتصال بدار البشير ووصول رضوان دعبول والاتفاق على موعد... اتصال بدار الثقافة دون جدوى... اجتماع مع الربيع والشوابكة في كلية القدس لمناقشة المنهج، وتقييم من قبل عميدها، وتكليفي بعدد من المهام... جلسة وحوار طيب في الفندق مع الشوابكة حول الصهيونية

والعثمانيين... اللقاء برضوان وحل الكثير من المعلقات... عشاء وأمسية ممتعة مع الحوار في الشؤون الأدبية والتقييمات الغنية لي كأديب، وحول أعمالي التي تمتد عمقياً وأفقياً، وقدرتي على الاختراق رغم الظروف الصعبة. واعتباري رائداً للأدب الإسلامي... الخ وذلك مع حشد من الأدباء والأصدقاء... تخطي سريع حتى الواحدة ثم جلسة استرخاء في صالة الفندق، واستكمال المعلقات، فالنوم في ساعة متأخرة.

الجمعة: استيقاظ على قلق وكآبة المطالب... العمل في ملفات المناهج حتى الحادية عشرة... الذهاب إلى دار حيدر قفة وحوار في قضايا النشر، فصلاة الجمعة... فتناول الغداء ثم العودة للفندق، فقيلولة عميقة ثم اعتقال في الغرفة للعمل المتواصل الساعات الطوال... واعتذار عن دعوة خروج للعشاء من الأخ وضاح خنفر... تعريف ببحث مترجم إلى الإنكليزية في مجلة علماء الاجتماعيات بأمريكا... جولة تخط ثم الجلوس في الصالة ثم النوم في ساعة متأخرة.

السبت: صباحاً: التوجه إلى المعهد... جملة من الاتصالات الهاتفية بدور النشر... حل العديد من القضايا العالقة مع الدكتور فتحي الملكاوي... العودة المسرعة إلى الفندق للاجتماع بثلاثة من أساتذة التاريخ والاتفاق على ترتيب أطر ومحاور ثلاث من الندوات المعنية بأسلمة التاريخ... غداء مشويات لذيذة في الغرفة... قرار بالبقاء مساء في الغرفة وإنجاز عدد من الرسائل التي تتضمن المقالات والاقتراحات لأكثر من جهة، تقطعها زيارة ابن العم إنعام الطالب، والحسناوي (ﷺ) (حيث كانت لحظات سعيدة ومؤثرة)، وشلّة وضاح خنفر وهي تحمل معها الآيس كريم... عودة للعمل... وعشاء في صالة المطعم وإحساس بالندم بسبب كثرة ملحه... جولة تخط وسهر حتى ساعة متأخرة من الليل...

الأحد: شيء من القلق والاكتئاب لدى الاستيقاظ كالعادة... ارتياح لترتيب موعد مع دعبول عصراً... مجيء فايز الربيع والقيام بزيارة للدكتور عبد العزيز الدوري، تميزت بالودية والحديث في المواضيع التاريخية والجامعية والشخصية، وموافقته على التعاون مع مكتب الأردن بصدد ندوات التاريخ...

العودة إلى الفندق وارتياح غامر لإنجاز معظم الريبورتاج الخاص بمجلة فلسطين المسلمة، والذي يتضمن أربعة عشر سؤالاً... غداء في الغرفة فقيلولة... التوجه عصراً إلى دار البشير، وحل الكثير من المعلقات المطروحة عليه في اللقاء السابق. وتسلّم كتابي الجديد (الفن والعقيدة) وارتياح لوعده إياي بتسليمي يوم غد مبلغاً من حقوقي لديه...

التوجه إلى بيت أحمد رمضان وقضاء أمسية طيبة وعشاء لذيذ، حيث تم التقييم الموجه لي من عدد من الأدباء والصحفيين... ودار الحديث عن المسرح وأدب الأطفال والصحافة ومسألة الغناء... العودة إلى الفندق وإذا بالملكاوي ينتظر مكالمته، وإذا بالمكالمة تتضمن أعباء وأنباء جديدة... تغيير موعد محاضرة يوم غد إلى الأربعاء لكي تتاح الفرصة للإعلان عنها في الصحافة... ضرورة حضور ندوة الماليزيين... وصول بحثي عن الإسلامية من لندن مترجماً إلى الفرنسية والإنكليزية... اتحاد الكتاب الأردنيين يطلب مني إلقاء محاضرة يوم الخميس... تمديد فترة بقائي لإجراء المزيد من الفحوص الطبية...

الاثنين: صباحاً: فطور مع ملكاوي في صالة المطعم... ساعات طويلة مع الحلقة الدراسية الماليزية في الصالة العليا للفندق... وتقييم مترع عبر الحوار ذكّرني بندوة أكسفورد... عززه وصول بحثي المترجم إلى الإنكليزية والفرنسية من لندن... وطلب مدير الحلقة إلقاء محاضرة عن الموضوع... وزادني فرحاً وصول كتيب مكتب القاهرة عن إسلامية المعرفة... غداء مع الحلقة في مطعم الفندق، ثم التوجه إلى المستشفى الإسلامي وارتياح لإجراء كافة الفحوصات المتبقية والمتعلقة بالجلدية والمرارة... الاتفاق مع دار البشير على تسلّم أربعة آلاف دينار، ألف منها عن حقوقي في الدار وثلاثة آلاف عن أحد القسطين الموعودين عن كتابي لندوة الشباب (قالوا عن الإسلام) فالحمد لله...

هذا وقد تم تجديد التعاقد على اختصاص دار البشير بطبع أو إعادة طبع كافة كتبي لديهم... وأرجع إلى الفندق سعيداً لولا زحمة العمل، التي

ترغمني على البقاء في الغرفة وتجاوز إغراءات الأصدقاء بالخروج، بما فيها مكالمة من كمال رشيد، وأخرى من الملكاوي للذهاب معه إلى المعهد وقضاء الأمسية مع مجموعة من الأصدقاء... العمل المتواصل حتى الإعياء... ولكن عند العشاء يفاجئني الدكتور عمر الساريسي (ﷺ)، ويقتحم عزلتي ويعرض عليَّ إلقاء محاضرة في جمعية الكتاب الأردنيين، فأتردد ثم أميل إلى الموافقة على أن أعطيه رأيي النهائي يوم غد بإذن الله... جولة التخطي اليومي السريعة في شارع الجامعة، والجلوس قليلاً في صالة الفندق، والعودة للغرفة والعمل المتواصل حتى ساعة متأخرة من الليل.

الثلاثاء: اعتذار للملكاوي عن الحضور المبكر لحلقة الماليزيين التربوية... التوجه إلى البلد وإنجاز جملة مطالب لدى المكتب الإسلامي ودار عمار، والمشتريات المطلوبة، ومطالب البريد... والإحساس بالارتياح والتخفف ثم العودة إلى الفندق واللحاق بالحلقة الدراسية للماليزيين، حيث يتاح لي المجال للحديث العميق المستفيض عن خصائص النظرية الإسلامية للمعرفة، وعن مصطلحي الحضارة والتراث، فأبلغ حدّ التفوق، وينهال عليَّ التقييم من رئيس الجلسة ومن المشاركين، حتى إن إحدى النسوة الماليزيات تهديني قطعة قماش ماليزية... ويطالب آخرون بالتوقيع على عرض إحدى الأفكار على اللوحة لنقلها معهم إلى هناك فحمداً لله...

تناول الغداء في مطعم الفندق، قيلولة قصيرة وعميقة... التوجه إلى مقر المعهد العالمي وبدء المناقشات المملة الطويلة، حيث ينقض أحدنا ما بناه الآخر... ونتفق على عدة صيغ ثم ما نلبث أن نمحوها بصيغ جديدة... وهكذا حال اللجان والعمل الجماعي الذي يقتل العطاء...

هذا إلى أن أحد المناقشين كان يطرح أفكاراً تدل على عدم هضمه للمنظور الإسلامي، ورفض الاقتناع به تشبثاً منه بالمنظور القومي... ولذا قررت ألّا أشارك مستقبلاً بأي نشاط غير مجد من هذا القبيل، وأن أكتفي بتقديم الأفكار والملاحظات والبحوث وبإلقاء المحاضرات، والمشاركة في الندوات...

أعود إلى الفندق أحمل هموماً ثقيلة بسبب تفجر المطالب واندلاعها كرةً أخرى... فأحبس نفسي في الغرفة وأعتذر عن دعوات عديدة للخروج، وأنجز محاضر جلسات (أسلمة التاريخ)، وتقريراً عن رحلتي إلى الأردن... وتعميقاً لخطوط محاضرتي ليوم غد... وغيرها من الأعمال... وأحسّ شيئاً فشيئاً بأنني أزيح عن كاهلي أوقاراً وأوقاراً... هذا إلى أنني حسمت موضوع محاضرة رابطة الكتاب الأردنيين بالاتصال بالساريسي والموافقة عليها.

الأربعاء: لقاء بالملكاوي على الفطور، وحل القضايا المعلقة، وتسليمه أصول كتابي الكبير عن إسلامية المعرفة... التوجه إلى دار البشير فإذا بصاحبها يعتذر عن الألفي دولار ويقلصها إلى النصف... حجز لباص العودة على يوم الجمعة... عودة إلى الفندق وارتياح لبلورة خطوط المحاضرة في ذهني... قيلولة سريعة... ثم الذهاب بصحبة حشد من الأصدقاء إلى مركز عبد الله، حيث ألقيت محاضرة متألقة بحمد الله، تلقيت بعدها العديد من التهاني والكلمات المخلصة، وتعرّفت على العديد من الإخوة والتقيت بالعديد من الأصدقاء القدامى...

مقدّم الحفل الدكتور عزت العزيزي يغرقني بثنائه وبدوري المتشعب، العمقي والأفقي، في خدمة الفكر الإسلامي بسمة أساسية هي الإخلاص.. وإعلان في الصحف عن المحاضرة، يتضمن تقييماً لصاحبها ككاتب إسلامي... وإشارة من قادم من إندونيسيا إلى ترجمة كتابي (ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز) وكذا كتابي الآخر (دراسة في السيرة) الذي اعتمد ككتاب منهجي، إلى الإندونيسية... فحمداً لله وحده...

إحساس بالإعياء بعيد المحاضرة بسبب كثرة الحديث والجهد وانفجار المطالب والدعوات والأسئلة... التوجه مع حشد من الأصدقاء والشباب في جولة ليلية إلى مشارف الغور، ثم عودة لتناول الدوندرمة والجلوس في كازينو سنترال، ومنها إلى الفندق في حالة همّ وتشتت وقلق لكثرة المطالب...

ارتياح لإنجاز عدد من المكالمات، وبخاصة مع الدكتور أنس في لندن،

حيث طالبني بإرسال المزيد من المقالات، وأن أختصه بكل ما أقدر على إنتاجه... الانصراف المكثف في ساعة متأخرة من الليل إلى إنجاز المطالب الملحّة حتى الإعياء... وثمة قلق جديد يسببه إلحاح الدكتور الملكاوي والشباب في البقاء يومين آخرين، ومشاركتهم برحلة سياحية جميلة إلى جنوبي الأردن حتى العقبة!!

الخميس: رزمة هدية من رئيس تحرير جريدة اللواء، وتعريف في أحد الأعداد مترع بالتقييم... تصفية بقية المعلقات مع الدكتور الملكاوي وارتياح لوعده بتهيئة المبلغ المطلوب... اتصال برضوان وتأجيل موعد اللقاء إلى العصر... حضور إحدى جلسات الندوة الماليزية... النزول إلى الغرفة ضحى وإنجاز ترتيب عدد من البحوث والمقالات لإرسالها كوجبة ثانية إلى دكتور أنس في مكتب لندن... زيارة مدير إدارة المحاكم الشرعية في قطر وأحاديث ذوات شجون... الذهاب لتلبية دعوة غداء بمناسبة زواج صحفي فلسطيني... نومة عصر قلقة تقطعها مكالمة أحد الباحثين!!...

يأتيني الساريسي بسيارته ونذهب إلى اتحاد الكتاب... يدور حوار طيب ومتدفق ويتم التعارف واللقاء بالصديق القديم الشبول، وبرئيس جامعة اليرموك... ثم يقدمني الساريسي فيغرق في مدحي، وأبدأ محاضرتي حول ضوابط منهجية لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي... وتتدفق الأفكار، وأصعّد في الحديث... فتكون واحدة من المحاضرات المتألقة يعقبها نقاش خصب...

أعود بعده إلى الفندق بمعية كمال رشيد (رحمه الله) والشاعر الجيتاوي، الذي يقدم لي هدية قيمة... بعدها ألتقي الملكاوي ويدور حوار حول مطالب الدكتور طه العلواني بخصوص منهجية التاريخ... وأتسلّم هدية أخرى يقدمها الملكاوي من الماليزيات، ونقوم سويةً بإعلام إدارة الفندق بمغادرتي غداً، ويقوم ملكاوي بالتوقيع على القوائم بما فيها مكالماتي الخارجية دون أن أتكلف أي مبلغ من جيبي الخاص فحمداً لله... ثمة إحساس بالدوار يصيبني مرتين مساء هذا اليوم... ومع ذلك أصعد إلى الغرفة لكي أواصل القراءة حتى الثالثة ليلاً...

الجمعة ٨/٢٣: استيقاظ غير قلق ولا كئيب، لأول مرة منذ سفري، فها أنا ذا قد تجاوزت محنة الانفجار في المطالب، بعد أن نفذت معظمها بتوفيق الله ﷻ... وها أنا ذا أتهيأ للمغادرة عصر اليوم، ولم يتبق سوى استقبال عدد من الأصدقاء، وترتيب بعض المسائل وبخاصةً مع أدباء مشروع (أصوات)... ثم أصلي الجمعة وأعود لترتيب الحقائب في سباق متشنج مع الزمن، ثم أتناول غداءً لذيذاً ولكن بسرعة كبيرة... بعدها يجيئني بلال كمال رشيد لكي يقلني إلى موقع الباص، وأغادر عمان وسط إحساس عميق بالتخفف والارتياح... رغم ضيق الباص وبطئه... وكنت أحسّ أنني أنهي واحدة من أقسى الرحلات في حياتي وأكثرها جهداً وقلقاً ونصباً... وأنني ـ كذلك ـ أنجز حشوداً من المطالب لم أكن أحلم بإنجازها في هذه الفترة القياسية.

وبعد اجتياز طريبيل الحدودية دون أية متاعب كمركية سوى التأخير، أحسّ بالمزيد من الفرح، وأغرق في نوم عميق لا أستيقظ بعده إلا على مشارف بغداد... وهناك قدرت على الحصول على تاكسي دون أن أبذل أي جهد في حمل الحقائب، وأحظى بقسط آخر من النوم لكي ما ألبث أن أصل البيت بحمد الله...

لكن... إضافة إلى أحاسيس التشتت والقلق التي تنتابني في أعقاب كل عودة... كان هناك إحساس هائل بالإعياء، وآلام ممضّة في الصدر... وكانت هنالك قيلولة كاد نَفَسي فيها أن يغيب أكثر من مرة... وهناك بعد هذا كله... أكداس أخرى من المطالب تنتظر التنفيذ... فيا عون الله جلّ في علاه!!

[١٩]

رحلة عام ١٩٩٢ م إلى الأردن

الأحد: الانطلاق فجراً إلى بغداد... غداء وقيلولة في بيت الدكتور محسن عبد الحميد... التوجه سويةً إلى كراج الحافلات والانطلاق إلى الأردن... متاعب الوقوف الطويل في طريبيل...

الاثنين: مواصلة السفر المرهق والوصول عصراً... إحساس بالاكتئاب... التباس الحجز في فندق القدس... التوجه إلى شقة الدكتور فتحي الملكاوي... عشاء رائع في مطعم الصنوبر... نوم مشبع في الشقة.

الثلاثاء: تناول الفطور... الذهاب إلى المعهد... التحوّل إلى الفندق والإحساس بالاستقرار... الغداء... الذهاب عصراً إلى الندوة التي يقيمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي / مكتب الأردن... وحديث عن (البعد الفكري في المشروع النهضوي الإسلامي)... تمكّن وإجابة على الأسئلة... أمسية في بيت عذيبات... حديث مؤثر مع السودانيين.

الأربعاء: لقاء في صالة الفندق مع مدير دار الثقافة (محمد سعيد المبيض)... ثم عمل في الغرفة... مكالمة من الدكتور أنس في لندن يحل فيها الكثير من المعلقات... غداء... قيلولة... إلى الندوة ومحاضرة عن (أزمة المثقفين)... تعليق من الدكتور فتحي لدى المغادرة يضعني في دائرة الثقة والانسجام... عشاء ممتع في الفندق... أمسية في بيت أبي أنس.

الخميس: الحضور في ندوة تدريس علوم الشريعة وتنفيذ مشاركة فاعلة... الغداء... والقيلولة... **مساء:** البقاء في الغرفة لإنجاز العديد من المعلقات... تناول العشاء في الغرفة... جولة تخطي مريحة... واسترخاء في صالة الفندق.

الجمعة: رحلة جماعية إلى إربد واليرموك ومساجد الصحابة والبحر الميت... العودة وحل المعلقات مع الدكتور الملكاوي وارتياح عميق... زيارة لكهف أهل الكهف، ومهاجمة الزكام وربما الجيوب بعنف... عشاء وجلسة استرخاء مع الدكتور محسن في صالة الفندق.

السبت: إحساس بالتحسن بحمد الله ﷻ... الذهاب مع عبد الله الطنطاوي ومحمد السيد إلى سفارة تركيا للحصول على تأشيرة دخول لمؤتمر النورسي... زيارة لجريدة اللواء... التجوال في السوق والمكتبات وسط عمان...

إحساس بالضيق بسبب الزكام والنفس وتعثر الأعمال... ثم الإنجاز والارتياح والعودة للفندق... زيارة الزعاترة وأحمد رمضان ومنير شفيق وجلسة

في بيت أحدهم... حضور الندوة... أمسية في بيت الدكتور مأمون جرار بمعية الصديق القديم فالح... العودة للفندق والإحساس القديم بالتشتت والضيق والقلق بسبب كثرة المطالب... السهر حتى ساعة متأخرة لإنجاز المعلقات.

الأحد: فطور وتوديع لأحد الأساتذة... ورسالة لمجلة (المسلم المعاصر)... الذهاب إلى المعهد وارتياح عميق لتصفية الاستنساخ، وإرسال بحث (منظور غربي) للدكتور أنس، وترتيب إصدار عدد جديد من (أصوات)... وتصفية معلقاتي مع الدكتور فتحي، ومكالمة الدكتور أنس في لندن... غداء شهي في الفندق.

عصراً إلى الندوة حيث محاضرتي عن (العقل المسلم) والإقبال المكثف، والتألق بحمد الله، ثم الإجابة على الأسئلة... أداء صلاة المغرب... والوقوف مع حلقات الأصدقاء والسائلين... تعليق متوازن من الملكاوي حول المحاضرة...

دعوة عشاء في حدائق المعهد، وتقييمات ودعوات عشاء وطلب محاضرات وحضور ندوات من عدد كبير من المعنيين بالهم الإسلامي من مختلف الأقطار... أحاديث شيقة مع النخبة وإحساس غامر بالتحقق... العودة إلى الفندق... وحوار مع اثنين من السودانيين... انتظار مكالمة من العلواني دون جدوى... العمل حتى ساعة متأخرة ثم ما تلبث مكالمة العلواني أن تجيء فتفتح عليَّ جملة من المطالب الجديدة... مكالمة هاتفية قبيل الفجر يطلب صاحبها إلقاء كلمة في أحد المساجد!!

الاثنين: صباحاً إلى السفارة التركية لاستخراج الفيزا... إجراء مقابلة صحفية مطولة مع جريدة اللواء... غداء في الفندق... عصراً محاضرة مشتركة مع الدكتور محسن عبد الحميد عن التراث... اللقاء بأحمد الحسو وهشام الطالب... إلحاح من الطلبة والقراء بعد صلاة المغرب إلى حد الإعياء... أمسية في بيت الدكتور عودة أبو عودة وحديث عن الأدب... ساعة مع ابن العم هشام الطالب في غرفته.

الثلاثاء: الفطور... زيارة للصباغ... زيارة لمعجبين من إربد يعرضان عليَّ

وعلى الدكتور محسن الذهاب إلى هناك، وأنهما سيتوليان تهيئة سيارة لإيصالنا إلى العراق... فنعتذر... ثم يلحان على استضافتي لدى مروري بعمان بعد أسبوعين في طريقي لحضور مؤتمر النورسي في إسطنبول فأعرب عن موافقتي...

جولة في السوق لاستكمال المطالب والحجز لسيارة العودة لم نوفق فيها... الذهاب ثالثة للسفارة التركية والحصول على الفيزا بعد انتظار ونفاد صبر.. غداء مع الدكتور إسحق فرحان وهشام الطالب وآخرين في مطعم الفندق... رئيس جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية الدكتور أحمد علي الإمام (رحمه الله) يعرض دعوة لزيارة السودان فنقترح العطلة الربيعية.

الذهاب عصراً للندوة للمشاركة في محاضرة عن المرأة والخطاب الإسلامي، حيث الحضور المكثف... والمغادرة إلى المسجد وتجمع المشاركين وأسئلتهم، وطلب العناوين، وتلقي حشد من التقويمات وكلمات المودة والتقدير... ارتياح لتدبير أمر العودة مع أحد الأصدقاء... دعوتان للعشاء، إحداهما مع أسرة (فلسطين المسلمة) ومنير شفيق، حيث جرى السماع لتجربته العميقة التي آلت به إلى الإسلام، وأخرى في بيت طارق التل، حيث النخبة والتقييم والتوديع والإحساس بالتحقق... عودة إلى الفندق بمعية فاروق بدران...

إحساس بالإعياء المعهود والتشتت كما هو الحال في كل السفرات... فضلاً عن تزايد في آلام الأمعاء... مطالب عديدة تنتظرني قبل أن أحظى بالنوم، فأصفي بعضها وأترك الآخر ليوم غدٍ، رغم أننا مطالبون باستقبال المودعين في صالة الفندق وهم ليسوا بالقليل...

الأربعاء: هاتف مبكر وزيارة من طارق التل مع سلّة فاكهة!! حلّ العديد من القضايا المعلقة هاتفياً، وأخرى مع الدكتور زيد أبو الحاج... وثالثة مع عبد الله الطنطاوي... وإحساس بالارتياح... هدية وحوار مع هشام الطالب... وإحساس شديد بضيق النفس... جلسة في الصالة مع الطنطاوي وحيدر قفة...

حلويات من الدكتور الملكاوي... الصعود إلى الغرفة لترتيب الحقائب واستكمال المكالمات...

خطأ مني ومن الدكتور محسن عبد الحميد في التسرّع لتناول الغداء بسبب تقديم موعد السفر مع أحد الأساتذة، قبل حضور المدعوين المودّعين... لكننا ما نلبث أن نتدارك الخطأ بالنزول ثانيةً إلى المطعم وتناول الغداء بطريقة مرنة وعفوية... تلقي مكافأة نقدية وكتاب شكر على الدور الذي قمت به والدكتور محسن... التوديع ومغادرة الفندق في سيارة مريحة... ورحلة ميسرة غير مرهقة... الوصول إلى بغداد فجراً... مغادرة دار الدكتور محسن والتوجه إلى الكراج، والعثور السهل على سيارة إلى الموصل في رحلة كاد النوم المتواصل ألا يشعرني بها.. فرحة الوصول والاستقرار...

[٢٠]

رحلة عام ١٩٩٢ م إلى تركيا

الأحد ٩/٢٠: الانطلاق فجراً... الرحلة المريحة... الوصول... ردّ الفعل من الاكتئاب والندم على المبيت لدى صديق من إربد... الاستقرار... العشاء وحوار خصب... والنوم العميق...

الاثنين: إلى عمان... التذاكر والتعقيدات... السفارة التركية ومعاملة تأشيرة الأخ أديب الدباغ المدعو معي لحضور مؤتمر النورسي... الحصول على التذاكر... المعهد العالمي والاتصال بملكاوي وموعد على الغداء ليوم غد... جولة في السوق وصرف عملة وشراء هدايا وتناول الغداء... زيارة للناشرين.. اتفاق مع دار عمار لنشر بحثي عن (القرآن الكريم من منظور غربي)... العودة إلى إربد... حوار متوتر مع صاحب الدار... ونوم غير عميق...

الثلاثاء: إلى عمان... وضغط العمل والرسائل، والارتياح العميق لإنجازها قبيل الغداء... غداء رائع من السمك في قصر الصنوبر، حيث يجتمع التحرر من المشاغل والطعام والانسجام والتحقق... موعد ليوم غد مع الدوري وطلبة

الدراسات العليا... العودة المريحة إلى إربد وأمسية مترعة بالحوار وطرح وجهات النظر العميقة، وارتياح لاستعادة الألفة مع المضيف... نوم متقطع...

الأربعاء: فطور ثم زيارة لمدرسة الأقصى وحوار خصب... زيارة لوالد المضيف... التوجه إلى عمان في سيارة شقيقه... ساعات طويلة في السفارة بانتظار تأشيرة أديب الدباغ... الإحساس المرّ بالإحباط... العودة إلى المعهد وإجراء شبكة من الاتصالات لحل الإشكال... حوار متدفق مع طلبة الدكتوراه لولا قلق الفيزا... العودة إلى إربد مع ملكاوي... حوار آخر حتى منتصف الليل.

الخميس: بشرى من صديق حول مكالمة للسفارة التركية من الصالحي... الذهاب إلى السفارة وفرحة طاغية بالحصول على تأشيرة أديب الدباغ... حوار حول الأدب مع أديب شاب... مكالمات وتقويمات وإحساس بالتحقق والسعادة... الحصول على عدد من الأشرطة والأناشيد... وارتياح لاحتمال صدور (أصوات) في موعدها المتفق عليه... المغادرة بالتاكسي إلى المطار ومطحنة الطرق المسدودة بسبب احتفالات استقبال الملك العائد من أمريكا... ثم فرحة إيجاد منفذ والوصول إلى المطار بعد شد قاس للأعصاب... رحلة جوية مريحة... استقبال حار في مطار إسطنبول... لقاء في بيت إحسان الصالحي... الفندق ونومة عميقة.

الجمعة: قلق التردد بين البقاء أو التحول لشقة في أطراف إسطنبول... جولة ممتعة في سلطان أحمد... أيا صوفياً... الحمام الروماني... صلاة في الفاتح... غداء في بيت إحسان... ساعات من الحوار... جولة في إسطنبول والسور ومسجد الأنصاري وساحل البحر... اشتداد البرد ليلاً وإحساس بالغثيان... لقاء طيب لدرس عن النورسي واستقبال للمدعوين المصريين... الفندق ونومة متقطعة...

السبت: جلسة انتظار في صالة الفندق... توزيع مائتي دولار لكل مدعو والذهاب إلى محل كبير للتحافيات، ولحظات صعبة من الحيرة والتردد بين الإسراف في الشراء وعدمه، بسبب الغلاء من جهة، وإغراءات التخفيض من

جهة أخرى... التوصل إلى حل وسط بدفع نصف المبلغ بعد ساعة من التوتر لاختيار مطاليب القائمة الطويلة، ثم إحساس رائع بالارتياح لشراء هدايا رائعة جداً...

صلاة الظهر في أحد الجوامع ثم غداء رائع في مطعم سعيد... جولة في عدد من الصحف: تركيا، الزمان... وحديث مؤثر ومفرح من أحد رؤساء التحرير... العودة للفندق وانفجار التلفونات والزيارات والمواعيد فيما ذكرني برحلاتي السابقة... طلب من إحسان بتقديم كلمة في حفل الافتتاح... حضور (درس) آخر للنورسي ومشاركة واسعة فيه... زيارة سريعة لبيت إحسان واللقاء برشدي عبيد ثم العودة إلى الفندق ونومة عميقة...

الأحد: فطور لذيذ وحديث ممتع من عاشور... عودة للغرفة لاستكمال المطالب الكتابية... متاعب في الجيوب الأنفية وضيق في النفس... المغادرة إلى قاعة جلسة الافتتاح... استقبال حافل... التنبيه على الوقت والحساسية الملحّة تجاه الزمن... كلمتي وردود الفعل الإيجابية وتعليقات عاشور وأحمد بهجت والدكتور عبد الرحيم... تعليقات الشباب حول بكاء المستمعين...

المغادرة والإحساس بالتحقق من خلال العديد من لقاءات التعارف... مندوب صحيفة الرفاه يطلب لقاء... وصحفي تونسي يطلب لقاء آخر... أحد أصحاب المزارع يدعوني وأديب الدباغ لزيارة مزرعته في الجبال... رجل تركي يشير إلى ترجمة عدد من كتبي إلى التركية ويعدني بنسخ منها... المغادرة إلى الفندق... صلاة، ثم التوجه إلى العشاء في منتدى السليمانية... أمسية وعشاء وحوار رائع في أجواء ودية... توزيع الهدايا وتكريم باسم كل مشارك ومزيداً من التحقق... العودة إلى الفندق واستكمال الأمسية في صالته مع المدعوين حتى ساعة متأخرة... الجيوب تتحول إلى زكام على ما يبدو...

الاثنين: فطور ممتع مع أديب والدكتور عبد الودود شلبي... الجلسة الأولى الصباحية وأجواء ودّية... الغداء في صالة المطعم مع أحمد بهجت ورفاقه وحديث في الكتب والفكر والصحافة... العودة إلى الجلسة المسائية والتحقق

بواحد من أروع الانتصارات في حياتي الفكرية بإلقاء محاضرتي عن النورسي ارتجالاً، وتلقي ردود أفعال إيجابية لم تخطر على بالي... تهنئة وتقييم من المعقبين، وقبلات وتبادل للعناوين، وإبداء لأعمق مشاعر المحبة والدعاء بالموفقية والقبول، والحمد لله أولاً وأخيراً...

صور تذكارية عقب الجلسة... مواعيد مع ثلاثة من الصحفيين... حديث عن ترجمة أعمالي إلى التركية... وعن حضوري الفكري في دوائر حزب الرفاه... صحفي تونسي يرتب معي أسئلة للجريدة التي يعمل فيها... رئيس مؤسسة الثقافة الراعية للمؤتمر البروفيسور فارس قايا يجيء للغرفة ويبدي تقييمه وشكره وامتنانه للمحاضرة... أستاذ في الإدارة يجيء خصيصاً لإبداء تقييمه للمحاضرة، وتأكيده على أولويات الموضوع الجمالي... دعوة من صاحب معمل على العشاء ووعد بتقديم بدلة هدية لكل زائر... عشاء مع أديب وعبد الرحيم في مطعم الفندق، ثم نزول إلى الصالة وتقويم حار من الأساتذة المصريين.

الثلاثاء: الفطور وحضور جلسات الصباح... إعداد الحقائب... الغداء ثم استئناف جلسة المساء... انتهاز الفرصة للإجابة على الأسئلة الصحفية المعلقة على قصاصات من الورق... في الاستراحة تسلُّم كتابين مترجمين لي من دار نشر تركية وأتفق على ترجمة (ملامح الانقلاب)... لقاءات وتقويمات ومزيد من الإحساس بالتحقق... تنفيذ لقاءين صحفيين مع مجلة (درب التبانة) الطلابية وجريدة الزمان اليومية...

مغادرة الفندق لتنفيذ دعوة عشاء في مصنع للأقمشة والملابس... ساعات طيبة من الحوار، وعشاء لذيذ، وجلسة ضحك مع أحاديث دكتور عبد الودود شلبي... تسلم البدلات والسجاجيد الرائعة هدية من الداعين... ثم التوجه إلى بيت أحد الإخوة النورسيين في قرية كوزولجة الجميلة على حافة البحر للمبيت هناك... شيء من عدم الارتياح بسبب انقطاع الماء والكهرباء، ونومة تقطعها متاعب الأذن اليمنى وضيق النفَس.

الأربعاء: فطور لذيذ وإطلالة حلوة على البحر، ثم التوجه بالسيارة إلى إسطنبول ولحظات مؤثرة مع التواشيح التركية الإسلامية... زيارة لمريض... وجولة في شوارع الفاتح، وصلاة في أحد المساجد، وأحاديث ذوات شجون مع رشدي عبيد وأديب، ثم عودة إلى فندق سلطان، حيث نستصحب المصريين في زيارة لإحدى المدارس الرسمية النورسية...

تناول الغداء اللذيذ... ثم صعود إلى قاعة الاستراحة لتناول الفاكهة والاستماع إلى شرح حول المدرسة، ثم زيارة لأحد الصفوف حيث يعرّف بنا الدكتور سعاد، ويبدأ بي مقوماً ومشيراً إلى كتبي... جلسة ممتعة في الصالة العليا لأداء الصلاة وتناول الشاي، وأحاديث شتى مع عاشور وبهجت عن المؤلفات والنشر... الخ وسماع مؤثر لأناشيد تركية من اثنين من الأتراك...

زيارة لمدرسة أخرى في الجانب الآسيوي، حيث أعلى جبل في إسطنبول... الاستماع إلى شرح المدير، وفعاليات قرآنية ونشيدية للأطفال والتلامذة، وتناول الفاكهة والحلويات والجرزات... ولحظات مؤثرة مع نشيد للأطفال يجعلني وعدد من الحاضرين نبكي بصمت...

نصف ساعة حالمة في حدائق القمة المطلّة على البسفور والجانب الأوربي من إسطنبول، وحيث لحظات الغروب الحالمة والهواء المنعش والمنظر المؤثر... المغادرة لأداء الصلاة في جامع قريب، ثم العودة لفندق سلطان للاستراحة قليلاً، ومنه في السيارة إلى قرية كوزولجة، حيث يقوم اثنان من ذوي الأصوات العذبة بتقديم العديد من الأناشيد المؤثرة... الوصول والمفاجأة بتدفق الماء، بسبب الصنبور المفتوح لساعات طويلة ولكن الله سلّم غرفتنا وحقائبنا من الأذى... أمسية وأحاديث حول الإسلام والمسلمين، وعشاء خفيف، ثم نومة عميقة تقطعها متاعب الأذن وضيق النفَس ولكن بشكل أخف من ذي قبل.

الخميس: الاستيقاظ والإحساس بالقلق، الذي أخذ يتناوشني حول مدة البقاء واحتمالات المتاعب مع الكلّية والقسم... اتفاق على موعد أولي في منتصف الأسبوع القادم، وعلى رحلة إلى بورصة قد تستغرق يومين بإذن الله...

أحاديث شتى مع رشدي وآخرين، ثم تناول الفطور في الثانية عشرة، والنزول إلى الغرفة لكتابة هذه المذكرات وإنجاز تبييض اللقاء الصحفي مع التونسي... الاعتذار عن لقاء تلفزيوني موجه إلى أذربيجان لأسباب مبررة...

جلسة في كازينو القرية وسط جو شتوي جميل... رحلة في الباص إلى إسطنبول... جولة في شوارع الفاتح وتناول (الإسكندر كبابي) في أحد المطاعم الأنيقة... معارض الشارع تثير الشهية ببضائعها المدهشة... ساعة في (سوزلر) وحسم موضوع الإجازة المرضية... إهداء كتاب مترجم إلى التركية لمدير سوزلر (البروفيسور فارس قايا)... التوجه إلى فندق سلطان وأحاديث مع المدعوين المصريين وآخرين...

جلسة نقد وتقويم مع مدير مؤسسة الثقافة لأعمال المؤتمر، وطرح جيد ينال التقدير... وتقويم من أحمد بهجت لبحثي في المؤتمر... تناول الدوندرمة والحلويات في صالة الفندق، وحوار شيق عن النورسي مع تلميذه البار (سنجر)، الذي يختارني وآخرين لإيصالنا بسيارته إلى القرية، وحديث شيق عن ذكرياته مع النورسي... شيء من الصداع والتشرّح في الحلق، وشك في انتقال عدوى الزكام من أديب ولكن الله سلّم... نومة عميقة ومشبعة لأول مرة... هاجس القلق اللعين بصدد موعد العودة لا يزال يتعبني.

الجمعة: ارتياح لاتصال هاتفي مع زوجتي وإحساس بالانشراح... التهيؤ للنزول إلى إسطنبول، والتوجه من هناك في رحلة إلى بورصة... صلاة في جامع أنيق مع الأصوات التركية المؤثرة... جولة ناجحة في أسواق بايزيد والقبغلي ومشتريات جيدة... غداء في مطعم شعبي، ثم عودة بالتاكسي إلى الشقة النورسية التي سنبيت فيها... جولة تخط ممتعة مساء في شارع الفاتح وقبالة معارضه الغنية الأنيقة مع اثنين من الأصدقاء وتناول الأيس كريم...

عودة أخرى إلى الشقة وجلسة طيبة في الصالة الأرضية مع الحوار والفاكهة... جولة ليلية في السيارة مع عدد من الأصدقاء في أنحاء إسطنبول... وتخط على الكورنيش... وموافقة عجيبة بالالتقاء باثنين من الدعاة أشاروا إلى

اسمي، وتبين أننا كنا قد التقينا منذ زمن بعيد...جلسة ممتعة وحوار واعد حول رحلتهما إلى آسيا السوفياتية... استكمال الجولة في السيارة حيث الموشحات التركية العذبة... نوم متقطع والأخ أديب تجتاحه الأنفلونزا فيظل نائماً...

السبت: فطور في حدائق أمركان... رحلة إلى بورصة... السيارة... المركب... الصلاة... الانطلاق إلى بورصة... زيارة دار نشر سوزلر... الصالة العليا وحوار بانتظار الغداء... التوجه عبر بورصة لتناول العشاء... الصلاة والمطعم وإحساس عميق بالفرح والانسجام والتحقق... العودة لحضور حلقة نورسية وإشادة سخية من الصالحي حول دوري في تنبيه القراء العرب إلى النورسي، حيث بدأ يتلقى بعد مقالٍ في مجلة الأمة واسعة الانتشار سيلاً من الطلبات والرسائل... حديث محكم ومؤثر... حلقة أخرى وإعادة للكرة... تجوال في الليل في شوارع ومتنزهات بورصة... تقييم سخي من رشدي وعبد الكريم أبي آية...

الأحد: صلاة الفجر... نوم عميق واستيقاظ سعيد... اتفاق على احتمال تقديم موعد العودة بسبب انتهاء تأشيرة أديب... تناول الفطور وإلقاء قصيدة من رشدي وقصيدة (النار) من قبلي، حيث تلقى تقييماً سخياً... رحلة التلفريك الجميلة والسعيدة والمخيفة إلى أعالي الجبال... التجوال والصلاة والغداء اللذيذ من الشواء وسط الغابات والعودة إلى بورصة... جولة في بورصة مع عضو مجلس الشعب... تشغيل موشح (شفاعة يا رسول الله) والبكاء الصامت وتدفق سيّال الشعر... العضو يهديني كاسيت (شفاعة)، وآخر يهديني دليل بورصة الجميل... وثالث يدعوني لحضور افتتاح في بورصة في مايس من العام القادم... وداع مؤثر، وعودة مريحة في الليل إلى إسطنبول وشيء من التأخر بسبب الزحمة... قلق بصدد الاتفاق النهائي على العودة بين الاثنين والخميس... في ساعة متأخرة يتم اتخاذ القرار في ضوء عدم تجديد تأشيرة أديب... نوم متقطع ومتاعب مع الأذن اليسرى...

الاثنين: استيقاظ قلق... ارتياح لترتيب الحقائب... الفطور... جولة مشتريات أخرى في سوق بايزيد وقبغلي... إحساس غامر بالسعادة لاستكمال كافة المطالب المعلقة، وتسلم الإجازة المرضية وشريطي الكاسيت وتصفية قضايا العملة والديون... الخ... وداع مؤثر لم أشهد له مثيلاً من قبل وهدايا من العسل والحلويات والقبلات... جلسة في صالة الانتظار... رحلة مريحة في الطائرة...

سائق التاكسي يختار لنا فندقاً في عمان... إحساس بالتشتت والضيق والقلق لدى دخول الفندق... التوجه للحجز في السيارة ومتاعب الطريق والزحمة... الاتفاق مع سائق ضحى يوم غد... العودة إلى مركز عمان لتناول العشاء... جلسة في مقهى مطل على الشارع... عودة مرهقة على الأقدام بسبب تضييع الطريق... نومة متقطعة ومزعجة بسبب الحر وأصوات السيارات.

الثلاثاء ١٠/٦: التوجه لتناول الفطور في صباح جميل... ارتياح لاستكمال المشتريات المعلقة... اتصالات هاتفية وزيارة لعدد من المكتبات وتصفية القضايا المعلقة... ثم عودة بالتاكسي إلى الفندق... سباق مع الزمن لترتيب الحقائب وإحساس عميق بالارتياح لدى مغادرة الفندق... السائق ينكث وعده والعثور على سيارة بديلة... إحساس غامر بالارتياح ونحن ننطلق عائدين... صلاة وغداء في رويشد... رحلة هادئة ومريحة وأحاديث ممتعة عبر الطريق... عشاء في هيت وشيء من التخوف عبر طريق حديثة ـ بيجي المقفر... الوصول إلى مشارف الموصل ورجل التفتيش يقوم بإثارة كادت أن تسبب المتاعب لولا إبرازي لكتاب الإيفاد... الوصول في الساعة الرابعة والاستقبال السعيد.

[٢١]

رحلة عام ١٩٩٣ م إلى السودان

الأحد: ١/٢٤: ليلة قاسية في الباص مع البرد والانتظار في طريبيل لطلوع الصباح... تعقبها ست ساعات أخرى من الانتظار لغرض التفتيش، أبلغ فيها حدّ التوتر ونفاد الصبر ووجع الصدر... البحث عن سيارة بديلة وتحويل

الحقائب، واكتشاف عيوب خطيرة في إطاراتها، ومع ذلك يركبني العناد... إنهاء التفتيش بعد فترة أخرى من الانتظار وعطب جديد في الإطار... البحث دون جدوى عن إطارات احتياطية... الانطلاق ليلاً في طريق مشاكس مع التخوف من عطب الإطار دون وجود احتياط... العثور أخيراً على إطار سيئ والانطلاق ثانية... عطب آخر في الإطار الأمامي، والله سبحانه وحده سلّمنا من ضربة مدمرة من حافلة كبيرة وراء السيارة بسبب التوقف المفاجئ... العودة إلى مدينة قريبة وإصلاح العطب، والانطلاق إلى عمان دون احتياط، والوصول بحمد الله وحده بعد ساعات من القلق وشد الأعصاب خشية البقاء مع الليل والبرد حتى الصباح... النزول في فندق الكونكورد ونوم عميق...

الاثنين: استيقاظ قلق بسبب كثرة المطالب وضيق الوقت، وشبكة اتصالات هاتفية مع الخطوط الجوية والسفارة السودانية دون الحصول على جواب قاطع بصدد التذكرة... اطمئنان لتأخر موعد الإقلاع، ولوجود مقاعد شاغرة كثيرة... الاتصال بعبد الله الطنطاوي... التوجه إلى الخطوط وارتياح للحصول على التذكرة... العودة إلى وسط المدينة مع متاعب الفقرات... مغادرة الفندق لتناول غداء طيب في بيت الطنطاوي... التوجه عصراً إلى المعهد وإنجاز الطرود البريدية بخصوص بحثي لليونسكو، وإحساس عميق بالتحرر والارتياح...

حوار معمق عن الدراسات العليا في التاريخ مع الدكتور زيد أبو الحاج... الانطلاق من دار الطنطاوي إلى المطار، ورحلة جوية مريحة إلى الخرطوم، يعكرها إحساس عجيب من التخوف بسبب حلم مزعج قبل أكثر من شهر يتعلق بحادث جوّي، ولكن الله ﷻ يسلّم... مضيفة الطائرة تطلب في المذياع التعريف بشخصي، حيث ألتقي بالمسؤول الطلابي على نفس الطائرة وأطمئن على موضوع الاستقبال والحجز في الفندق... الوصول إلى الهلتون عند حافات الفجر، حيث تأخذني سنة من نوم عميق.

الثلاثاء: مكالمة من مسؤول العلاقات في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية يعلمني أنه قادم، فأحزم حقائبي وأتحول إلى فندق (الغابة

الخضراء)... زيارة لمدير الجامعة الدكتور أحمد علي الإمام (رَحِمَهُ اللهُ)، وترحيب غامر منه ومن الإداريين والتدريسيين... الصلاة في الجامع وأحد الأساتذة يعرف بقدومي وبرنامجي الثقافي ويسخو في التقديم... تجوال في المكتبة المركزية للجامعة وعرض بعض وجهات النظر التي تُتلقى بالترحاب...

التوجه إلى الفندق لتناول الغداء... الاستقرار في الغرفة وإحساس بالارتياح بسبب الهدوء والاسترخاء لولا شيء من الإحساس بالوحشة... زيارة مدير الجامعة للفندق وطرح عدد من المطالب الثقافية بما فيها ترتيب تقرير عن دراسات عليا للتاريخ، ويعلمني أنه يريدني أن أقوم سنوياً بزيارة كهذه للخرطوم... تناول العشاء في مطعم الفندق، وحديث ذو شجون مع تاجر فلسطيني، ثم عودة للغرفة لترتيب عناوين المحاضرات، وتوزيعها... النوم وسط شيء من مضايقات البرد.

الأربعاء: الفطور ثم جولة في الخرطوم لدى التوجه إلى الجامعة... لقاء بالعديد من الأساتذة والمعنيين بالأدب الإسلامي... ترحيب وتقويم سخيان وإحساس بالتحقق، واتفاق على برنامج العمل الثقافي بما فيه المحاضرات والندوات والحوار المفتوح والأمسية الشعرية والمسائل المنهجية مع وزارتي التربية والتعليم... ترتيب محاضرات أخرى لاتحاد الطلاب والمجاهدين...

أحد تدريسيي الأدب الإسلامي يعرب عن إعجابه واعتماده على مؤلفاتي في تدريس المادة... رئيس الاتحاد يرحب ويرتب أمر محاضرة جماهيرية واسعة... دعوة على الغداء الجمعة في بيت الدكتور محمد صالح مساعد مدير الجامعة... اتفاقات على مواعيد أخرى للقاءات تلفزيونية... ارتياح لوجبات مطعم الفندق الصحية والمحددة واللذيذة... ولإشباع الشوق للسمك والموز بعد حرمان طويل... أمسية طيبة في صالة المطعم ثم مع التلفزيون، والعمل في الغرفة حتى ساعة متأخرة.

الخميس: السيارة تقلني إلى مركز بحوث الإيمان... استقبال مترع وتقييم سخي، ولقاء بالعديد من الأشخاص من مختلف الأقطار، وترتيب لعدد من

الأنشطة الخاصة بالمركز والمناهج، وتلقّي العدد الأول من مجلة المركز حيث ينشر أحد بحوثي... توجه بسيارة أزهري إلى وزارة التربية، حيث عدد من الشباب يؤكدون تواصلهم الفكري وتلقّيهم على كتاباتي، وحيث يشير أزهري إلى ترتيب لقاءات للمناهج... يحضرها عدد من الوزراء... التوجه إلى الكلية لتنسيق المحاضرات والندوات، ولقاء بأستاذ للأدب يشير إلى اعتماده على كتاباتي... حوار طيب وترتيب لمواعيد المحاضرات وعودة إلى الفندق...

قيلولة متقطعة، أخرج بعدها إلى الشارع العام لكي أتخطى ثم أبدأ رياضة المشي السريع، وأرجع إلى الغرفة لمتابعة الأعمال بانتظار العشاء... ارتياح لإنجازات كتابية عديدة... وجلسة على العشاء مع التاجر الفلسطيني وأحاديث أخرى ذوات شجون... وزيارة لعاملين في مركز بحوث الإيمان...

الجمعة: إنجازات كتابية أخرى صباحاً، ودعوة على الغداء لدى الدكتور محمد وكيل مدير الجامعة، وأداء الصلاة في جامع القوات المسلحة، حيث يرحب الخطيب ويطلب إلقاء كلمة فأكتفي بدقائق معدودات أتحدث فيها عن أهمية الأخذ بالأسباب، وأشير إلى مشروع حفر ترعتي النيل وعيون مسلمي العالم المعلقة بتجربة السودان... الخ. وأغادر الجامع غير مقتنع تماماً بإحكام كلمتي... وفي دار دكتور محمد نتعرف على عدد من الإخوة الشاميين والسودانيين، وتدور أحاديث شتى وأتلقى تقويمات سخية، وأتلقى عبر الطريق رشقات من الغبار يصيبني بالإعياء والضيق. وأعود إلى الفندق لكي أحاول عبثاً الاتصال بالموصل... وأبيّض بعض المعلّقات... ارتياح وإحساس بالسعادة للاتصال بالموصل يعقبها عشاء لذيذ وجلسة طويلة في المطعم، ثم استكمال الأمسية في الغرفة.

السبت: صباحاً إلى الكلية لقاء بأمجد محمد سعيد وحديث ذو شجون. المحاضرة الأولى لطلبة الدراسات العليا حول شروط إعادة كتابة التاريخ، أحقق فيها نجاحاً لم أكن أتوقعه بحمد الله... إعلان عن زيارتي في الصحف تزيد من ضغوط الطلبات عليَّ لإلقاء المحاضرات: واحدة لرابطة النساء، وأخرى

للشرطة الشعبية، وثالثة لطلبة التدريب جنوبي السودان. وأحسب محاضراتي فإذا بها توشك على العشرين... عودة إلى الفندق وسط الإعياء والحّر وبطء السير والجوع... التهيؤ بعد الغداء للذهاب إلى طلبة التدريب عبر طريق ترابي مزعج... الاعتذار في البدء بسبب وجود الضيوف، ثم الترحيب ووضع مكان لكلمتي بين كلمات الوفد الزائر... تمكّن في الإلقاء والإيجاز يملؤني غبطة، وقبول طيب، وإلحاح في إلقاء محاضرة أخرى أتردد في الموافقة عليها، ثم أعطي الموافقة في نهاية الأمر.. العشاء في الفندق وكتابة المذكرات وشيء من التلفاز والمطالعة وسط الأصوات المزعجة في الغرفة من جراء حركة الماء في الأنابيب...

الأحد: فطور بمعية السائق، ثم توجّه إلى الجامعة وإلقاء محاضرة أخرى عن إعادة كتابة التاريخ لطلبة الدراسات العليا بتمكّن وحيوية وتنويع، ولكن بجهد يضعني على حافة الدوار وضيق النفَس... جلسة في غرفة نائب المدير لترتيب جدول المحاضرات واللقاءات المكثفة وارتياح للسيطرة عليها... عودة إلى الفندق من طريق طويل تجاوزاً لزحمة الجسر، واطلاع على الخرطوم بحري... الغداء ومحاولة فاشلة للقيلولة تقطعها مكالمة من أمجد محمد سعيد ووعد باللقاء... جولة تخطّي قبيل الغروب في هواء رقيق تمنحني انشراحاً... الصديق الفلسطيني يهديني وجبة أخرى من الموز... السائق يجيء لكي يقلّني إلى دعوة العشاء في نادي الضباط...

هواء رقيق وحدائق أنيقة وجلسة ودّية مع حشد من الأساتذة السودانيين وأستاذ أمريكي مسلم... حوار متنوع وشيء من عدم الارتياح لتأخر أزهري ومدير الجامعة، حيث نقوم إلى العشاء على احتمال عدم مجيئهما... وسواس آخر بسبب الطعام وتنوّعه، وعدم الاستمتاع به يذكرني بلازمات السنين الخوالي إزاء الطعام... حلويات شهية، ثم تعريف بي من قبل نائب مدير مركز أبحاث الإيمان يسخو فيه ويغمرني بالتقويم... وأرد عليه بكلمة موجزة.

وما يلبث مدير المركز ومدير الجامعة أن يأتيا، ويتم تعريف آخر من قبل

أزهري مدير المركز، يشيد فيه بإسهاماتي في شتى الحقول وبدراساتي المعمقة في فلسفة التاريخ، وفاعلية العقل المسلم، والأدب، وبما جئت أحمله معي من مقترحات بصدد المناهج... أردّ عليه بكلمة أخرى، ويجيء عضو في البرلمان فيتم التعارف، ويدور حوار مؤثر نغادر بعده المكان وأنا أحسّ بانتشاء وتوحد على النقيض من زمن المعاناة المبهظة في رحلاتي السابقة، حيث أعود وسط حصار الإعياء الجسدي والنفسي مشتتاً محطماً... فالحمد لله وحده... استكمال الأمسية في صالة التلفزيون لمشاهدة الأخبار، ثم في المطعم لشرب الشاي والحوار الممتع مع الصديق الفلسطيني...

أرجع إلى الغرفة سعيداً منسجماً لأصلي وأكتب المذكرات وآكل الموز وأقرأ قليلاً وأنام... نسيت أن أشير إلى ورقة وجدتها في الاستعلامات، حول زيارة مجموعة من الأصدقاء بمعية دكتور عدنان بشير وشخص أردني للفندق بحثاً عني، فلم يجدوني فيطلبون لقاء تعويضياً... وأن أشير أيضاً إلى أن مسؤولاً في جامعة إفريقيا الإسلامية طلب محاضرة، ثم الاتفاق على أن تكون في الأسبوع التالي بإذن الله... وإلى أن أحد الأساتذة أشار وهو يعرّف بنفسه إلى أنه تتلمذ علي يدي أيام محاضراتي في الخليج لطلبة الدراسات العليا... نسيت أيضاً أن أشير إلى أن العديد من المثقفين والمسؤولين والأساتذة السودانيين أشاروا أكثر من مرة أنهم تتلمذوا على كتبي... وأن الصحف نشرت إعلاناً عن مجلة بحوث الإيمان ومشاركتي فيها على رأس القائمة، فحمداً لله وحده...

الاثنين: صباح رائع في رقة هوائه... زيارة لمركز الإعلام في منظمة الدعوة، ومشاهدة لعروض تلفازية عن أنشطة المنظمة، وحلقة من (ساحة الفداء) تدفعني إلى البكاء...

زيارة لمركز أبحاث الإيمان لاستكمال تنقيح ملاحظاتي حول المنهج... بحث عن مقرّ نقابة المحامين للاعتذار من نقيبها عن عدم حضوري الندوة، ولكنها تضيع علينا... التوجه إلى الفندق... جولة التخطي قبل الغداء... الغداء

وقيلولة يستعصي فيها النوم العميق أسوةً بسابقاتها وحتى نوم الليل لا أدري لماذا...

زيارة لعدنان بشير... شاي في المطعم... انتظار للسائق للذهاب إلى لقاء مناقشة مناهج التربية ولكنه يتأخر، ويمضي الموعد، فأقوم باتصالات هاتفية بأكثر من جهة دون جدوى، فما يلبث دخان الصدر أن يداعبني ولكن مجيء نائب مدير المركز يعيدني إلى التوازن، ويتبين تأجيل موعد اللقاء، كما أن السائق يعيقه عطل في السيارة... جلسة طيبة على الهواء الطلق مع وكيل وزارة التعليم وأزهري التيجاني، نتبادل فيها الأحاديث وأزهري يشير إلى أن أسلوبي من بين ثلاثة مفكرين هم سيد والترابي يمكن تميّزه بمجرد قراءة أسطر فيه، فأشكره على تقويمه... يطلب أيضاً رحلة إلى شمالي الخرطوم (بخت الرضا) لمناقشة خبراء المنهج هناك، فأعدهم خيراً. وأعرض على أزهري طبع مؤلفاتي كافة في السودان دون أخذ موافقتي متنازلاً عن نسبة ربحي لحساب التخفيف عن القارئ، فأتلقى ترحاباً وتقديراً ينزلان برداً وسلاماً على قلبي، فالحمد لله...

أسأل أزهري عن زيارة الشيخ الترابي فيشير إلى أنه أعرب عن ترحيبه العميق ووعد بترتيب موعد قريب... يطلب أزهري إصدار سلسلة كراريس صغيرة سهلة التناول مستلّة من مؤلفاتي فأرحب بالفكرة.. وعلى مستوى الصحف نشرت اثنتان منها إعلاناً على الصفحات الأولى والأخيرة عن محاضرتي في المركز عن (أسلمة المعرفة) تطبيقاً على دراسة التاريخ والحضارة...

تناول العشاء في المطعم، وإحساس ملحوظ بالجوع يقودني إلى تجاوز الحدود التي رسمتها لنفسي، وتناول أنواع شتى أحسّ بأنني أثقلت فيها على نفسي... إنجاز الخطوط العريضة لمحاضرتي عن (أسلمة المعرفة) تطبيقاً على التاريخ والحضارة، وكتابة المذكرات وقراءات خفيفة، ثم نوم متقطع أسوةً بالليالي السابقة لا أدري لماذا...

الثلاثاء: الفطور... وترتيب خيوط المحاضرة في ذهني وإحساس عميق بالارتياح لتمكّني منها واقتناعي بها... جلسة استرخاء تحت الشمس في حدائق المطعم بانتظار السائق... التوجه إلى الجامعة وترتيب موعد مقابلة تلفازية يوم غد مع الدكتور عباس محجوب...

الذهاب إلى عمادة كلية البنات وترحيب حار، ثم بدء المحاضرة عن الإنجاز في عصر الرسالة، قبالة حشد كبير من طالبات الكلية... تقديم مترع بالسخاء من عميد شؤون الطلبة، ومحاضرة ناجحة بحمد الله، وتعقيب مترع بالتقييم من عميد الكلية، ثم أسئلة عديدة وإجابة عنها، ومغادرة للكلية حيث تصاب السيارة بعطل في الطريق فنضطر لركوب التاكسي. وأضطر في الفندق إلى استدانة مبلغ من المال لدفعه لسائقها ولسائق آخر لغرض إيصال مرافقي... الغداء وقيلولة يستعصي فيها النوم، وتناول للشاي في المطعم، ثم توجه بمعية مدير بحوث الإيمان إلى قاعة الشارقة، حيث الاستقبال الحار وتدفق أعلام السودان في الفكر والسياسة والعمل الجامعي والطلابي... لمسة حوار مع بعضهم ومع الأخ أمجد محمد سعيد...

التوجه إلى الصالة حيث يتم تقديمي من قبل مدير المركز بسخاء منقطع النظير، وحيث أبدأ المحاضرة بتمكّن تام وعرض محكم دون لجوء إلى الورقة كالعادة، وحيث أتلقى بعدها تقويمات سخية مترعة من مدير المركز وعدد من الحاضرين، تطرح بعدها أسئلة تثري المحاضرة في أجواء سمحة ودية. وأغادر القاعة لكي أتلقى المزيد من التهاني، ولكي أستمع لمعاون مدير الجامعة يقول أنها أروع محاضرة سمعها في حياته... والحمد لله وحده...

مدير جامعة إفريقيا العالمية يطلب محاضرة في جامعته فألبي الدعوة وأحدد موعداً، كما تم تحديد موعد للأمسية الشعرية... أعود إلى الفندق بصحبة معاون مدير الجامعة، حيث يثني على اقتراحاتي بصدد إنشاء قسم للدراسات العليا في التاريخ... ويطلب مقترحات لقسم التاريخ للدراسات الأولية، فأعده خيراً... أتعشى وأعود للغرفة استعداداً لمطالب القراءة والنوم...

الأربعاء: الاستيقاظ مبكراً والذهاب إلى الجامعة، ومنها إلى التلفاز بمعية دكتور عباس محجوب مدير شؤون الطلبة ودكتور محمد صالح معاون المدير، لتسجيل حلقة عن (إسلامية المعرفة)... كان لقاءً طيباً وغير مجهد، ووُعدت بتسليمي نسخة من شريط الفيديو، كما طلب مني ومن دكتور عباس تسجيل حلقات أخرى فوعدنا خيراً...

محاضرة مع طلبة الدراسات الجامعية تتضمن نبذة موجزة عن مفهوم الإنجاز، ثم حوار مفتوح أتلقى فيه كمّاً جيداً من الأسئلة الطيبة، أجيب على بعضها ثم ما يلبث ضيق النفَس والتشنج العضلي أن يبلغا بي حافة الإعياء فأعتذر عن الاستمرار... أتجه مجهداً إلى الفندق، حيث أتناول الطعام وأرتاح فأحس باستعادة سويتي... قيلولة عميقة نوعاً ما ثم جولة تخطي سريعة في الهواء الرقيق وشرب الشاي... والتوجه إلى قاعة الجامعة لإلقاء محاضرة عامة بترتيب من اتحاد الطلاب عن (الحضارة الإسلامية: البحث عن المغزى)...

أُستقبل بترحاب بالغ ويتدفق عدد من الأساتذة يسخون في تقييمهم لمكانتي ومؤلفاتي... وما يلبث الكهرباء أن ينقطع فننتظر أكثر من ساعة، ويبدأ القلق والتوتر يداعباني، وأدخل في حوار مع أستاذ سوداني وأحد الحضور الجزائريين، وأحسّ بشيء من ضيق النفَس والإعياء وأعتذر عن إلقاء المحاضرة دون جهاز تكبير، ثم ما يلبثون أن يشغلوا المولد وتبدأ المحاضرة التي أتدفق فيها رغم أن إحساساً بعدم الإبداع يهمين عليَّ، ووهماً مزعجاً بعدم شد الانتباه يحيك في نفسي، فضلاً عن الإيقاع السريع الذي آليت على تجاوزه فلم أقدر.

ولكن تعقيب الأساتذة يلغي كل هذه الظنون ويقيّم المحاضرة تقييماً سخياً حاراً فيما لم أكن أتوقعه، ويقول أحدهم أنه أستمع إلى أروع محاضرة في حياته، وقال آخر أنها وضعته لأوّل مرة على الطريق الصحيح في فهم فقه الحضارة، وضرورة اعتماده في الدراسات المختلفة، وكلمات عديدة أخرى من جامعيين ذوي مراكز، فضلاً عن تقويمات المشرفين من الطلبة على الحفل...

وأغادر القاعة وسط توديع حار من الحاضرين، وأعود مرتاحاً منسجماً إلى الفندق... أتناول العشاء وأعود إلى الغرفة لاستكمال بعض المطالب وممارسة شيء من القراءة ومشاهدة فلم (أفواه وأرانب) وسط إغراء النوم.

الخميس: الفطور بشهية وجلسة مسترخية تحت الشمس عند النافورة بانتظار محرّري جريدة الإنقاذ ومجلة الملتقى، حيث يجيئون ويجري لقاء صحفي ودي وهادئ ومتنوع ومترع بالحوار الخصب في سياقات التاريخ والمنهج والأدب والحياة الشخصية. ويتم تبادل العناوين وأطلب منهم بعد إذ عرفت توجهاتهم الأدبية المشاركة في (أصوات) فيرحّبون...

جولة التخطي قبل الغداء، ثم التهيؤ للرحلة إلى محاضرة القطينة، حيث تقلنا سيارة ممتازة عبر طريق مشاكس مزعج إلى المكان على بعد ثمانين كيلومتراً... نصلي المغرب في جو بارد وأبدأ المحاضرة وسط تقطع في القوة الكهربائية عن (الإنجاز في عصر الرسالة) يأخذ سياقاً تأثيرياً، ويقابل بالتكبير، ثم تعقبه بعض المناقشات أعلن عن وقفها خشية أن تقودنا إلى تفاصيل مرهقة ولا لزوم لها.

نغادر المكان بتوديع حار، وأصل الفندق على قدر كبير من الإعياء ومتاعب في جلد الوجه بسبب الجلوس في الشمس الساعات الطوال... ألتهم بعنف دجاجة مشوية بنهم، حيث يقتحم عليَّ العشاء عدنان بشير وأصحابه، فندخل في حوار منوع خصب، ثم أودعهم وأتجه إلى الغرفة تهيؤاً لكتابة المذكرات والقراءة والنوم... وأنا عبر هذا كله لا أزداد إلا اقتناعاً بأن هذه من أروع الرحلات الخارجية في حياتي، فحمداً لله...

الجمعة: أمجد محمد سعيد يقتحم عليَّ الفطور، وتدور أحاديث ذوات شؤون وشجون ثم يجيء عدنان وصديقه فنتفق على موعد الغداء عند أمجد... ونتجه لجولة طيبة في مناطق الخرطوم، التي بدا أنني أخذت أسيطر عليها... الصلاة في مسجد الجامعة وسط مداعبات النوم والمغادرة إلى الفندق، حيث يجيئنا أمجد فنتجه إلى بيته لتناول غداء دسم وإدارة أحاديث شتى... أعود

إلى الفندق للقيام بجولة المشي السريع، والعودة للارتياح في الغرفة لحين موعد مجيء عدنان، والذهاب إلى الشقة لتناول العشاء والتحدث في مواضيع شتى...

أعود بسيارته إلى الفندق وأنا أحسّ بشيء من الإعياء والملل، بسبب حديثه المتواصل الذي لم يعطني فرصة للارتخاء... نسيت أن أقول بأن أمجد أشار إلى دعوة ستوجه إليَّ من مؤتمر عن الفن الإسلامي ستقيمه مؤسسة إعلامية في الربيع القادم، وأنه طرح اسمي لمسؤول المؤتمر فأعلمه بأنه سبق وأن رشحني للأمر... أقول لأمجد إنني أعتذر مقدماً بسبب مشاق السفر، لكنه يعارضني ويقول أن الأفضل أن أقبل الدعوة، ويمكن فيما بعد أن أعتذر عنها إذا لم تسنح الظروف...

ثمة دعوة أخرى تلقيتها لدى عودتي ظهراً إلى الفندق من أحد منظمي ندوة الزكاة ستفتح غداً في قاعة الصداقة، أوافق عليها وأتفق مع مسؤول العلاقات في الجامعة على موعد محدد غداً صباحاً لحضورها بإذن الله... فضلاً عن محاضرة سيحدد موعدها مستقبلاً إن شاء الله... نوم متقطع وعودة المتاعب مع آلام الأذن اليمنى...

السبت: الذهاب إلى قاعة الصداقة لحضور حفل افتتاح مؤتمر الزكاة، حيث أُستقبل بحفاوة بالغة، ويصرّ المستقبلون على أن أجلس في الخط الأول، ثم يأتي من يطلب مني التحوّل وأحد كبار المشاركين إلى القاعة التي يجلس فيها الوزير، حيث يجري حوار ودي، ثم نتوجه للقاعة للاستماع إلى الكلمات، حيث يشار من قبل اثنين من المتحدثين إلى ترحيبهم بحضوري شخصياً من بين سائر الحاضرين، فالحمد لله على فضله ومنته.

أغادر القاعة بمعية السائق الذي لحقني إلى هناك صوب الجامعة لإلقاء محاضرة في منهج البحث تتسم بالنجاح التام والانسجام والمشاركة، لولا أن تحاصرني متاعب الإعياء وضيق النفس والتشنج العضلي، فأغادر القاعة بعد ساعتين في أشدّ حالات التوتر والإعياء...

بعض الوقت في غرفة مسؤول الشؤون العلمية، حيث يؤكد طلب الجامعة تقديم اقتراحاتي بصدد مناهج قسم التاريخ المقترحة لمرحلة البكالوريوس... لقاء بأكثر من تدريسي وتقويم سخي، وترتيب لموعدين جديدين أحدهما إلقاء محاضرة في جامعة الخرطوم وآخر محاضرة أخرى في جامعة إفريقيا، حيث أتحدث مع مديرها هاتفياً لتحديد عنوان المحاضرة، فيلتمس مني كلمة أخرى بعد صلاة الظهر ودعوة على الغداء... مدير شؤون الطلبة الدكتور محجوب يقول أنني أتعبت من سيجيء بعدي بما قدمته من عطاء، فحمداً لله...

العودة إلى الفندق وتناول الغداء تعقبه قيلولة يقطعها أمجد محمد سعيد بدعوة من السفارة لحضور حفل عشاء بصحبة وفد علمي قادم من بغداد... أقلق بعض الشيء لاحتمال تعارضها مع اجتماعي بأساتذة التاريخ في مركز بحوث الإيمان... وبالفعل فإن المركز سرعان ما يتصل بي ويطلب حضوري بمعية السائق الذي أرسله، ولكن وبعد وقت من القلق ومحاولة الاتصال الهاتفي الفاشل بأمجد لتحديد الموعد يتبين أن معظم المدعوين لم يحضروا بسبب مصاعب الطريق فأحمد الله. واكتفيت بكلمة موجزة لعدد من الأساتذة والحضور لغرض النقل التلفزيوني...

أتناول الفاكهة والمرطبات، وأدخل في حوار ودي مع عدد من الأساتذة، ثم أغادر المكان بمعية مديره الجديد إلى الفندق، لكي ما يلبث أمجد أن يقلني إلى دار السفير، وسرعان ما أحسّ بارتياح عميق إذ يتبين أن الدعوة اجتماعية صرفة... وحيث يتم التعرف على السفير وتناول عشاء لذيذ، وتبادل الحديث مع عميد كليتي الذي قدم مع الوفد... وآخرين...

أعود إلى الفندق في حالة انشراح نفسي وأواصل العمل في استكمال المقترح بصدد مناهج التاريخ لجامعة القرآن، والذي كنت قد بدأته بعد صلاة المغرب. وثمة ما أود أن أشير إليه وهو قيامي بجولة تخط سريع قبيل الغروب، وحديث لأحد العاملين في مركز البحوث عن تهيئتهم لي نسخة فيديو مصوّرة لمحاضرتي عن (إسلامية المعرفة) فحمداً لله...

الأحد: الذهاب إلى الجامعة وارتياح لحلّ قضية الدراسات العليا لاثنين من الذين توسطوا بي حول الموضوع... تعقبها المحاضرة الأخيرة لطلبة الدراسات العليا عن (الأدب الإسلامي)، يحضرها عدد من المعنيين من خارج الجامعة، وأشعر فيها بتمكن تام وبعرض عميق ومؤثر وبتجاوز للإعياء المعهود، الذي طالما تناوشني في محاضرات كهذه، فحمداً لله...

لدى المغادرة ألتقي بالعديد من الأساتذة والطلبة وأتلقى تقويماتهم السخية... وثمة يمني يطلب لقاءً... وأستاذ يهديني اثنين من كتبه ويحضر المحاضرة المذكورة... وثمة وعد من مسؤول العلاقات بتوفير كافة الأشرطة المسجلة للمحاضرات لكي آخذها معي إلى العراق... ودعوة أمانة مجلس الوزراء للقيام بزيارة لهم... وإعلان كبير عن الأمسية الشعرية يتصدره اسمي (بحمد الله وحده)

كما أنني أقوم بترتيب كافة المواعيد وتنسيقها في جدول العمل مع مدير العلاقات، وأحسّ بارتياح عميق، فضلاً عن أنني نجحت في اعتذاري عن محاضرتي خارج الخرطوم وما تنطوي عليه من متاعب الطريق والإعياء... أسلّم ورقة المقترحات الخاصة بالدراسات الأولية لشعبة مقترحة للتاريخ والحضارة الإسلامية، وأثبت موعد لقاءين تلفزيونيين آخرين في مواعيد مناسبة... وأجلس قليلاً في غرفة مدير الجامعة ثم أصلي الظهر في مسجدها الأنيق، وأغادر إلى الفندق في أقصى حالات الانسجام والارتياح النفسي...

أتناول الغداء وآخذ قيلولة متقطعة، ثم أستيقظ لأقوم بجولة التخطي صوب الجهة الجنوبية من برّي هذه المرة، وأنا أقول في نفسي إن هذا لهو أسعد يوم في رحلتي كلها بحمد الله...

أرجع لأداء صلاة المغرب والاتصال الهاتفي بأزهري لتصفية الأمور المعلّقة، فيعطيني وعداً معلّقاً بسبب كثافة مشاغله... أشرب الشاي في الصالة وأهيئ نفسي بسهولة لمحاضرة يوم غدٍ في جامعة إفريقيا، ثم أخرج لجلسة

استرخاء عذبة في حديقة الفندق عند النافورة، حيث أسترجع القصائد الأربع اللواتي سألقيهن غداً إن شاء الله...

بعدها أتناول عشاءً طيباً من (الكبدة) و(الموز)، ثم أجلس كرةً أخرى في الحديقة لكي أستعرض رحلاتي الإحدى والعشرين، وأحدّد اللواتي ارتحت فيهن من اللواتي احترقن عليَّ لسبب وآخر، فيتبين أنهن لم يتجاوزن السبعة!

في العودة ألتقي بأحد مسؤولي مؤتمر الزكاة فيسلمني دعوة للقاء بالمشرفين عليها لكي يشرحوا لي أبعاد التجربة... ثم أعود إلى الفندق لكي أتابع التلفاز وأصفي المعلّقات الكتابية...

الاثنين: جلسة تحت الشمس بعد الفطور بانتظار سيارة جامعة إفريقيا... يجيئني السائق ونتجه إلى الجامعة... استقبال حارّ مترع بالتقييم والودّ من رئيس الجامعة والأساتذة كافة... إلقاء محاضرتي عن الأدب والتاريخ أمام طلبة الدراسات العليا وعدد كبير من الأساتذة ورئيس الجامعة بتمكن وربط محكم واقتناع تام بالأداء فالحمد لله، تعقبها تقويمات سخية من الأساتذة والطلبة ومناقشات ودية خصبة نتجه بعدها لشرب الشاي وتعميق التعارف مع التدريسيين، لكي ما تلبث السيارة أن تقلني للاطلاع على منشآت الجامعة: المكتبة والمطبعة وورشة الفنيين...

قبلها كنا قد أدينا صلاة الظهر، حيث طلب مني إلقاء كلمة موجزة أمام الطلاب، فألقيت الكلمة عن الإنجاز وأهميته الحضارية بتمكن تام فالحمد لله وحيث قوبلت بترحاب بالغ...

بعد الجولة في منشآت الجامعة عدت إلى غرفة رئيس الجامعة لأتبادل معه الحديث بانتظار الغداء... كان الجوع قد هدّني، وهناك في الصالة قبيل تناول الغداء تعرّفت على المزيد من التدريسيين والرجالات ذوي المراكز المهمة في السلك الخارجي ومؤسسات الدولة القيادية... تناولت الغداء بشهية وعدنا لنشرب الشاي، ولكي يصطحبني أزهري إلى الفندق حيث يؤكد ترحيب

الشيخ الترابي بزيارتي، وإعراب أمين مكتبه عن تتلمذه على كتاباتي وقراءاته لها كافة...

تحدثنا في أمور كثيرة أخرى وأهديت مركز الأبحاث عدداً من مؤلفاتي (التفسير، والسيرة، وإطار عام)، واقترحت عليه اعتمادها في مشروع تأصيل الكتاب الجامعي فرحب بالفكرة...وأشار إلى محاضرتي عن (إسلامية المعرفة)، وأن أسلوبي في المحاضرات يعكس أسلوبي المكتوب نفسه دون أي خلاف...

جاءني السائق وأقلني إلى الجامعة بانتظار موعد الأمسية الشعرية، رأيت عدداً قليلاً من الحضور فاكتأبت بعض الشيء وعندما توجهت إلى قاعة الأمسية لم أجد هناك عدداً يذكر، وما لبث رد الفعل أن منحني الاستسلام للفرح وبعدم التشبث مستقبلاً بأنشطة كهذه... ولكن الحضور ما لبثوا أن تدفقوا وازددت ارتياحاً لإقناع مدير الأمسية بإبقائي كآخر من يقرأ شعراً. وبدأ الشعراء: إمام الشيخ ودكتور محمد صالح ودكتور محجوب. وكنت في أقصى حالات الانسجام والفرح...

وعندما جاء دوري لم أكن أتوقع أنني سألقي القصائد الثلاث بهذا التمكن والأداء الموسيقي والقدرة التأثيرية دونما جلبة ولا صراخ... كنت أتشرب الإحساس بالانتصار لحظة بلحظة...

عندما انتهيت تلقيت التقويمات السخية... وانهال عليَّ الحضور: مندوبو مجلة الأمة الفلسطينية يطلبون موعداً للقاء صحفي... ومثقف فلسطيني يطلب لقاءً... وأحد معاوني مدير الجامعة يطلب تحديد موعد المحاضرة في فرع الجامعة في مدني، وأستاذ ثان يطلب تقديم مقترح بصدد تدريس التاريخ في كلية اللغة العربية... وأستاذ آخر يطلب تحديد موعد للمقابلتين التلفزيونيتين ورابع عن الموعد مع أمانة رئاسة الوزراء... بلغت حد التشتت رغم أنني رتبت المواعيد جميعاً...

أعود إلى الفندق مشتتاً مكتئباً بعض الشيء، وأتناول سمكاً غارقاً في الدهن السائل فتشمئز نفسي، ثم أعود إلى الغرفة وأنا أتوقع أن أقضي

الساعات مع أكداس الأعمال الملحّة، فيما ذكرني بجحيم رحلتيَّ المضنيتين إلى الأردن... لكنني ما ألبث بعد ساعتين من العمل أن أسيطر على الموقف وأن أحجّم المطالب جميعاً... ويبدو أن شوقي للعودة إلى الديار والاسترخاء هناك وبدء صفحة جديدة من منح نفسي مساحات أوسع في الراحة، وتجاوز الشد العصبي؛ يبدو أنها بدأت تداعبني رغم أنني لا زلت مقتنعاً بأن هذه الرحلة هي واحدة من أجمل الرحلات وأخصبها وأكثرها تحققاً في حياتي...

الثلاثاء: أستيقظ بعد نوم متقطع مترع بالأحلام المضطربة وآلام الأذن اليمنى... أنجز بعض الأمور الكتابية بعد الفطور بصدد مقترحات أزهري الطلابية، فأحس بارتياح بانتظار السيارة التي ستقودني إلى أمانة الوزراء لإلقاء محاضرة هناك... استقبال طيب وحوار بانتظار بدء المحاضرة التي حضرها معظم الموظفين وهم عدد جم... ألقي محاضرة اخترت لها عنوان (حديث في التحديات الحضارية) بتمكن وهدوء وتسلسل محكم، وأحسّ تماماً بتحقق عميق وأجيب على الأسئلة بالصيغة نفسها...

أتلقى تقويمات سخية، وأصلي الظهر، ثم يعيدني السائق إلى الفندق لأتناول الغداء وأخطف قيلولة متقطعة بسبب الحر الذي ألاحقه بالايركندشن، ثم أتجه بسيارة أخرى لإلقاء محاضرتي في مخيم الشرطة الشعبية... حديث خصب عن الاقتصاد وأمور أخرى عبر الطريق، ثم استقبال بالتهليل والتكبير لدى الوصول، وتقديم سخي يعتبرني صاحبه من مؤسسي هذه التجربة في سياق الدفاع عن الذات وهتافات أخرى تضعني للسبب إياه في دائرة الضيق والحرج..

وأبدأ المحاضرة التي أعدتها مراراً بالنظر لعلاقتها بصميم المطلوب مضيفاً إليها هذه المرة البعد التأميني... ثم تدور أسئلة شتى ونصلي العشاء ونعود إلى الفندق... كنت سعيداً منسجماً، وقمت بجولتي في المشي لأول مرة في الليل مع الهواء الطلق توجهت بعدها للعشاء، وثمة مكالمة من عدنان بشير لتحديد عنوان محاضرة الجمعة... أعود إلى الغرفة وأجد في الكتابة والعمل

الباب الذي ألجأ إليه دائماً ليتجاوز بي القلق والتشتت وكل المنغصات الأخرى، فحمداً لله...

الأربعاء: نوم عميق غير مسطح منذ زمن بعيد... أستيقظ مبكراً فأنا على موعد مع تسجيل تلفازي... أتناول الفطور بمعية السائق وأتجه إلى الجامعة ومنها بمعية دكتور عباس إلى التلفزيون، حيث نفاجأ بعدم تثبيت موعد مسبق. ولكن أحد المعنيين يتنازل عن دوره مشكوراً، فنتجه إلى الاستوديو وهناك يلحق بنا دكتور محمد ونبدأ تسجيل حلقة أخرى عن (الحضارة والتاريخ والمنهج والأدب)...

أعود إلى الجامعة وجلسة ودية في غرفة المدير وقراءات شعرية من عدد من الأساتذة المتمرسين وتقويمات سخية، وتسلّم لعدد من مجلة فلسطين المسلمة يتضمن مقالاً لي... وثمة اثنان من العاملين في كلية مدني يصلان ويؤكدان معي موعد ذهابي إلى هناك يوم السبت. وإذ كنت قد ملت إلى السفر إلى مدني واستبعاد السفر المجهد إلى بخت الرضا بسبب بُعد الشقة؛ فإنني وعدتهم سعيداً بذلك، وازددت سعادةً بإقناع دكتور عباس على اصطحابنا في السفر. والرجلان يعربان عن الترحيب بي ولهفة الطلبة على زيارتهم...

السائق يخبرني أن إعلاناً في التلفزيون وآخر في الإذاعة أشارا إلى محاضرتي في رابطة النساء، وأن المكان تغيّر بسبب زيارة البابا... والمسؤولة النسائية ترتب مع مدير العلاقات لافتات عن المحاضرة... والأخير يعلمني بأنه ثمة موعد لتسجيل آخر في التلفزيون... ثم أغادر مع السائق عائداً إلى الفندق، لكنني ما ألبث أن أتلقى رشقة من الندم الشديد، فأقول للسائق أن يتريث، وأعود إلى مدير العلاقات فأصطحبهما معي إلى التلفزيون قائلاً إنني آليت على نفسي ألّا أرفض طلباً لأنني لا أضمن عودة أخرى إلى السودان...

هناك في أروقة مديرية التلفزيون أجلس بانتظار تهيئة الاستوديو، وألتقي بعدد من الأخوة السودانيين ذوي الماضي الدعوي والعسكري والعطاء الشعري، فأسمع منهما شيئاً من الشعر، وأتفق مع مقدم البرنامج على تسجيل عدة

حلقات بما فيها حلقة قراءات شعرية. ولكن انتظار إعداد الاستوديو يطول كثيراً فيبدأ صبري بالنفاد، ثم ما يلبث المعدّ أن يصطحبني إلى هناك حيث نسجل حلقة عن (الإنجاز في عصر الرسالة)، وأخرى عن (التحديات الحضارية)، وثالثة عن (إعادة كتابة التاريخ).

لكن الذي أزعجني وأقلقني ووقف حائلاً دون تقديم حلقات مبدعة، أن التسجيل توقف لأكثر من مرة بسبب تلقي أخبار من الأقمار الصناعية بخصوص زيارة البابا، فضلاً عن إعياء الفريقين وعدم رغبتهم في التعاون مع المعدّ... ثم إذ ما لبثوا أن طلبوا الاكتفاء بتسجيل آخر حلقة تتضمن قصيدتين فقط من الشعر قرأتهما على عجل وغادرت الاستوديو غير مرتاح.

ثم ما لبثت أن بدأت معاناة أخرى: انتظار السيارة التي ستعيدني إلى الفندق بعد مقابلة مع وزير الإعلام، وحديث معه حول البرامج التلفزيونية، وضرورة عدم تغييرها الفجائي، والتدرّج مع المواطنين ومسائل أخرى عديدة من مثل الاكثار من البرامج الترفيهية، لكي لا يرتبط الإسلام بالجد والصرامة، ومن مثل ضرورة تقليص المساحة الزمنية للبرامج التي تعتمد الحوار وحده... الخ.

رحب الوزير بي أشد الترحيب ثم ما لبث أن ودعني وانصرف إلى أحد مواعيده... بعد أن عرفني بالمدير العام... بعدها انتظرت السيارة طويلاً وراح الجوع يفتك بي والعصبية تتناوشني وتحفز وجع الصدر للانقضاض، فقمت ثائراً أقول إن لم يكن بمقدور المعد أن يجيئني بها فسوف أرجع وحدي...

وجاء أخيراً برفقة أحد كبار المعنيين، حيث أوصلني إلى الفندق عبر جولة من الحوار في شتى الأمور... تناولت غدائي واتجهت إلى الغرفة مرهقاً وأخذت قيلولة خاطفة بعد مكالمة هاتفية من وضاح خنفر تّم الاتفاق فيها على موعد مساء يوم غدٍ...

جاءني السائق وأقلني إلى صالة المحاضرة في الجامعة... لم يكن عدد النساء كبيراً، وزادني انزعاجاً عدم إحكام جهاز التوصيل. لكنني ما أن بدأت

الكلام بالصيغة الهادئة غير المتسرعة، التي قررت أن اعتمدها بدلاً من أن يجرفني الكلام السريع كشأني في معظم الأحيان، حتى بدأت النسوة تتقاطر. كما جاء عدد من الأصدقاء والأساتذة؛ الأمر الذي دفعني إلى حالة الإبداع وتقديم محاضرة محكمة، لولا الانزعاج الذي كانت تسببه دخول المدعوات بين حين وآخر؛ الأمر الذي يضطرني إلى التوقف...

أنجزت محاضرة من أشد المحاضرات إحكاماً، وكنت مقتنعاً بها بحمد الله ولقيت تقويماً سخياً، وأعربت لهم أنني بسبب إعيائي فلن أجيب على أكثر من ثلاثة أسئلة... وغادرت القاعة بعد أن أعلنت لهم عن تلمّسي العذر لهن بعد التأخر بسبب تغيير المكان وصعوبة المواصلات. لكنني ما لبثت بعد مغادرة القاعة أن ندمت على إلحاحي عليهن باللوم.

وثمة دعوة وُجهت إليَّ من دكتور خاشع الراوي لتناول العشاء بمعية عدد من الأصدقاء... كانت الجلسة طيبة أعادني بعدها إلى الفندق، وعدت إلى غرفتي وأنا أحسّ بالقلق والتشتت والاكتئاب، الأمر الذي ذكّرني بأيام الرحلات القديمة القاسية، وانفجر ندم آخر على إجابتي القاسية لأحد السائلين عن الفتنة في التاريخ بعد أن اطلعت على بقية سؤاله المترع بالتقويم... لكنني ما لبثت أن انغمرت في كتابة المذكرات والعمل فنسيت كل همومي...

يبقى أن أشير إلى منبع قلق جديد، وهو إشارة الراوي إلى ضرورة تناول قرصين ضد الملاريا لأنها تصيب معظم القادمين إلى السودان!!... تصفّح لمجلة الأمة الفلسطينية لاتخاذ قرار بصدد المقابلة الصحفية، وارتياح للميل إلى الاعتذار عنها بسبب ما تتضمنها المجلة والدورية المرفقة بها من مؤشرات حاسمة تدفعني للاعتذار...

الخميس: التوجه صباحاً إلى جامعة القرآن وجلسة ودية في غرفة مسؤول الشؤون العلمية، ثم التوجه إلى كلية آداب جامعة أم درمان لإلقاء محاضرتي، حيث أُستقبل بحفاوة بالغة من قبل العميد ورئيس قسم التاريخ وعدد من التدريسيين... وبعد حوار منوع نتجه إلى القاعة لإلقاء محاضرتي عن رؤية

جديدة لتدريس (الحضارة الإسلامية)، التي كانت واحدة من أروع ما قدمته في حياتي، والتي كنت مقتنعاً بها تماماً؛ والتي أعقبت تقويمات سخية، حيث أشار معظم الأساتذة إلى أنها أروع محاضرة سمعوها في حياتهم،وأشار آخرون إلى أنهم كانوا ينتظرون طرحاً كهذا، وأنهم سيتخذونه منهاج عمل في أنشطة الدراسات التاريخية الحضارية. وقال آخرون أن رؤيتها المنهجية تحتم أن تمضي إلى سائر المعارف الإنسانية...

لكنني إذ أنجزت المحاضرة كنت أحسّ بإعياء شديد وضيق في النفس وثمة دوار خفيف كاد أن يداعبني، ولذا اعتذرت عن الإجابة عن الأسئلة... فيما عدا اثنين أو ثلاثة... غادرت القاعة لأودّع بحفاوة يصعب وصفها، وأتجه بمعية مدير الشؤون العلمية إلى الجامعة، حيث صلاة الظهر واللقاء بمندوبي كلية (مدني)، الذين أكدوا بأنهم حشدوا عدداً ضخماً لمحاضرتي يوم السبت... وأن معظمهم من قرأ لي...

يدعوني مدير الجامعة ليعتذر عن كثرة مشاغله التي منعته من كثرة اللقاء بي... ويعرض عليَّ الإشراف على عدد من طلبة الدراسات العليا على أن أزور السودان عدة مرات في العام... كما يدعوني للمجيء بعائلتي أستاذاً زائراً لعام كامل، فأعتذر عن الثانية، وأوافق على الأولى شرط أن تستأنف الرحلات الجوية من بلدي العراق بسبب مصاعب السفر في البر...

وثمة محاولة لتغيير موعد محاضرتي في جامعة الخرطوم بسبب سفري إلى مدني، تنتهي بالإخفاق لأن التدريسيين يوم الأحد لا يتواجدون في الكلية... أتجه بمعية السائق (مقبول) إلى الفندق وينفجر الإطار الأمامي في الطريق، ولكن الله يسلّم بمنةٍ منه وحده... أتناول الطعام وأنا أحسّ برغبة عاتية في النوم، ثم ما تلبث قيلولة عميقة أن تسلمني للنوم أستيقظ بعدها لأقوم بجولة مشي في طريق الفندق، وأعود لأنتظر السائق كي يقلني إلى دعوة العشاء التي يقيمها مدير جامعة أم درمان... يجيئني طالبان يمنيان لتأكيد موعد للقاء بمجموعة منهم فأجد في الأحد متسعاً... كما يتصل بي أزهري حول تثبيته

موعداً مع الشيخ الترابي يوم السبت فأعلمه بارتباطي وأطلب تغييره إلى وقت آخر فيعدني باللقاء مساءً لترتيب الأمر...

أصل إلى استراحة الجامعة فأجد المكان قد أعد في الهواء الطلق فيتلقاني المدعوون ومدير الجامعة بترحيب عميق، وأدخل في حوار مع أستاذ جراح حول النبوءات التاريخية في السنة الشريفة... ثم يجيء أستاذ زائر من آل الزحيلي هو الدكتور محمد مدعواً هو الآخر فيعرب عن تقديره من خلال قراءته لكتاباتي. نتناول عشاءً لذيذاً ثم يجيء دور الكلمات، حيث يبدأ مدير الجامعة بتقويم سخي يصعب وصفه ويثني بي لألقي كلمة هادئة تناولت فيها العديد من الأولويات المهمة وتحدثت عن «المحبة السودانية»، و«أبعاد التجربة» وأحسست لسعادتي بالاقتناع بها والحمد لله...

تحدث الضيف الزحيلي واستشهد بي أكثر من مرة، ثم أعقبه مدير جامعة القرآن الكريم فأشاد بي وسخى في تقويمه... كنت أحسّ بصفاء نفسي وسعادة عميقة وإحساس بالتحقق نادراً ما استمتعت بها، وزادني سعادة هذا الدفق من المحبة لي ولكتاباتي وهذا التأكيد على دوري في الساحة الفكرية، والذي أعتبره أعظم هدية أتلقاها لأن محبة الناس من محبة الله ﷻ وأي ناس؟ إنهم طليعة الفئة المثقفة إسلامياً، فالحمد لله...

طلب مني أيضاً أن أقرأ قصيدة فألقيت (والموعد لله) بتمكن وهدوء... ثم أعقبت بوصلات وقصائد أخرى من آخرين. وقمنا لنغادر المكان، فعرض عليَّ مدير جامعتي أن أرشح كتاباً لكي يهديه لي فوقع اختياري على القرطبي، فوعدني بإرساله على عنواني بوسائله الخاصة فأجبته أنها هدية العمر... أستاذاً آخر قادم من أمريكا أشار إلى كتاباتي وقال مؤكداً أن كل الذين قرؤوها أبدوا تقويمهم ومحبتهم فحمداً لله...

أزهري قام بزيارة عابرة ليسلمني فيديو محاضرتي في قاعة الشارقة ويعد بلقاء آخر... أودع المدعوين بالحفاوة نفسها، ويتحفني الشيخ حسن (الضرير)

ذو الصوت المترع نداوةً والماضي الإيماني العميق، بمحبة فأحتضنه بدوري وأنا أحسّ بدفق الإيمان يسري في كياني...

يعود بي السائق إلى الفندق لتستقبلني مكالمة من مندوبي مجلة الأمة لتثبيت موعد اللقاء صباح الغد إن شاء الله... أظل لابساً بدلتي لأنني على موعد مع وضاح خنفر وأزهري تيجاني، لكن الوقت يمر فلا يأتيان... أذهب للمطعم لتناول طبق من الفاكهة ثم أعود إلى الغرفة لمواصلة الكتابة والقراءة حتى ساعة متأخرة من الليل...

الجمعة: الذهاب لتناول الفطور، وعودة إلى الغرفة لمشاهدة اللقاء التلفزيوني حول (إسلامية المعرفة)، ولكنه يتأخر عن موعده لأكثر من ساعة، ويتزامن مع مجيء مندوبين عن مجلة الأمة، فأدخل دائرة الانفعال ولكني ما ألبث أن آخذ المندوبين إلى صالة الفندق لمشاهدة الحلقة التي لم أدرك بداياتها الأولى، وأحسست بارتياح عميق وأنا أتبين توفيقي في الطرح على خلاف ما كنت أتصوّره...

نجلس في حديقة الفندق، وتدور أحاديث خصبة في التاريخ والأدب والنشر، وأتلقى أسئلة شتى أجيب عليها بإيغال بعد أن بينت لهما رغبتي في عدم النشر واقتنعا بها، كما تمت ترتيبات عديدة حول دورية (أصوات). وعرضا عليَّ الموافقة على دعوة من إحدى المراكز الثقافية في الغرب فاعتذرت عنها، كما التقطنا صوراً عديدة...

ومن بين الأسئلة التي طرحت: الأسباب التي دفعتني إلى كتابة (دراسة في السيرة) هذا الكتاب المناسب للطالب الجامعي الذي يدرّس الآن في فلسطين وغيرها من البلدان... وسؤال عن الكتابات التي أثّرت فيّ، وعن الدوافع الأساسية لتوجّهاتي الإبداعية، وعن الروائي والقصاص الأوّل في الساحة الأدبية، وعن درويش والملائكة والسياب والشعر الحرّ، وعن أكبر شاعر عراقي معاصر... وعن أهم كتاب لسيد أثّر فيّ، وعن الشروط الأساسية للتعامل مع التاريخ الإسلامي، ومسألة الرد على هجمات الاستشراق... وعن تقويمي لحركة

الأدب الإسلامي المعاصر ونقاط قوته وضعفه، وأشار أحدهما إلى احتمال نشر بحثي عن (الإسلام والمستقبل) من قبل مركز دراسات المستقبل، كما طلبا عنوان الناشر لإرسال كتبي إلى السودان... الخ

جاءني السائق للذهاب إلى مسجد الجامعة لسماع خطبة الجمعة وأخرى للدكتور الزحيلي... سلام على الشيخ الترابي الذي لقيته هناك، ثم أتوجه إلى حدائق الزهراء المجاورة وحوار متنوع بانتظار الغداء... مفاتحة مدير الجامعة بطلباتي المعلّقة والاتفاق عليها جميعاً... يعرض عليَّ الرجل أن أقبل هدية أخرى... صندوقاً من الكريب فأعتذر بسبب ثقله ويشير إلى أنه ربما يرتب أمر سفري من عمان بسيارة السفارة فأشكره...

نؤدي صلاة العصر ونتوجه لمائدة الطعام، حيث اعتصرنا الجوع فنلتهم الطعام بشهية، ثم يتم التعارف ويطلب مني إلقاء كلمة، فأحكي عن المحبة السودانية والحلم القديم بزيارة البلد الشقيق. كما يطلب إلقاء قصيدة أخرى فألقي (المحطات الأخيرة) بتمكن وهدوء فتنال التقدير... نستمع إلى قصائد ومقاطع من آخرين في جلسة عذبة في الهواء الطلق ثم نتوجه لزيارة الوزير دكتور إبراهيم أحمد عمر، الذي يستقبلنا بالودّ والتواضع، وأناقشه في عدد من الأمور وتدور أحاديث شتى دون أي إحساس بالتكلف. ويتحدث عن دعوة ستوجه إلي لإعداد ورقة عمل حول القرآن والعلم الحديث من قبل المعهد العالمي الذي سيعقد حلقة دراسية في الخرطوم في الصيف القادم، فأعرب له عن ميلي إلى الاعتذار واحتمال مشاركتي عن طريق المراسلة...

نودعه على عجل للحاق بموعدي في الفندق ومنه إلى مسجد في الرياض لإلقاء محاضرتي... لم أجد عدنان بشير فأتصل هاتفياً، وفي النهاية أطلب من السائق أن يقلني إلى هناك... أصل متأخراً ولكني أتدارك الأمر وينسحب المتحدث لكي يقدّمني فيتدفق كلامي عن ضرورة الأولويات والمنهج والبرمجة وعما تقدمه خبرة الرسول (ﷺ) في هذا السياق في بناء الإنسان والجماعة والدولة والجيش والوحدة ثم التحول إلى العالمية...

وفي النصف الثاني من المحاضرة أتحدث عن مفهوم اللحظة التاريخية وخطأ الإسلاميين في التعامل مع التاريخ بالمسطرة... كما أتحدث جواباً على سؤال أحدهم عن الوحدة والتنوع ومفهوم الخلافة الواحدة والسلطات العديدة والأممية الإسلامية... الخ. يقوم أستاذ جليل فيعرّفني بسخاء ويشير إلى وضعي نظرية في التفسير الإسلامي قبالة التفسير المادي... وإلى محاضراتي الخصبة عبر الأيام الأخيرة... أتلقى سيلاً من التحيات الحارة والتقويمات السخيّة ودعوات بالبقاء أكثر وأخرى، بإلقاء محاضرات أخرى ولكني أعتذر لضيق الوقت، وأغادر المسجد بمعية وضاح خنفر، لكي نجلس في حديقة الفندق في جلسة حوار؛ كان يداعبني فيها شيء من الكآبة والقلق والحنين إلى البلد... أحاول أن أسجّل نداءً هاتفياً دون جدوى... أتناول عشاءً من الكيك والفاكهة، وأعود إلى الغرفة لكي أغرق في العمل فهو الإسفنجة، التي تمتص كل الهموم وتعيدني إلى التوازن والعطاء، بانتظار الاستيقاظ فجراً للتوجه إلى مدني لإلقاء محاضرتي هناك إن شاء الله...

السبت: الانطلاق فجراً إلى مدني في سيارة مريحة بمعية دكتور عباس (عميد اللغة العربية) والمصوّر التلفزيوني لمركز بحوث الإيمان... الاستقبال الحارّ وتناول فطور لذيذ من السمك وغيره... التوجه إلى مكان المحاضرة، حيث أقيمت السرادقات ومكبرات الصوت وبدأ المدعوون يتوافدون... تقديم مترع بالتقويم ثم محاضرة عن (رؤية جديدة في منهج التعامل مع حضارة الإسلام) أحسّ في أخرياتها بإعياء شديد وضيق في النفس، وثقل في الساق الأيسر؛ الأمر الذي يضطرني للاكتفاء بالإجابة على سؤالين أو ثلاثة... وثمة حشود من الأسئلة المكتوبة أتلقاها وتعليقات قيمة وإشادات سخية من مدير جامعة الجزيرة والعميد وعدد من الأساتذة... يطلب مني أن ألقي شعراً فأقرأ ثلاث قصائد بتمكن وانسياب، وترسل إليَّ طالبتان تلتمسان إرسال نصوص القصائد إليهما، وأتلقى تقويماً طيباً بصدد القصائد...

نتجه إلى مشروع الجزيرة لمشاهدة فيلم عنه والاستماع إلى شروح حول

معطياته، وأحسّ حتى الأعماق بالمزيد من التحقق... نمضي بعدها إلى معسكر للطلبة المتدربين، حيث نستقبل بالهتاف والتهليل والترحاب الحار، حيث يقدّمني عميد الكلية بسخاء، وحيث ألقي كلمة دافئة قبالة المقاتلين تليها دقائق من الأهازيج والأناشيد الحماسية، نشارك فيها جميعاً وسط لحظات من الانفعال والإعجاب...

نرجع إلى الكلية لأداء الصلاة وتناول الفواكه والتوجه بعدها إلى صالة أحد الفنادق الممتازة لتناول طعام العشاء اللذيذ، ثم نقفل عائدين لكي نزور في طريقنا إحدى (الخلاوي) المخصصة لتحفيظ القرآن الكريم لحشود الأطفال والصبيان... أصل الفندق متأخراً لأجد في انتظاري وزير إعلام سابق يسألني عن إمكان العمل الوظيفي في العراق، ويبدي إعجابه بكتاباتي، ثم ما يلبث أن يجيء أمجد محمد سعيد السكرتير الصحفي لكي يودّعني...

أحاول أن أسجل مكالمة هاتفية للموصل... ويزورني في الغرفة اثنان من المعارف ويعلماني بوصول الأقرباء إلى عمان... ينفتح الخط على الموصل فأتحدث مع زوجتي وأحسّ بشيء من الارتياح والاطمئنان... لكن مكالمة من أزهري تدفعني هي الأخرى إلى دائرة التوتر والندم، حيث أنه رتب موعداً مع الشيخ الترابي دون أن يعرف بأنني مسافر إلى مدني... وثمة مطالب شتى يتوجب إنجازها قبل النوم، وبخاصة تنقيح المقابلة الصحفية مع الإخوة السودانيين... أسهر إلى ساعة متأخرة ثم أسلم نفسي لنوم عميق...

الأحد: أستيقظ مبكراً لأداء الصلاة وأميل إلى عدم النوم ثانية انتهازاً للوقت وأنجز التنقيح فأشعر بارتياح، وأجري عدة مكالمات ثم أتناول الفطور وأتجه إلى وزارة التربية لتصفية المعلقات مع أزهري، ومنها إلى إدارة الجامعة لحلّ المعلقات بصدد الدراسات العليا، والتذكرة وتسليم الأوراق المتبقية والخاصة بجهات عديدة... وثمة جلسة مريحة في غرفة مدير الجامعة تدور فيها أحاديث عن العقاد وتقرأ فيها قصائد شتى...

يدعوني مدير الجامعة لمشاركته في محاضرته قبالة طلبة الدراسات العليا

بصدد الحوار الإسلامي ـ المسيحي، فأنتهزها فرصة لتقديم خلاصة خبرتي في الموضوع بعمق وتمكّن أحسّ بهما بارتياح عميق. ويطلب المدير إلقاء بعض قصائدي فألقيها بتمكن وهدوء وأتلقى من الطلبة، ومن المدير وعميد اللغة العربية تقويمات سخية أحسّ معها بتحقق عميق، هذا إلى ورقة مكتوبة تودّعني فيها إحدى طالبات الدراسات العليا بأسلوب مترع بالتقدير والدعاء...

نتجه ثانيةً إلى غرفة المدير، لكي ما ألبث أن أفاجأ بسيلٍ من الهدايا: حقائب من جلد الأفعى... ولوحة من جلد الغزال، وصندوق يتضمن تفسير القرطبي، وآخر من فواكه شتى. ثم ما ألبث أن أتلقى مظروفاً عرفت أنه يتضمن مكافأة نقدية أفتحها فإذا بها ألف دولار وعشرة آلاف جنيه سوداني مع كتاب شكر وتقدير... أحاول أن أعتذر فيقطع المدير عليَّ الطريق ويرغمني على قبول المكافأة الرمزية... أفرح بها في سري والحق يقال فهي تعادل ما يقرب من أربعين ألف دينار فحمداً للّه...

نتجه لزيارة الشيخ الترابي وأنا في أقصى حالات الفرح والتوازن والانسجام... ويزيدني تمتعاً أن تتاح لي الفرصة على مصراعيها للتحدث مع الشيخ في الهاجس الذي كان يلّح عليَّ منذ زمن بعيد، وأن يفتح الشيخ صدره وعقله لملاحظاتي ويدوّنها واحدةً واحدة... مع قدر كبير من التقدير والقبول... أحسّ بأنني أزحت عن صدري عبئاً كبيراً... أودع بالحفاوة نفسها وأتلقى دعوة على العشاء من مدير الجامعة... يوصلني العميد إلى الفندق فأتناول الغداء على عجل وأنتظر عدداً من الشباب اليمنيين ليقلوني إلى المكان الذي سألقي فيه كلمة وأتبادل معهم الأحاديث...

وكان لقاء طيباً آثرت فيه أن يأخذ صيغة الحوار المباشر... أعود إلى الفندق بانتظار السيارة التي ستقلّني إلى دار مدير الجامعة... أتصل من هناك هاتفياً بعدنان وأزهري لتصفية آخر المعلقات... يدور قبل العشاء حوار خصب حول التاريخ ودور الخبرة التاريخية في النشاط الدعوي... نتناول عشاءً دسماً

لذيذاً ونستمع إلى قصيدة وداعية من معاون المدير كان قد كتبها للتوّ بطلب من المدير وحمّلها محبته بسخاء وسمّاها (وداع عماد)...

كنت على إحساسي بالتحقق أحاصر بشيء من الاكتئاب والقلق، فاليوم ليلاً هو موعد مغادرتي، وكم كنت أتمنى أن تكون دعوة كهذه قبل يوم الرحيل... أودع الضيوف وأتجه مع العميد إلى الفندق فأودعه بحرارة وتأثر عميق، وأرتب الحقائب وأحسّ بعد دوامة القلق، بارتياح عميق... لكن معاون العلاقات يتأخر عن موعده، فيحاصرني القلق، ثم يزداد التأخر ويبدأ الوقت يضيّق الخناق عليَّ، وهاجس عدم اللحاق بالطائرة وما يترتب عليه من ضرورة بقائي أسبوعاً بأكمله يدمّر أعصابي...

لا أستطيع البقاء في الغرفة فأخرج أذرع الفناء لا أدري ما أفعل، ثم يدور بخلدي أن أوقظ المدير من نومه فيجيئني ويطلب مني التريث ربع ساعة أخرى وبعدها أتصل به... أهرع إلى بدايات الشارع الخارجي مشدود الأعصاب وأنا أدعو الله من أعماقي أن تجيء السيارة... وما تلبث أن تجيئني بحمد الله، فنحمل الحقائب على عجل ونغادر إلى المطار.

وفي الطريق نلتقي مدير الجامعة بسيارته فيلحق بنا... أدخل بمعيته إلى صالة الشرف، لكي ما ألبث أن أجد السفير العراقي يودع وفداً من العسكريين، أجلس بمعية المدير والسفير، بينما يذهب معاون العلاقات والسائق لاستكمال الإجراءات... أودعهما وأتجه إلى الطائرة بعد أن وضعني في دائرة حيرة من نوع آخر... إذ صادف وأن كان مسافراً الملحق العسكري السوداني، وطلب المدير منه أن يقلني بسيارة السفارة إلى بغداد لحظة الوصول...

احترت كثيراً بين الذهاب مباشرةً إلى بغداد وبين البقاء ليوم في عمان... فثمة مطالب عديدة وتوصيات بمشتريات شتى، يصعب أن أعود بدونها وأن أحمل قلق المطالب إلى الموصل، حيث الاتصالات الهاتفية بالخارج أمرٌ مرير... لكن البرد، وكثرة الحقائب والصناديق تغريني بالاستفادة من الفرصة... وأخيراً وبعد الوصول مع مطالع الصباح وتبيّن ألّا سيارة هناك.

الاثنين: أجدني مرغماً على البقاء وأحسّ بارتياح عميق بعد إذ تجاوزت الحيرة. وتقلني سيارة تاكسي إلى عمان وأضع خطة لليوم: أن أودع حقائبي وأغراضي في جمعية البحوث، وأنطلق إلى مركز عمان لاستكمال المشتريات ومطالب الناشرين والاتصالات الهاتفية، لكني أصل المكان والمحلات جميعاً مقفلة والبرد شديد، ثم ما يلبث المطعم المجاور أن يفتح، فأجازف بوضع أغراضي عنده وأتجه قلقاً إلى مركز عمان... أشتري عدداً من الحاجيات وأزور الناشرين وأتصل بطنطاوي متفقاً معه على موعد وأحسّ بشيء من الارتياح...

ثم أقوم بجولة شراء أخرى أنجز فيها معظم المطالب، وأعود إلى الناشرين، لكي أجد صعوبة بالغة في اختراق المراجعين حول الحج هناك وصولاً إلى الداخل... أتفق مع دار عمار على إعادة طبع كتابين لي (ولاة السلاجقة) و(الشمس والدنس)، وأطمئن على بدء العمل في مؤلفي الجديد (القرآن من منظور غربي)، ويجيئني طنطاوي لكي نتجه إلى جمعية البحوث حيث أتصل هاتفياً بأنس لحل الكثير من الأمور المعلقة وبخاصة المالية، فأحس بارتياح عميق.

ويزيدني فرحاً وارتياحاً مكالمة أخرى، بعد عدة ملاحظات للصالحي في تركيا، حيث يعلمني بردّ الفعل الرائع لمقالي (الرحيل إلى إسطنبول) في الدوائر النورسية، حيث دفعهم لأكثر من مرة إلى البكاء... وثمة أمور معلقة شتى أصفيها مع الصالحي بما فيها وعده باستئناف العمل في دراستي (الجمالية) في كتابات النورسي... يرتب زيد موعداً مساء اليوم مع عدد من طلبة الدراسات العليا، وآخر يرتبه طنطاوي مع حشدٍ من الإسلاميين ليلاً...

نتجه بمعية زيد إلى بيت طنطاوي لتناول غداء لذيذ واستكمال سلسلة أخرى من المكالمات... أعود بمعية زيد إلى الجمعية، فأستقبل بحفاوة بالغة ثم ما ألبث أن أفاجأ بمجيء أولاد العم وهشام الطالب... لقاء حارّ... ثم ما ألبث وهشام أن نعقد ندوة قبالة طلبة الدراسات العليا، يتحدث فيها عن الدعوة وأتحدث عن الحضارة، وأشعر بأننا قدمنا خلالها عرضاً طيباً... تأجيل الحوار

إلى ما بعد صلاة المغرب، وأسمع من ابن العم عز الدين تقويماً سخياً فأزداد ارتياحاً...

نعود لتلقّي عدد من الأسئلة والإجابة عليها بتمكّن، ثم أميل إلى ضرورة زيارة القريبات في فندق المقصورة، ثم التوجّه من هناك إلى موعدي الآخر مع الإسلاميين... لحظات مؤثرة من البكاء الصامت وعز الدين يحكي عن سفر ابنه مروان... استقبال حار في الفندق وأحاديث شتى وإحساس بالارتياح والتحقق، حيث أتولى زمام الحديث، وتتاح الفرصة للقاء بأحمد التوتنجي وملكاوي... أودّعهم جميعاً وأتجه وزيد إلى الموعد، فما نلبث أن نجد أنه لا أحد غير الطنطاوي الذي يقول بلهجة العتاب أننا تأخرنا كثيراً، وأنه كان علينا ـ على الأقل ـ أن نتحدث بالهاتف لإيضاح سبب التأخير، وأن القلق احتوشهم ثم ما لبثوا بعد أن ملّوا الانتظار أن تفرقوا...

أحسّ بندم عميق حتى العظم على ضياع الفرصة وعلى وضع طنطاوي في موضع صعب، فأعتذر وأقول له أنه ليس ثمة ارتياح أو صفاء مطلق، وأن هذه الرحلة علّمتني أنه ما من فرحة في يوم ما إلّا ويوازيها منغّص يمتص دفقها... نلجأ إلى حلّ وسط أن نتصل بقفة وأبي غسان وعدد من الإخوة لكي نقضي الأمسية معهم... يجيئون ويدور حوار ذو شجون، ولكن النوم يحاصرني، فينهضون مغادرين، ويسلّمني أحد محرري (فلسطين المسلمة) مظروفاً بشيء من الخجل والاعتذار، أعرف من ملامح الوجوه ما يتضمنه... أطلب منه ألا يغادر المكان قبل معرفة ما فيه، فإذا به ينطوي على مائتي دولار ورسالة تقدير من هيئة تحرير فلسطين، أحاول أن أرد المبلغ لكنهم يصرّون... أحسّ بشيء من الارتياح في سرّي فها هو مبلغ طيب آخر يضاف إلى الرصيد... أسلم نفسي لنوم عميق مشبع فحمداً للّه...

الثلاثاء ٢/١٦: فطور لذيذ مع طنطاوي وشراء الأدوية وتوديع طنطاوي والتوجه إلى جمعية البحوث... ارتياح عميق وإحساس غامر بالفرح والتوافق بعد استكمال شبكة الاتصالات الهاتفية وترتيب الأمور المعلّقة وتنظيم الحقائب

والصناديق... ويزيدني فرحاً وتخففاً أنني سأرجع إلى بلدي وقد تحرّرت من هموم الاتصالات والأعمال المعلقة وبخاصة معضلة بحث اليونسكو فحمداً لله...

التوجه إلى كراج السيارات وشيء من القلق بسبب عدم العثور على سيارة للموصل بسعر مناسب... وما ألبث بعد نصف ساعة أن أجد بغيتي في سيارة متجهة إلى بغداد...

رحلة مريحة وعشاء في رويشد... وساعات قاسية مع البرد وحرب الأعصاب بسبب مخالفة السائق، والعقاب الذي فرضه المفتش الحاقد بتأخير تفتشينا... ارتياح للتفتيش الميسّر والانطلاق إلى بغداد والحصول على قسط طيب من النوم... الوصول فجراً في جوّ بارد كالسكين، وارتياح بالغ للعثور على تاكسي آخذها بمفردي إلى الموصل، وأحظى بقسط آخر عميق من النوم فلا أحسّ بطول الشقة... حوار وانسجام مع السائق...

الوصول إلى الموصل والاستقبال الدافئ... ودوامة القلق الذي لا بدّ من أداء ضريبته في أعقاب كل رجوع لدى عرض الهدايا والمشتريات، فضلاً عن الإحساس بالتشتت عبر اليوم كلّه، حيث لا أتحقق بالتوحد والاستقرار إلّا في اليوم التالي...

[٢٢]

رحلة عام ١٩٩٣م إلى المغرب

الخميس ٩/٣٠: إنجاز المعلقات بعد قلق أسبوعين، والسفر بالباص وسط احتمال عدم قيامه بالرحلة... اكتشاف انتفاخ للفتقة في بيجي... فحص في الرمادي والتأكد من الفتقة... نوم عميق حتى الفجر... تزايد متاعب الفقرات.

الجمعة: ساعات الانتظار القاسية في طريبيل... هموم الفتقة... متاعب الفقرات... الوصول في منتصف الليل... نوم عميق في الباص...

السبت: التوجه إلى الخطوط الأردنية وسط إحساس بالاكتئاب وضيق الصدر ونفاد الصبر... الحصول على البطاقة والمفاجأة بعدم وجود OK ثم

محاولة تؤول بالنجاح وإحساس بالارتياح... زيارة رضوان دعبول وحل الكثير من المعلقات... توديع الدكتور عبد الواحد ذنون المرتبط بمؤتمر في جامعة اليرموك والتوجه إلى المعهد العالمي...

ساعتان من القلق بسبب عدم القدرة على الاتصال بالمغرب لضمان الاستقبال، ثم الحصول على أحدهم والاطمئنان للمسألة... إنجاز معظم المعلقات وإجراء عدة اتصالات وغداء لذيذ... مغادرة المعهد في الخامسة وسط إحساس عميق بالتخفف والارتياح لولا آلام الفتقة... ساعة ممتعة في أجنحة دار البشير واكتشاف طبعة جديدة لكتابي (مقال في العدل الاجتماعي)... التوجه إلى دوار سكينة في جبل الحسين وتجوال ممتع هناك بانتظار عبد الله الطنطاوي... أمسية طيبة في بيت أحمد رمضان وعودة كئيبة إلى الفندق.

الأحد: نوم متقطع... استيقاظ قلق... ثم إنجاز كل الأمور والتوجه إلى المطار وسط ارتياح عميق... رحلة جوية ممتعة رغم طولها... الاستقبال والتوجه بالسيارة إلى فاس، حيث يقام مؤتمر المستقبل الثقافي لعالم الإسلام، عبر الرباط، وارتياح لموافقة اثنين من المدعوين، ثم إحساس قاس بالغثيان والإعياء وضيق النفس وآلام الرجلين حتى الوصول... فندق فاس الرائع وعشاء طيب ثم صعود إلى الغرفة وسط إعياء بالغ ورغبة شديدة بالنوم.

الاثنين: فطور في الغرفة... نزول إلى الصالة... ارتياح لإنجاز ترتيب جديد لملخص محاضرتي للمؤتمر... التحول للجلوس مع عدد من المدعوين... وانزعاج لآراء الدكتور عاطف العراقي الذي ينفي وجود حضارة إسلامية أصلاً... جولة تخط ممتعة في شوارع فاس... غداء سمك جمبري لذيذ بمعية الدكتور علي القاسمي سكرتير المؤتمر... قيلولة لا تأتي بطائل... القيام بترتيب الأوراق... إحساس بالاكتئاب يدفعني للهروب إلى التخطي... اللقاء في الوقت المناسب مع الدكتور الخطيب واثنين من المغاربة... جولة في السيارة بمعيتهم ثم تجوال ممتع في فاس القديمة لولا ضغوط ضيق النفس... العودة واستقبال

حار من التويجري مدير عام المؤتمر وإعلامي بأنه أكد على الاهتمام بي بشكل خاص... عشاء وسط جلسة طيبة وحوار ممتع مع المغاربة... جولة تخطي أخرى في الهواء الطلق... الصعود للغرفة وإنجاز المذكرات اليومية.

الثلاثاء: فطور في الصالة... التوجه إلى افتتاح المؤتمر... حوار مع الدكتور فتحي الدريني... الافتتاح... لقاء حار بالناقد المغربي الصديق علي لغزيوي (رحمه الله)... شاعر شاب يهديني ديوانه ويحدد موعداً للقاء صحفي... عدد من المثقفين يبدون تقييمهم... لقاء حار بالدكتور أحمد علي الإمام (رحمه الله) مدير جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في السودان، ودعوة منه لزيارة أخرى للجامعة، واعتذار لهذا الموسم وموعد مبدئي للصيف القادم...

غداء مغربي لذيذ في صالة النجمة من القوزي والدجاج والكسكس والفاكهة الرائعة والحلويات النادرة... العودة المرهقة للفندق... استراحة غير مجزية... ومحاولة مكالمة للبشير ـ المستشار الأكاديمي للمعهد العالمي في الرباط... وملاحقات من قبل الدكتور أنس الشيخ علي في لندن... جلسة في الصالة وتكهرب الأعصاب لدى الاطلاع على بحث عاطف العراقي المترع حقداً وكراهية... والذي يصبّ فيه الشتائم الرخيصة على الإسلاميين ويستدعي البوليس المصري لملاحقتهم... فيما يخرج بالبحث عن صفته الأكاديمية...

عرض لمشكلة البحث على اثنين من المغاربة دون استجابة جادة... زيارة لمكتبة القرويين وفاس القديمة وصلاة في جامعها... العودة للفندق وإنجاز عدد من المعلقات واستقبال الغزيوي وصديق آخر، والذهاب لأمسية في بيت الدكتور عباس الجراري بمعية الدكتور أحمد علي الإمام... أحاديث متنوعة لدى تحليل المواقف، والدكتور أحمد علي يطلب قراءة قصيدتي (المحطات الأخيرة)... اتفاق على خطة محكمة لإسقاط عاطف العراقي... العودة إلى الفندق... والإحساس إياه بالتشتت، فضلاً عن القلق الحاد بسبب المطالب المعلقة.

الأربعاء: الاستيقاظ مبكراً وأداء صلاة الفجر... الفطور ثم التوجه إلى قاعة المؤتمر وسط قلق متزايد باحتمال عدم نجاح محاولة إبعاد عاطف

العراقي... إلقاء البحوث وتبيّن نجاح المحاولة وإحساس عميق بالارتياح ومشاركة خصبة في المناقشات... غداء مغربي رائع في بيت أحد الوجهاء: القوزي على البخار... البصطيلة المغربية من الخبز المرقّق المحشو بالمكسرات واللحوم... ثم الدجاج المحمّر مع السلاطة ووجبة فاكهة رائعة وحلويات...

حوار حول الفكر مع اثنين من الجامعيين... العودة إلى الفندق والانطلاق في السادسة إلى مكتبة قصر سودة لحضور مائدة مستديرة حول الجامعة والمناهج والتنمية... مداخلة خصبة تلقى قبولاً حسناً... العودة إلى الفندق ومنه مع الغزيوي إلى دار أحد الأصدقاء، والمفاجأة السارة بمجيء الدكتور حسن الأمراني والشاعر الرباوي من وجدة للقاء بي... أمسية طيبة وحوار ذو شجون ثم عودة إلى الفندق ونوم عميق بسبب الإعياء الشديد.

الخميس: الاستيقاظ المبكر وإنجاز العديد من المعلقات والتوجه إلى صالة المطعم لتناول الفطور، وارتياح للقاء معاون مدير منظمة التربية والثقافة والعلوم الإيسسيكو الدكتور علي القاسمي وتقديم العديد من التوصيات، وإعلامه إياي برئاسة إحدى الجلستين الصباحيتين... الوصول إلى القاعة والمفاجأة بقبول كلمة عاطف المصري بسعي من معاون المدير... ولكن بعد تشذيبها وجعلها أقرب إلى الطرح الأكاديمي... التنازل عن رئاسة الجلسة للأخ الدكتور أحمد علي الإمام...

تتعاقب الكلمات ويجيء دوري فأقدم كلمتي بصيغة متماسكة وأغادر المنصة سعيداً مقتنعاً بفرحي، وأتلقى تقويمات عديدة من الحضور... ثم تبدأ المناقشات وأجدني أطلب فرصة للكلام أرد فيها بمنطق قوي وأدلة خصبة على ادعاءات الدكتور عاطف... لكنه يطلب الإذن ويرد عليَّ فيما كان يمكن دحضه لولا أن الإجراءات لا تسمح باستمرار الجدل... نغادر القاعة لاستراحة الشاي... يدعوني محرران صحفيان للإدلاء برأيي عن فلسطين والقدس فأجيبهم بصراحة ووضوح... نعود إلى القاعة للاستماع إلى التوصيات...

نغادر بعدها للقيام بجولة في فاس التراثية: أسوارها وأبراجها وضريحا لسان الدين وابن العربي... ونستمع لشرح لأحد المغاربة عن تسلسل الدويلات المغربية وصولاً إلى العصر الحديث... نتناول الغداء في دار أحد الوجهاء... ويطلب الدكتور أحمد علي الإمام إلقاء قصيدتي التي أعجبته كثيراً (المحطات الأخيرة)... نغادر المكان وأنا أحسّ بارتياح لقيام أحد مسؤولي المؤتمر بترتيب حجز العودة على الاثنين بدلاً من اليوم الخميس، وبتهيئة سيارة تقلني وأستاذين آخرين إلى فندق في الرباط على حساب المنظمة... وأشعر بزوال القلق بخصوص العودة...

أصعد للغرفة فيجيئني صحفي لإجراء حوار في الثقافة والتاريخ والأدب، أجيبه على نصف أسئلته، ثم ما يلبث إسماعيل الخطيب والأمراني والرباوي أن يجيئوا فيتوقف الحوار... ثم ما ألبث أن تفتح عليَّ جبهة قلق جديدة، حيث يدعوني الخطيب للذهاب بمعيته إلى تطوان والاطلاع عليها وعلى طنجة، فضلاً عن تزامن ذلك مع انعقاد ندوة أدبية هناك، حيث سيرحب بي المشاركون... ولكن هذا يقتضي عودة بالقطار تنطوي على قلق بصدد ضمان الاستقبال في الرباط، وربما الإعياء بسبب طول الطريق... هذا إلى أن هناك احتمال وجود ارتباطات في الرباط مع مندوب المعهد العالمي تقتضي وجودي ليومين أو أكثر... وفي كل من التوجّهين إغراءات ومتاعب أشعر معها أنني أعاني من التمزق بين اثنتين دون أي ترجيح... أحاول أن أميل إلى إحداهما فتسحبني الأخرى...

أتوجه مع الأصدقاء إلى أحد البيوت، حيث يستقبلنا هناك مجموعة من المدرسين الجامعيين المختصين باللغويات، ويدور حوار مكثف حول اللسانيات والنقد الحداثي... نتناول العشاء... ثم ألقي قصيدتين عليهم: (النار) و(ابتهالات في زمن الغربة) تلاقيان الإعجاب، ويأخذهما الأمراني لنشرهما في (المشكاة)... نستمع إلى قصائد من الآخرين ثم أعود إلى الفندق مؤجلاً حسم موضوع الرحلة ليوم غدٍ... وثمة نوبات من الألم الخفيف عادت لكي تزعجني في منطقة الفتقة.

الجمعة: استيقظت لكي ما ألبث أن أجدني أميل إلى الرحلة إلى الرباط مباشرةً... إذ لم يبق لدي استعداد لقلق جديد بصدد ضمان الوصول إلى الرباط من تطوان في الموعد المحدد الذي يسبق العودة... وأحسست بارتياح عميق باتخاذ القرار. وتناولت فطوري سعيداً على مائدة الدكتور الجراري، وخرجت بعد كتابة تعليق عن المؤتمر لعمادة آداب فاس، بمعية الخطيب عبر جولة ممتعة في شوارع وأسواق فاس... ثم ما لبثت والدكتور فتحي الدريني والموريتاني أن ركبنا السيارة عائدين إلى الرباط، عبر رحلة جميلة وانسجام عميق مع الموريتاني وقراءات شعرية وتبادل للنكات... وشربنا الشاي على الطريق ثم انتهى بنا المطاف في الرباط التي دهشت لروعتها وازددت اقتناعاً بصواب قراري...

نزلنا في فندق أنيق... وما لبثت أن غادرته لكي أنزل إلى الشارع وأشاهد موكب الملك الحسن الثاني عائداً من البرلمان... ثم أقوم بجولة تنتهي بصلاة المغرب في جامع السنة الكبير... وأواصل التجوال في الشوارع المحيطة بالفندق حيث المكتبات والمطاعم والمقاهي... أعود بعدها لتناول وجبة عشاء شهية في مطعم الفندق والجلوس قليلاً في صالة التلفاز... لكن ما كان يعذبني هو انفجار آلام الفتقة بين الحين والحين على شكل سكين حادة عند خط الاتصال بين الفخذ الأيسر والمثانة... وأقول في نفسي: هل سأجتاز المحنة وأرجع إلى بلدي بسلام؟

السبت: أستيقظ فجراً بعد نوم لا بأس به... أصلي الفجر وأعود للنوم... أتناول فطوري في مطعم الفندق... أتصل هاتفياً بالبشير فلا أجده فأضع اسمي لدى أهله... وأنطلق في جولة تخط عبر شارع محمد الخامس من أقصاه إلى أقصاه، حيث المكتبات والبقالات والباعة والمحلات الكبرى وأكشاك الصحف والأبنية التراثية والأحياء الأصيلة... أصل إلى مقبرة على حافة الأطلسي... اجتازها... فأجدني قبالة المحيط الرهيب... أقف بعض الوقت ثم أجلس على حافة أحد القبور المغلفة بالفسيفساء... أشعر بارتياح...

وأعود إلى الفندق عبر نفس الشارع... أجد بانتظاري رزمة من الكتب الخاصة بالتفسير العلمي للقرآن ورقم هاتف مؤلفها... يدق الجرس فيعلمني المتحدث أنه وصديق آخر جاءا لزيارتي، وإذا بأحدهما هو أحد العاملين بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي... مبعوثاً من البشير. فأحس بارتياح عميق وألبي دعوته لحضور لقاء في كلية الآداب مع تدريسيي قسم الثقافة الإسلامية... أودعهما وأصعد لتناول الغداء مع الموريتاني... أطلب الكسكس والفاكهة وأتعرف على أحد العاملين في السفارة الموريتانية...

أنزل لأنام... بعد قليل يدق الهاتف... ها هو ذا الدكتور الخرشان مؤلف الكتب العلمية يجيئني، ندخل في حوار عميق حول العلم والقرآن... وأتلقى منه وممن سبقه (ممثل المعهد) تقويماً ونقلاً لرأي النخبة المغربية المعجبة بكتاباتي والمتابعة لها... بعد قليل يجيء البشير ومساعده لكي يقلاني إلى كلية الآداب... بعد جولة في بعض معالمها، أجتمع بعدد من الأساتذة بما فيهم المثقف المعروف المهدي بن عبود... يشرح البشير طبيعة عمل قسم الثقافة الإسلامية وبرامجه الواعدة... وأقوم بالمقابل بتقييم التجربة ومقارنتها بسلبيات المشرق في مجال التعليم الجامعي والقطيعة بين الشرعي والإنساني...

بعدها يدور حوار عام حول أوضاع العالم الإسلامي، وأتلقى من العديد من الحضور تقويماً سخياً فحمدا للّه... بعد صلاة المغرب يعيدني البشير بعد أن أتفق على موعد عصر غد للقيام بجولة في أنحاء الرباط... أجد بانتظاري في صالة الفندق الأخ مصطفى الموكل بإدارة شؤون الموفدين لمؤتمر الإيسسكو... أرتب معه مطالب رحلة العودة إلى عمان، ويعلمني بدعوة غداء من مدير الثقافة في الإيسسكو: علي القاسمي... يودعني...

وقبل أن أصعد إلى غرفتي يتقدم شاب مغربي ويطلب الجلوس معي دقائق معدودات يتبعه شاب آخر يحمل الدكتوراه في الشريعة... يدور حوار خصب ويعرب الشاب المغربي عن إعجابه بأعمالي ومتابعته الدقيقة لها صفحة بصفحة، وينقل إعجاب ومحبة النخبة الإسلامية في طول البلاد وعرضها...

فأحمد الله وأقول إنها الهبة العظمى التي تمسح على جراح الإعياء والجهد. ويسألني عن أعمالي القادمة فأحدثه عنها، وأعطيه الإذن بطبع أعمالي في المغرب كلما اقتضى الأمر... يغادراني بعد الاتفاق على موعد مساء الغد للاجتماع بعدد من النخبة الإسلامية والقيام بجولة في الرباط...

أصعد للمطعم وأتناول عشاء طيباً فيلحق الموريتاني بي ويدور حوار ممتع ونحن نلتهم الآيس كريم والفاكهة... ونكمل الأمسية في صالة التلفزيون...

أتجه إلى الغرفة وآلام الفتقة تدغدغني بين الحين والحين... أقرأ قليلاً ثم أسلّم رأسي للنوم وأنا أقول مع نفسي: إنه واحد من أنظف أيام السفرة كلها...

الأحد: كان يوماً أروع من سابقه وأكثر عطاءً... بعد الاستيقاظ صعدت لتناول الفطور... في العودة إلى الغرفة قرع الباب الصحفي الشاب تاج الدين لاستكمال الحوار... بعدها جاءني أستاذان ليوصلاني إلى جمعية الإصلاح، حيث استُقبلت بحفاوة بالغة من قبل رئيسها (عبد الإله بنكيران)، وألقيت كلمة مركزة مترعة بالشواهد الفكرية والقرآنية، محكمة التماسك بحمد الله... غادرتهم لتوصلني السيارة إلى الفندق، حيث ينتظرني علي القاسمي والموريتاني والدكتور إبراهيم... اتجهنا إلى فيلا على ساحل المحيط الأطلسي في واحدة من أجمل بقاع الرباط...

هناك حيث البيانو واللوحات والكتب والشرفة المطلة على البحر والغداء اللذيذ من السمك المشوي والفاكهة المنوعة والحوار الممتع والشاي اللذيذ ومشاهدة كرة القدم بين المغرب وتنزانيا... وتصفح دواوين الشعر... ساعات حلوة عذبة... توصلني السيارة بعدها إلى الفندق حيث ينتظرني عدد من الإخوة المعنيين بالأدب والفكر... نقوم بجولة منوعة في سلا حيث الآثار المرينية والرومانية، تحاصرني عبرها متاعب الفتقة والإعياء وضيق النفس... توجهنا إلى صومعة وجامع حسان (الموحدي) المطل على مصب ترابي رقراق في المحيط، وهو يعدّ واحداً من أوسع الجوامع في عالم الإسلام، وحيث صومعته هي أكبر منارة في الدنيا، رغم سقوط أقسامها العليا...